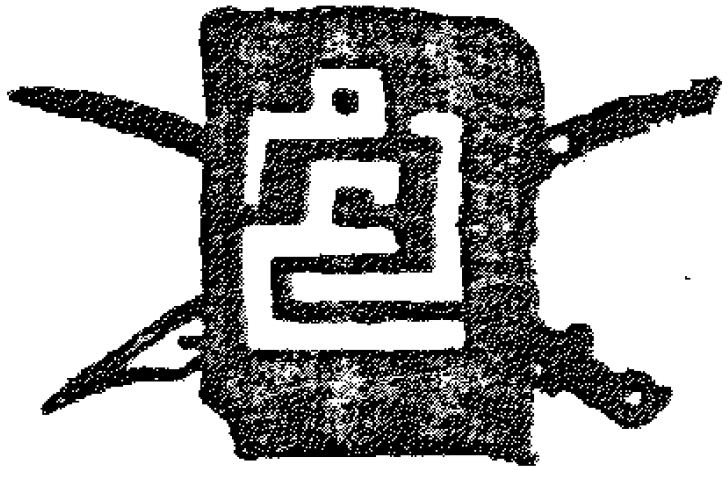
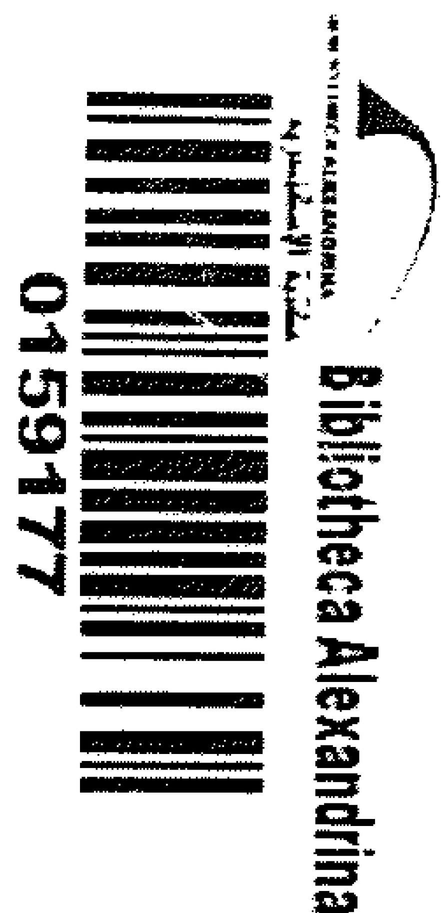


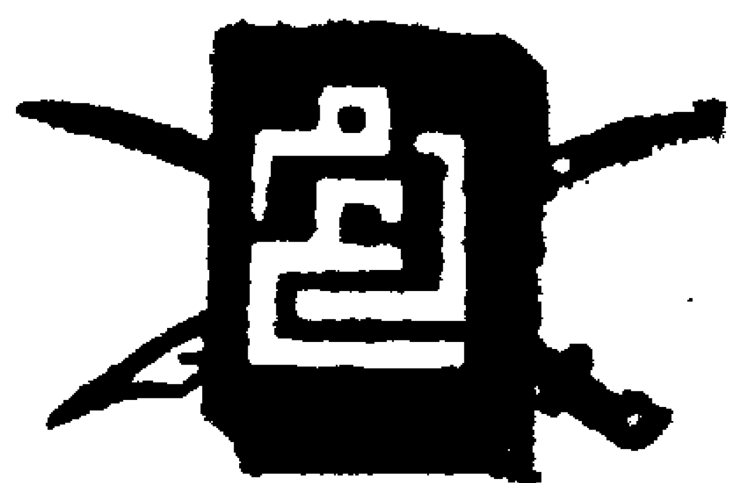
روبرت مكنمارا

المرافعة لتفادي الحرب النووية



مركز الدراسات العسكرية
دمشق ١٩٨٩

روبرت ملكنمارا



المرافعة لتفادي الحرب النووية

مركز الدراسات العسكرية
دمشق ١٩٨٩

مقدمـــة الـــكاتب

خلال السنوات السبع التي امضيتها في منصب وزير الدفاع ، في الولايتين الرئاسيتين لكنيدي وجونسون ، تطورت لدي ببطء طريقة لمواجهة التورطات السياسية والعسكرية للاسلحة النووية اكان ذلك في الولايات المتحدة او في المعسكر السوفييتي . خلال السنوات الثلاث عشرة التي تلت (١٩٦٨ ـ ١٩٨١) فقد ابعدتني مهامي كرئيس للبنك الدولي عن الجدل الذي كان يثار حول وسائل تدعيم امننا في عالم بات نوويا ، اكان ذلك بتحريم التجارب او بتجميد الاسلحة النووية وبرامج الاسلحة الجديدة او باتفاقيات حول السيطرة على الاسلحة . ولكن منذ عام ١٩٨١ استطعت ان استعيد نشاطي واشارك بنشر سلسلة من المقالات غالبا ما كانت تكتب بالتعاون ، في مجلة فورين افيرز = الشؤون الخارجية والمجلة الشهرية اتلانتيك مونثلي = الاطلسي شهريا ، وكذلك بالقائي محاضرات كثيرة في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة .

كلما كنت اتقدم في تحليلي ، كنت اشعر بشكل اوضح ، بحاجة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ـ وكذلك القول بالنسبة لبقية العالم ـ فيما يخص الترسانات النووية والاستراتيجية العسكرية والسيطرة على الاسلحة ، كنت اشعر بالحاجة الى اعداد اهداف طويلة الامد قادرة على تخفيض ، والى اقل قدر ممكن ، خطر نشوب نزاع نووي بين الدولتين العظميين قد يؤدي ذات يوم الى تدمير حضارتنا . يجب التوصل الى هذه الاهداف حتى نهاية هذا القرن او حتى بداية القرن الحادي والعشرين وخلال ذلك توجيه الاستراتيجية النووية لدول حلف شمال الاطلسي ، في برامجها لصنع الاسلحة وفي مفاوضاتها معالسوفييت حول السيطرة على الاسلحة .

انها هذه الاهداف التي انوي تقديمها في كتابي هذا الوجيز .

لقد بوشر بطباعة هذا الكتاب في الولايات المتحدة قبل اربعة اشهر من قمة ريكيافيك بين الرئيس ريغان والامين العام غورباتشيف . وكنت قد توقعت احتمالية لقاء كهذا وحاولت تحديد المحاور الكبرى التي يجب ان تدور حولها المناقشات . واشرت بخاصة الى الفائدة التي سيجنيها الفريقان من اتفاقية للسيطرة على الاسلحة بهدف التقليل من خطر نشوب حرب نووية . ارجو بحرارة ان يساعد هذا الكتاب في بريطانيا العظمى كما في الولايات المتحدة في المباحثات حول مايجب اتخاذه لاعادة رونالد ريغان وميخائيل غورباتشيف الى طاولة المفاوضات وحول نوع الاتفاق الافضل الذي سيستفيد منه حلف الناتو وحلف وارسو .

* * *

الفصل الأول

خطر نشوب حرب نوويــة

بعد مضي قرابة الخمسين عاما على الرسالة التاريخية التي ارسلها البرت انشتاين(١) الى الرئيس روزفلت والتي اعلمه فيها ان اقتناء قنبلة ذريــة هو امر جوهري بالنسبة للولايات المتحدة ، انتقلت الترسانة النووية العالمية من عدد الصفر الى خمسين الف سلاح ، علما ان لكل قنبلة وسطيا ، قدرة تدمير تساوي ثلاثين مرة قنبلة هيروشيما . من هذه القنابل الخمسين الفا بضــع مئات تكفي لتدمير لا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وحلفائهما فحسب بل ايضا تدمير القسم الاكبر من بقية العالم باسقاطاتها الاشعاعية .

لقد انتشرت الاسلحة النووية بشكل واسع وهي تشكل الآن جزءا لايتجزأ من الاستراتيجية العسكرية . يملك كل القادة العامون خططا عملياتية تتوقع بدقة الحالات التي يمكنهم فيها اللجوء الى هذه الاسلحة ، وفي كل معسكــر تتدرب الجيوش بانتظام على تحضير نفسها لاستخدامها المحتمل . لقد اعلن الجنرال برنارد روجرز(٢) القائد الاعلى للقوات الحليفة في اوروبا ، انه مــن المرجح ان يطلب القادة العامون في دول حلف شمال الاطلسي منذ الساعات الاولى لنشوب نزاع عسكري في اوروبــا الغربية ، السماح لهم باتخاذ مبادرة كهــذه .

هذا الوضع هو نتيجة لسلسلة من القرارات المتخذة على مدى السنوات . ولقد شاركت شخصيا في بعض منها . كان كل واحد من هذه القرارات يبدو في ذاته مبررا وحتى محتوما . ولكن المشكلة كانت ان هذه القرارات لم تكن تسجل في اي مخطط شامل ولم تكن تنبع من اي هدف طويل الامد . لقــد ولدت هذه القرارات ترسانات عسكرية وخططا عملياتية لم يتوقعها احــد حينذاك ولن يكون مستعدا للمصادقة عليها اليوم

انــه السباق للتسلح في غياب خطــة طويلة الامد لعصرنا النووي . نحن اليوم على عتبة تصعيد سوف يؤدي لا الى عسكرة الفضاء فحسب بل سيزيد الخطر في حال نشوب ازمة ، خطر ضربة نووية مبكرة قبل هجوم معاد فعال.

لقد انقضى اربعون عاما دون ان توضع الاسلحة النووية موضع الاستخدام الفعلي . ومن الواضح ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على علم بمخاطر حرب نووية . لكن الجنس البشري يشن حروبا منذ آلاف السنين ولا شيء يدل على ان هذه الحالة على ابواب التغيير اذ ان التاريخ مليء بالامثلة التي انتصر فيها الانفعــال على العقــل .

لااعتقد ان الاتحاد السوفييتي يريد الحرب مع الغرب ، وبالتأكيد لــن يعتدي الغرب لاعلى الاتحاد السوفييتي ولاعلى حلفائه . ولكننا حضرنا في الماضي مجابهات خطيرة بين دول حلف وارسو ودول حلف شمال الاطلسي وبامكان هذه المجابهات ان تتكرر . والحالة هذه ، في حال نشوب نزاع تــلا اخفاقــا في الردع فان استراتيجية الولايات المتحــدة الحالية واستراتيجية دول حلف شمال الاطلسي ، ترجح كفة خطر دمار الحضارة الغربية .

خلال السنوات السبع التي شغلت فيها منصب وزير الدفاع ، كــدنا ان نصل ثلاث مرات الى نزاع مسلح : في برلين في آب ١٩٦١ ؛ واثناء سحب الصواريخ السوفييتية في كوبا في تشرين الاول ١٩٦٢ ؛ وفي الشرق الاوسط في حزيران ١٩٦٧ . في هذه المجابهات ، لم يكــن احــد يريد الحرب ولكننا رغــم ذلك تعرضنا للخطــر في كل مرة .

يكمن أصل أزمة برلين حسب رايي في غزو خليج الخنازير في نيسان عام ١٩٦١ . بعد ستين يوما من تسلمه مهامه ، انضم الرئيس كيندي الــى مجلس وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي اي ــ CIA) وصادق على ذلك كافة مستشاري ادارته ــ بما فيهم أنا شخصيا ــ لتنفيذ خطــة الغزو وتحريــر كوبا ، هذه الخطة التي كانت وكالة الاستخبارات المركزية تعمل لتنفيذها منذ عــدة سنوات . ونستطيع القول ان هذا القرار قد انتهى الى هزيمة حقيقية علم السوفييت كيف يستخلصون منها الدروس.

بعد أقل من شهرين التقى الرئيس كيندي في فيينا بنيكيتا خروتشوف. ربما بتأثير الاخطاء التي ارتكبتها الادارة الاميركية خلال أزمة كوبا ، وجــد خروتشوف ان كيندي تنقصه الخبرة والصرامة في الوقت ذاته .

من هذا الراي بدا وكأن خروتشوف استنتج ان بامكان الاتحاد السوفييتي، دون مجازفة كبيرة ، ان ينتشل برلين الغربية من سيطرة الغربيين وهذا ما بدا فعله .

* بدا السوفييت باسقاط مضللات شبيهة بأوراق القصدير الكبيرة في الممرات الجوية التي تخدم برلين وذلك للتشويش على عمل الرادارات ولمنع تزويد القسم الغربي من المدينة بالمؤن عن طريق الجو .

* ردت دول حلف شمال الاطلسي بتكثيف حركة المرور عن طريق البر عبر المانيا الشرقية .

* اعطى السوفييت حينذاك الامر الى الالمان الشرقيين بايقاف قوافل السيارات في مراكز المراقبة الحدودية بين المانيا الغربية والمانيا الشرقية .

* دعم الحلفاء حماية القوافل بحراسة ومواكبة عسكرية مع تعليمات لاقتحام الحواجز الحدودية ان لزم الامر .

* بعد مدة وجيزة سمح الالمان الشرقيون بمرور قافلة تصحبها مواكبة عسكرية ضمن ممر خاص ولكنهم رفضوا السماح لها بالخروج نحو برلين الغربية . لقد انتهى بنا الامر الى تحرير برلين الغربية ولكن كان واضحا أن السوفييت لايريدون التوقف هنا .

حينذاك سألت احد القادة العامين في دول حلف شمال الاطلسي عما تحضره لنا لعبة الشطرنج الحقيقية هذه واي رد علينا ان نواجهه . لقد اجابني ان السوفييت ربما سيختارون الذهاب الى (آ) ونحن الى (ب) وانهم سيذهبون بعد ذلك الى ج ونحن الى د ثم الى هـ ونحن الى و وانه حينذاك لن يستطيعوا عمل اي شيء سوى أن يجدوا انفسهم في ز . سألته عما يجب اتخاذه بعد ذلك فأجابني انها (الاسلحة النووية) . وماذا سيكون حسب رأيه الرد السوفييتي ؟ (الاسلحة النووية) .

في الحقيقة طبعا لم نفعل شيئا من هذا . لقد استدعينا احتياطيين واسرعنا بايصال تعزيزات الى اوروبا لنبرهن عن عزمنا الاكيد بالدفاع عن برلين الغربية . في ذلك الوقت خف الضغط . ولكن لو ان السوفييت شددوا تهديدهم على برلين او لو ان أحد المعسكرين فسر تحركات المعسكر الآخر على انها استعدادات للهجوم على نطاق واسع ، من يستطيع القول ماذا كان سيحل ؟ .

بعد اربعة عشر شهرا كنا من جديد في مواجهة تامة مع السوفييت . في ١٤ تشرين الاول ، كانت طائرة يو ـ ٢ (U - 2) في مهمة استطلاعية قد

استطاعت أن تصور في كوبا مراكز سوفييتية لصواريخ قاذفة ذات رؤوس نووية بمقدور مداها الوصول الى المناطق الاكثر كثافة بالسكان في الشاطيء الشرقي .

صحيح انه في ذاك الوقت كان لدينا قوة نووية استراتيجية بحوالي خمسة آلاف شحنة نووية بينما لم يكن في الطرف السوفييتي سوى ثلاثمائة شحنة. ولكن بالرغم من هذا التفوق العددي الذي يساوي سبعة عشر لواحد ، لم نكن نعتقد اننا قادرون على البدء بتوجيه (الضربة الاولى) بنجاح الى الاتحاد السوفييتي *. بيد انه من الممكن ان يكون السوفييت قد خشوا ذلك وانهم حاولوا حينذاك تنمية قوتهم الانتقامية وذلك بنصب صواريخ قصيرة المدى نسبيا على الارض الكوبية ، هذه الصواريخ التي جاءت لتضاف الى الاسلحة التي تهدد الشواطيء الشرقية .

على اية حال ، بما ان توازن القوى الذي كان موجودا قبل ادخال الصواريخ الى كوبا ، كان قد (ردع) الولايات المتحدة عن توجيه ضربة أولى ، فان هذه المحاورة السوفييتية لم تعدل التوازن العسكري ، وقد كان هذا راي عدد كبير من اعضاء الادارة الاميركية . ولكن هذه المحاورة كانت تشكل بلا ريب عملا سياسيا كان علينا ان نرد عليه .

كانت هناك مدرستان فكريتان تتجابهان حول كيفية المباشرة . كان اغلب مستشاري الرئيس كيندي يميلون نحو الهجوم الجوي يسانده عند الاقتضاء غزو بري . كانوا يعترفون ان هذه العملية ستنتهي بهم الى خسائر فادحة : خمس وعشرون الف ضحية من الجانب الاميركي وعدد مماثل من القتلى والجرحى في الجانب الكوبي .

بالاضافة الى ذلك ، كانوا يقدرون انه لو كنا متأكدين من النجاح بتفوقنا العسكري في هذه المنطقة ، لمن المحتمل ان يرد الاتحاد السوفييتي بشن هجوم عسكري على اجنحة او حتى على وسط قوات دول حلف شمال الاطلسي .

---

* في هذا الكتاب انني استخدم عبارة (ضربة اولى) لاشير الى هجوم او اعتداء نووي ذي قدرة تترك للعدو عددا غير كاف من القوات لتكبيد المهاجم خسائر جوهرية . بالمقابل ان عبارة استخدام اول تشير الى للجوء اولا الى الاسلحة النووية في حال نشوب نزاع مسلح .

اما الاخرون الذين عارضوا اي نوع من الهجوم الجوي ، فقد اوصوا بفرض حصار حول كوبا هدفه منع السوفييت من تموينها طالما لم تسحب الصواريخ منها .

ايد الرئيس كيندي الاقتراح الثاني .

بدأ الحصار في ٢٤ تشرين الاول . وفي ٢٥ تشرين الاول اقتربت باخرة سوفييتية من (خط الحصار) ورفضت التوقف رغم وجود مدمرة اميركية (جوزيف ب . كيندي جونيور). ماهي ردة الفعل الاميركيةالواجبة تجاه هذا الرفض بالامتثال ؟ فتح النار لارغام السفينة على التوقف كما اقترح البعض أم على العكس افساح المجال للقادة السوفييت للاستجابة وايصال قرارهم الى مجموعة سفنهم ؟ .

لقد سمح للباخرة السوفييتية (بعبور) خط الحصار .

وتتابعت المبادلات الدبلوماسية .

في يوم الجمعة ٢٦ تشرين الاول مساء ، وصلنا البريد الدبلوماسي الذي لم تسنح لي فرصة قراءة اغرب منه : تلكس قرابة المترين . كان ذلك نصا مفككا لانهاية له موقعا باسم خروتشوف . من الواضح ان انسانا منفعلا جدا قد املى هذا التلكس . صرح خروتشوف قائلا : (لقد دخلنا في صراع عنيف حيث يشد كل منا الحبل من ناحيته ويصنع عقدة عندما تعقد لن يكون بامكان اي منا حلها) بما معناه انه لو تابعنا على طريق الانهيار فالحرب ستكون محتمة . واضاف : اذا كان على الحرب ان تنشب فلن يكون بمقدورنا ايقافها — لن تنتهي الحرب الا بعد ان تجتاح المدن والقرى زارعة الموت والدمار على طريقها) .

يوم السبت صباحا ، وصلت رسالة اخرى . كان الاسلوب اكثر عنفا واكثر برودة واكثر تهديدا . عكست هذه الرسالة بوضوح اكبر ، قرار مجموعة لا آراء شخص كما في الرسالة الاولى .

في يوم السبت هذا لم يتوقف التوتر عن التصعيد . اشارت صور جديدة ان السوفييت يتابعون اعمال نصب صواريخهم في الجزيرة . بدات فرق الجيوش الاميركية المتواجدة في فلوريدا تتأهب لغزو كوبا . وتوجهت سفينة سوفييتية جديدة نحو (خط الحصار) . خلال ذلك ارغمت القوات البحرية

المضادة للغواصات والتي كانت مهمتها مطاردة الغواصات السوفييتية في البحر الكاريبي ، ارغمت خمس او ست غواصات على الطفو بالقرب من منطقة الحصار .

وجاءنا الخبر حينذاك ان احدى طائراتنا من طراز يو ـ ٢ قد اسقطها صاروخ ارض ـ جو سوفييتي فوق كوبا وقد قتل الطيار . من جهة اخرى، كانت طائرة اخرى من طراز يو ـ ٢ ذاهبة من الاسكا باتجاه القطب الشمالي حين ضلت طريقها ووجدت نفسها سهوا فوق الاراضي السوفييتية وقد طاردها عدد لايحصى من الطائرات الحربية ولكنها تمكنت رغم ذلك من الافلات منها واستعادة طريقها الاصلي .

بمضمون كهذا ، قررنا الاجابة على رسالة خروتشوف الاولى الاقل وعيدا مشيرين الى انه ليس لدينا اي نية باجتياح كوبا اذا انسحبت القوات السوفييتية الهجومية من المنطقة . بالمقابل اكدنا بوضوح تام انه في حال عدم الانسحاب ، فان الولايات المتحدة ستتخذ الاجراءات اللازمة .

لن انكب على سرد ماقد تكون هذه الاجراءات ولكنني اتذكر جيدا انه لدى خروجي من البيت الابيض في تلك الليلة الخريفية الجميلة ، اجتزت الحديقة لاذهب الى سيارتي واعود الى البنتاغون ، تملكتني فكرة شعرت فيها ان هذا السبت سيكون آخر يوم سبت يعم فيه السلام .

فليفهمني الناس جيدا : لا اريد القول انه في حال التدخل العسكري فكرنا ولو للحظة واحدة باتخاذ مبادرة السلاح النووي . ولا اريد ايضا ان ادع احدا يفكر اننا اعتقدنا ان المكتب السياسي السوفييتي سيسمح حتى في حال الهجمات الجوية والبحرية للقوات الاميركية ، باطلاق الصواريخ النووية المنصوبة على الارض الكوبية ، على مدننا في الشاطىء الشرقي . ولكن من يستطيع ان يجزم انه في تلك الحالة ، وعندما يرى نفسه معرضا لخطر مداهم بابادة قواته العسكرية لايعطي ملازم سوفييتي او كوبي الامر بفتح النار النووية ؟...

يوم الاحد ، اعلم نيكيتا خروتشوف الرئيس كينيدي انه قد اعطى اوامره بتفكيك مواقع الاطلاق الكوبية وبانسحاب الصواريخ والقاذفات من الجزيرة .

حدثت المجابهة الخطيرة الثالثة مع السوفييت بشأن الشرق الاوسط.

في بداية شهر حزيران عام ١٩٦٧ ، كان يبدو واضحا للبريطانيين كمالنا ايضا ، ان المصريين الذين كانوا يتلقون منذ عهد طويل دعما عسكريا من السوفييت ويستفيدون منذ مدة وجيزة من مساعدة الخبراء السوفييت العسكريين ، كانوا يستعدون لشن هجوم على اسرائيل . بمعرفتهم للاستعدادات المصرية ، آثر الاسرائيليون شن هجوم مسبق . وقد حاول الرئيس جونسون سدى ردعهم عنه . في فجر الخامس من حزيران بدات اسرائيل الهجوم مكبدة القوات المصرية خسائر فادحة .

في السابعة صباحا من اليوم التالي ، وصلت كعادتي الى البنتاغون. بعد عدة لحظات هتف لي الجنرال المناوب في (غرفة الحرب) ليعلمني ان رئيس المجلس اليكسي كوسيغين يرجو التحدث مع الرئيس جونسون على (الهاتف الاحمر) ؛ الخط المباشر المقام بين واشنطن وموسكو . سألني الجنرال عما عليه ان يجيب . وعندما سألته لماذا يتوجه بالكلام الي ،اجابني ان الخط الاحمر يصل الى البنتاغون لا الى البيت الابيض .

ربما يكون ذلك غامضا . ولكن رغما من اني كنت لثلاث سنوات وزيرا للدفاع منذ اقامة الهاتف الاحمر ، ونظرا لعدم استخدامه حتى الآن ،كنت أجهل انه موصول تماما الى ما تحت مكتبي . بتأثير الصدمة وباندهاش ، اجبت الجنرال انه بما اننا ننفق عشرات المليارات من الدولارات سنويا على الدفاع ، يفضل في الربع ساعة القادمة انفاق بضعة دولارات اخرى لايجاد وسيلة لاطالة الخط المباشر حتى البيت الابيض .

ثم طلبت الرئيس على الهاتف متأكدا انه مستغرق في النوم وان الرقيب الجوي المكلف بالرد على المكالمات الليلية هو الذي سيجيب . بالفعل كان الرقيب هو الذي رفع سماعة الهاتف . فقلت له اني اود التكلم مع الرئيس فأجابني ان الرئيس نائم . اجبته (أعلم ذلك ولكن قل له ان وزير الدفاع يطلب منه ان يستيقظ) . نفذ الرقيب الامر . جاء الرئيس الى الهاتف ودمدم بصوت مازال نائما .. تبا لك يابوب ولكن ما الامر ؟...

ــ يطلب رئيس الوزراء كوسيغين محادثتك على الهاتف الاحمر . ما علي ان أجيب ؟ ..

بعد عـدة لحظات ، انضم الرئيس الينا وكنت مع دين راسك في غرفة اخرى نستمع الى المكالمة . أعلن كوسيغين انه ينوي عمل كل شيء للتوصل الى وقف النار وتعهـدنا نحن كذلك بعمل أي شيء من طرفنا .

بينما كنا نحـاول التوصل الى اتفاق للتفاوض ، كـان الاسرائيليـون يواصلون تقدمهم . في الثامن من حزيران توصلوا الـى اتفاقـات لوقف اطلاق النار مع الاردن ومع مصر ولكنهم كانوا يتابعـون المعارك ضد السوريين في مرتفعـات الجولان . في فجر العاشر من حزيران علمنا ان اسرائيل مستعدة لايقاف العمليات الحربية مع سوريا . كانت الحرب على وشك أن تنتهي .

وبعد ذلك انقلب كل شيء . عاود كوسيغين الاتصال على الخط المبـاشر غاضبا ومهددا هذه المرة (أن كنتم تريدون الحرب فستحصلون عليها).

وبما كان كوسيغين يتصرف تبعا لتحركاتنا الجديدة . بالفعل وخشيـة من ان يشجع الاتحاد السوفييتي مصر علـى شن هجـوم معـاكس علـى اسرائيـل ، أعطينـا اوامرنا لاسطول الولايات المتحـدة السادس ـ الذي بعد تحركاته في البحر الابيض المتوسط ادار الدفـة نحو الغرب باتجاه مضيق جبل طارق ـ بتغيير وجهته والاتجاه نحو الشرق . كـان هدفنـا وضـع الحملة العسكرية بوضعية الدفاع عن اسرائيل . هل اعتقـد السوفييت اننا نحضر هجوما على مصر ؟ ...

لمواجهة تهديد كوسيغين قـرر الرئيس جونسون مؤاثرة الحزم . لقـد امرني بتقريب الاسطول السادس نحو الشواطىء السورية للبرهان عن نوايانا دون التباس او غموض .

استمر الحوار على الهاتف الاحمر وادى الى اتفاق لوقف اطلاق النـار . ولكـن مرة أخرى ايضا اوشكت القوتان العظميان على التجابه . ان لـم يتوصل الاسرائيليون والسوريون الى وقف لاطلاق النار لتدخلت حتماالقوتان العظميان عسكريا في المنطقة .

خلال هذه الحوادث الثلاث ، لم يفكر لا الاتحاد السوفييتي ولا الولايات المتحـدة باتخاذ مبادرات تعرضهما للوصول الى نزاع مسلح ، ولكن كادت المجابهـة ان تحصل في كل مرة وذلك لنقص في المعلومات او بسبب معلومات مغلوطـة او غير مفسرة جيدا . وفي كل هذه الحالات وكلما كانت الازمةتتطور،

كانت التوترات تتصاعد والانفعالات تثور وكانت الكفة تميل الى اتخاذ قرارات لاعقلانية وغير منطقية .

لن يتخذ ابدا اي رئيس سياسي او عسكري لديه المعلومات الوافية مبادرة اللجوء الى الاسلحة النووية ببرودة اعصاب ، ولكن في لحظات الازمة الحادة ، يوشك الرؤساء السياسيون والعسكريون ان يكونوا غير مزودين بمعلومات صحيحة وغير متمتعين باعصاب هادئة .

في عام ١٩٦٢ شجع الرئيس كينيدي بحرارة كل اعضاء مجلس الامن القومي على قراءة كتاب (مدافع آب) الذي كتبته بربارا توخمان(٣) والتي روت فيه كيف وجدت الامم الاوروبية نفسها متورطة في الحرب العالمية الاولى دون ان تستطيع شيئا لتلافيها . ينفتح الكتاب على تصريح تنبؤي لبيسمارك الذي أعلن أن العملية ستكون (عملية غامضة تماما في البلقان) وهي التي ستشعل فتيل الحرب القادمة . تعد الكاتبة بعد ذلك سلسلة من الاحداث كلها صغيرة وغير ذي معنى والتي ـ بعد اغتيال ارشيدوق النمسا ولي العهد فرانسوا فردينان دوهابسبورغ من قبل الوطنيين الصرب في ٢٨ حزيران ١٩١٤ ـ كان عليها ان تؤدي الى النزاع المسلح الاكثر شناعة في التاريخ العالمي . مرة بعد مرة ، عشية العمليات الحربية ، حاول رؤساء الدول العودة الى الوراء ولكن قوة الاحداث كانت الاقوى وتغلبت على مقاومتهم .

ذكرنا الرئيس كينيدي بالمحادثة التي جرت بين المستشارين الالمانيين عام ١٩١٤ بخصوص أسباب الحرب : سأل الاول (كيف حصل ذلك ؟) أجابه خليفته : (آه لو كنا نعرف ذلك فقط) أراد كينيدي ان نتذكر دائما الخطر الذي ينتج عن خطأ بسيط في التقدير .

اليوم ، تقدم لنا العقود القادمة امكانيات مواجهات دائمة بين الشرق والغرب . في كل حالة يستطيع خطأ بسيط في التقدير ان يؤدي الى التدهور والوصول الى نزاع مسلح . ولكن هذا النزاع سيجد مجابهة بين معسكرين يحويان على خمسين الف شحنة نووية ـ منتشرة في ساحات المعارك ومدرجة في الخطط العملياتية . ان غواصة نووية واحدة قاذفة للصواريخ وتابعة الى اي من المعسكرين ، تستطيع وحدها ان تشعل نار تفوق قدرتها قدرة اي نار وجهها انسان ضد الانسان خلال تاريخ البشرية .

في جـو التوتر الذي سيخيم عند نشوء الازمة ، سيسعى كل معسكرالى تفويض قادته على مسرح العمليات بقرار استخدام الاسلحـة النوويـة . لمواجهـة الخطر المتزايـد من هجـوم عدواني ، سيجد هؤلاء القادة انفسهم امام مأزق مخيف : استخدام الاسلحة النووية او الاذعان لفقدانهـا . ولكن بما انهم عديدون ليقدروا ان القوات النووية الاستراتيجية ونظمها المعقدة في القيادة قابلة للاصابة بعدوان مبكر ، فسيصوت جميعهم مع الضربة المبكرة .

ان خطر ان يتحول نزاع مسلح بسرعة الى حرب نووية ويؤدي الى الدمار المحتم لحضارتنا ، هو خطر بالغ في الثقـل كي استطيع تحمله والقبول به ، أكـان ذلك لاسباب عسكرية او سياسية او معنويـة ، بالغ في الثقـل كـي استطيع ان اعرض له اولادي او احفادي .

في هذ االنصف الثاني من القرن الاول من العصر النووي ماذانستطيـع أن نفعـل ــ ان كان بمقدورنا ان نفعل أي شيء ــ لابعاد هذا الخطر او على الاقـل لجعله نسبيا ؟...

اليس هنا الهدف الذي علينا ان نضعـه نصب اعيننا وان نعـد برنامجا قادرا على تحقيق هذا الهدف ؟ سيهدف هذا البرنامج الى الحد من تطـور الاستراتيجية العسكرية ، الى تهيئة خطط الحرب ، الى صنع الاسلحـة النووية ، الى امتلاك ونشر القوات النوويـة والتفـاوض حـول اتفـاقيـات للسيطرة على الاسلحـة .

هذا ما انوي صنعه في هذا الكتاب ..

يحلل القسم الاول من هذا الكتاب ــ الفصلان الثاني والثالث ــ تطـور الاستراتيجية وتطور القوات النووية في الولايات المتحـدة والاتحاد السوفييتي منذ ان صنع فيرمي ، في كانون الاول عـام ١٩٤٢ اول بطارية نووية بنتائج متوالدة . يطـرح هذا القسم التوازن الحالي للقـوات ويسبر الادراكات الحسية واخطاء تقدير المعسكرين فيما يخص هـذا التوازن . انـه يهـدف الى التطوير المحتمل للقوات في المستقبل والطريقة التي سيعمل بها على تأمين الاستقرار في حال نشوب الازمة .

اما القسم الثاني من الكتاب ــ الفصلان الرابع والخامس ــ فيقتـرح عـدة سبل للتقليل من خطر نشوب حرب نووية في العقـود القادمة :

* تحقيق المصالحة السياسية بين الفرقاء .

* استبعاد كافة الاسلحة النووية بالمفلوضات ، كما يقترح الامين العام غورباتشيف .

* استبدال قواتنا الهجومية الحالية بقوات (دفاعية) مما سيؤدي الى الاستبعاد الكامل للاسلحة النووية ، كما يقترح الرئيس ريغان .

* (تدعيم) قوتنا الرادعة بضم قواتنا الدفاعية الى قواتنا الهجومية كما يقترح خبراء الامن مثل هنري كيسنجر وزبيغنيو بريجنسكي وماكس كامبلمان .

* القبول باعتبار ان الاسلحة النووية ليست اسلحة عسكرية بالمعنى التقليدي للكلمة ولذلك ليس لها أي هدف آخر سوى ردع العدو عن استخدامها يتطلب هذا التحليل اعادة تسويات جوهرية اكان ذلك في مضمار الاستراتيجية، والخطط العملياتية ومستوى القوات التقليدية في دول حلف شمال الاطلسي أم في برامج صنع الاسلحة واتفاقيات مراقبة الاسلحة والسيطرة عليها.

تظهر الخلاصة كيف ان اقترابا كهذا سيسمح ، على عتبة القرن الحادي والعشرن ، بترسيخ قواعد استراتيجية نووية مختلفة تماما ، مبنية على الامن المتبادل لاعلى قدرة المعركة ، بتخفيض الاسلحة النووية بشكل ملحوظ باعادة عددها الحالي الذي يساوي خمسين الفا الى حوالي الالف وبذلك التقليل من خطر دمار حضارتنا .

* * *

الفصل الثاني

النصف الأول من قرن العصر النووي

تطور(١) الاستراتيجية والقوات النووية في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٩٠

قال البرت انشتاين ان الاسلحة النووية تغير كل شيء ولكن طريقتنا في التفكير بقيت على حالها . تفوق القوة المدمرة للقنبلة الذرية من زمن بعيد جداً ، اي شكل آخر من الطاقة حررها الانسان . لكن منذ بداية العصر النووي ، تابع الخبراء العسكريون الاستراتيجيون في الشرق كما في الغرب تابعوا وصف هذه الاسلحة الرهيبة على انها اسلحة تقليدية تستخدم بنفس الطريقة .

في الخمسينيات ، اوكلت الولايات المتحدة الى القنبلة الذرية نفس هدف القصف الاستراتيجي بواسطة المتفجرات التقليدية خلال الحرب العالمية الثانية اي تدمير المدن والاهداف الاقتصادية التي تدعم مجهود العدو الحربي .

حوالي نهاية العقد ادت التطورات والتحسينات التقنية الى تعديل في الاستراتيجية الاميركية . من جهة اولى ، بدات اقمار صناعية وطائرات استطلاع متطورة جداً ، بدات تسمح منذ ذلك الحين بالتقاط معلومات أكثر فأكثر تفصيلا لتحديد مواضع الاهداف العسكرية السوفييتيةوالكشف عن هويتها . من جهة اخرى امنت الصواريخ القاذفة للشحنات النووية دقة كبيرة جداً في الرمي .

وعليه ، اجتهد الخبراء العسكريون الاستراتيجيون الاميركيون باعداد خطط لاستخدام الاسلحة النووية والتي بدل ان تضرب مدن الاتحاد السوفييتي ، تدمر قواته المسلحة فقط .

انتصر هذا الاعتقاد او الايمان بامكانية شن حرب تضرب قوات معادية مختارة ، انتصر في الولايات المتحدة حتى ايامنا هذه وقد بلغ اوجه مع وزير الدفاع كاسبار واينبرغر الذي كان مقتنعا ان بامكان الولايات المتحدة ان تخرج حقا منتصرة في حرب نووية . حسبما جاء في مستند لتوجيه(٢) الدفاع للفترة مابين ١٩٨٤-١٩٨٨ نظمه واينبرغر (في حال اخفاق الردع ونشوب حرب نووية استراتيجية مع الاتحاد السوفييتي ، على الولايات المتحدة ان تبادر الى شكل تستطيع فيه ارغام الاتحاد السوفييتي على وضع حد لعملياته الحربية بشروط مناسبة لبلدنا) .

في الساعة الحاضرة : هناك احدى عشرة شحنة نووية استراتيجية اميركية موجهة نحو حوالي خمسة آلاف هدف وجاهزة للاطلاق . ترتكز خطط عمليات دول حلف شمال الاطلسي على استخدام اول مبكر لحوالي خمسة الاف سلاح نووي تعبوي ردا على هجوم تقليدي يقوم به السوفييت . هناك اسلحة نووية منتشرة بمحاذاة القوات الاميركية والسوفييتية عبر العالم اجمع . حتى لو علم المعسكران جيدا ان حربا نووية لاتستدعي استخدام الا جزء يسير من ترساناتها يكفي لاحداث كارثة حقيقية ، يتابع كل طرف منها بدون توقف ، تطوير انظمة جديدة للتسلح دائما اكثر تهديدا للعدو .

لكي نفهم كيف وصلنا الى هذا الوضع المحفوف بالمخاطر ، من المناسب أن ندرس عن قرب اكثر تطور الاستراتيجية والقوات النووية الاميركية في علاقاتها مع الوضع في اوروبا .

على طول فترة مابعد الحرب كان أمن اوروبا مدخل السياسة الخارجية للولايات المتحدة وكان عليه ان يستمر الى الابد . لم تنشر القوتان العظميان عددا كبيرا كهذا من الاسلحة النووية في أي منطقة اخرى من العالم . ولافي اي منطقة من العالم ، تتمتع العقائد العسكرية التي تتوقع استخدام الاسلحة النووية ، بمصداقية عريضة كهذه .

يشكل استخدام الاسلحة النووية ، جزءا لا يتجزأ من الاستراتيجية العسكرية لدول حلف شمال الاطلسي وذلك تطبيقا منذ تشكيل الحلف .

تطور بنية قوات دول حلف شمالي الاطلسي

بعدمدة وجيزة من التصديق على معاهـدة حلف شمالي الاطلسي عـام ١٩٤٩ استخـدم تقدير ضخامة التهديد العسكري السوفييتي كقـاعـدة لتطوير الاستراتيجية العسكريةوهيكل قواتدولحلف شمال الاطلسي ، بقناعتهم ان الاتحاد السوفييتي قادر على تجنيد حتى ١٧٥ فرقة ضد اوروبا الغربية ، واستنتج المخططون العسكريون في دول حلف شمال الاطلسي ان دفاعا ملائما يتطلب ان يكون للحلف ٩٦ فرقة ـ لكل فرقـة فعاليات اكثر اهمية من فعاليات الفرق السوفييتية . قبل بهذا التقدير اثناء الاجتماع السنوي لوزراء دول حلف شمال الاطلسي الذي عقد في ليشبونة في شباط عام ١٩٥٢ .

ولكنه تبين بسرعة ان الدول الاعضاء لم تكن مستعدة للالتزام بالاهداف المحـددة في ليشبونة . على العكس ، مال الحلف بعزم الى الاسلحـة النووية رافضا التضحيات المالية والبشريـة التي يتطلبها انشاءدفاع تقليدي مناسب.

ان تكون الاسباب المالية هي العنصر المحـدد في قرار دول حلف شمال الاطلسي للجوء الى استراتيجية مرتكزة على الاسلحة النووية ، هذامايوضحه بجلاء التصريح الذي صرح به وزير الخارجية آنذاك جون فوستر دالاس :

(اننا لن نستطيع ان نتحمل طويلا اعباء الكلفة الاجماليـة لجهود امتنـا وامن حلفائنا ... دون نتائج مالية واقتصادية واجتماعية خطيرة . ولكـن قبل تعديـل البرنامج العسكري ، من الملائم ان يتخـذ الرئيس ومستشاروه (...) بعض القرارات السياسية الجوهرية . وهذا ماحصل . كان القـرار الرئيسي اعطـاء الاولوية لقوة نووية مدعمة للرد فورا بالوسائـل وفي المناطق التي تختارها . وهكذا امكن الآن تأمين وتـوزيع مستوى متنام مـن الامن باقل ثمن) (٣) .

لم يكن هذا التغيير الجوهري مذهبيا بحتا . فقد اعطى توجيه رئاسي برقم ان اس سي ـ ١٦٢ / ٢ ، اعطى الامر لرؤساء الاركان بترقب استخدام الاسلحـة النووية كل مرة كان استخدامها في صالح الولايات المتحـدة .وقد عـدل تنظيم وتصميم الجيش الاميركي لتحسين قدرته القتالية في ساحات المعركة النووية . في نهاية عام ١٩٥٣ ، بوشر بنشر عدد لايستهان به مـن الاسلحـة النووية التعبوية في اوروبا ـ قذائف مدفعيـة نووية، قنابل ، صواريخ قصيرة المدى ، الغام تدميريـة ذرية ـ واستمرت مضاعفةالاسلحة

النووية التعبوية لدول حلف شمال الاطلسي بشكل ثابت حتى تصل الى أوجها حوالي عام ١٩٦٥ مع ما يقرب من سبعة آلاف سلاح . اما القوات التقليدية والتي احتفظت بعددها الكبير في القارة القديمة فلم تكن مهمتها حتى بداية الستينيات سوى احتواء هجوم معاد لمدة تكفي للقيام بتوجيه ضربات نووية تقهر المعتدي . منذ ذلك الحين اعتبرت الاسلحة النووية على انها قوة الردع الحقيقية . عدد قليل من هذه الانظمة كان قصير المدى وكان منشورا بالقرب من الحدود بين بلدان دول حلف شمال الاطلسي ودول حلف وارسو. ارادت دول حلف شمال الاطلسي ان تبين بذلك وبوضوح للسوفييت ان كل هجوم تقليدي تشنه قوات دول حلف وارسو سيجابه برد سريع للقوات النووية في الحلف .

اذا كان لم يزل هناك بعض الشكوك حول جدية التهديدات النووية التي وجهتها دول حلف شمال الاطلسي في الخمسينيات فان التصريح الذي ادلى به الجنرال برنارد مونتسومري مساعد القائد الاعلى للقوات الحليفة في اوروبا في نهاية عام ١٩٥٤ ، قد ادى لازالة هذه الشكوك .

اصر على التأكيد بوضوح ان جميع خططنا العملياتية المتعلقة بالدفاع والموجودة في المقر العام لقوات دول حلف شمال الاطلسي ، ترتكز على اللجوء الى الاسلحة الذرية والنووية الحرارية . لم نعد نقول/من المحتمل ان تستخدم هذه الاسلحة /بل نؤكد بوضوح انها /ستستخدم ان نحن هوجمنا(٤)/.

في كانون الاول عام ١٩٥٤ شعر وزراء دول حلف شمال الاطلسي بالطمأنينة حول الاستراتيجية النووية . وادى هذا الاطمئنان الى مراجعة الهدف الذي كانوا قد وضعوه امام اعينهم بصدد الفعاليات وبصدد تخفيض عددها من ست وتسعين فرقة الى ثلاثين فرقة فعالة . بعد عامين من ذلك تبنى الحلف رسميا استراتيجية الانتقام الكثيف في مستند تحدد برقم ام سي ١٤/٢.

هل يتطلب توازن القوى النووية بين دول حلف وارسو ودول حلف شمال الاطلسي ، كما كان مصمما له في منتصف الخمسينيات ، هل يتطلب تبني استراتيجية نووية كتلك من قبل دول حلف شمال الاطلسي ؟ انها نقطة تدعو الى المناقشة . ولكن في بداية الستينيات على كل حال ، كثيرون هم الذين عارضوا ذلك ، شرعت ادارة كيندي بعد تسلمها مهام السلطة في كانون الثاني عام ١٩٦١ ، شرعت بانتقاد دقيق لهذا المذهب .

كشف هذا التحليل صدعين جسيمين في التفكير الذي كان قد ادى الى تبني القرار رقم ام سي ٢/١٤ ، من جهة اولى ، لم يكن التوازن المتعلق بالقوات التقليدية لدى دول حلف شمال الاطلسي ودول حلف وارسو ، في صالح الغربيين كما كان مقدرا له (لقد بولغ في تقدير قدرة القوات السوفييتية وقللت قيمة قدرة قوات دول حلف شمال الاطلسي) . من ناحية اخرى ، كان هناك شكوك كبرى حول امكانية استخدام الحلف الاطلسي للسلاح النووي في صالحه وبأي طريقة .

سمح لي الرئيس كيندي اذا ، بكوني وزيرا للدفاع ، ان اقترح اثناء اجتماع وزراء دول حلف شمال الاطلسي الذي جرى في اثينا في أيار ١٩٦٢ ، استبدال مذهب (الانتقام الكثيف) باستراتيجية (الرد التدريجي) .

كانت هذه الاستراتيجية الجديدة تتوقع نموا في القوات التقليدية ولكن في مستوى يمكن تحقيقه في الخطة المالية كما في الخطة السياسية . فعوضا عن اشتراط استخدام مبكر وكثيف للاسلحة النووية ، كانت هذه الاستراتيجية تتوقع الا يتم الرد في وقت اولي على الاعتداء السوفييتي الا باسلحة تقليدية فقط . ترتكز هذه الاستراتيجية على الامل بامكانية تحديث القدرات التقليدية لدى دول حلف شمال الاطلسي بشكل يكفي لجعل اللجوء الى السلاح النووي عملية غير مفيدة . اذا بدت استحالة تحقيق هذا الامل فسيكون استخدام السلاح النووي (متأخرا ومحدودا) .

ان كنا قد اقترحنا هذه الاستراتيجية الجديدة فذلك لان المسؤولين المدنيين والعسكريين في الولايات المتحدة تأكدوا بانفسهم ان التفوق العددي الكبير الذي تتمتع به دول حلف شمال الاطلسي في مجال القوات النووية ، لم يمنح الحلف قدرة عسكرية قابلة للاستخدام . بالاضافة الى ذلك ، كما نعلم ان استخدام الاسلحة النووية الاستراتيجية او التعبوية اولا حتى بعدد محدود ، سيعرض الخطر ديمومة الامة الاميركية . بناء على ذلك ، اقترحنا الحد من دور السلاح النووي في اطار دول حلف شمال الاطلسي : من جهة اولى ، سيستخدم هذا السلاح لردع السوفييت عن اتخاذ مبادرة الحرب النووية ، ومن جهة اخرى ، وفي حال اخفاق وسائل الدفاع التقليدية ، سيشكل السلاح النووي الملجأ الاخير لارغام المعتدي على وضع حد للنزاع بشروط مقبولة.

جابهت معارضة شديدة هذا الاقتراح بتعديل استراتيجية دول حلف شمال الاطلسي .

تذرع بعض مثيري الجدل ان الولايات المتحدة تسعى الى (الانفصال) عن الدفاع عن اوروبا . كانوا يعترفون معنا ان حربا نووية (تعبوية) في اوروبا ستؤدي بسرعة الى تبادل استراتيجي يورط فيه الاراضي الاميركية والسوفييتية ولكنهم كانوا يعتقدون ان هذا الخطر هو افضل وسيلة لردع اعتداء سوفييتي . برايهم اننا اذا خففنا التهديد فربما يعتقد السوفييت ان النزاع سينفرد في اوروبا الوسطى وهكذا فانهم سيحاولون المقامرة .

هناك انتقادات اخرى تدعي ان تطوير القوات التقليدية في دول حلف شمال الاطلسي ، يتجاوز بكثير ما كان الحلف مستعدا النهوض بأعبائه وقد اكد البعض الآخر اننا بالغنا كثيرا في المخاطر التي سيؤدي اليها استخدام محدود للاسلحة النووية .

اشتدت مدة المناقشة خلال خمس سنوات . وفقط في عام ١٩٦٧ تبنى الحلف الاطلسي استراتيجية الرد التدريجي وقد اشير اليه برقم ام سي١٤/٣ في مستند اللجنة العسكرية .

اقترح هذا المذهب الجديد ردع الاعتداء باستخدام وسائل مناسبة للرد عليه مهما كان مستواه . يتوقع هذا المذهب ، في حال اخفاق الوسائلالتقليدية، تصعيدا بدرجات متتالية تصل حتى البدء باستخدام الاسلحة النووية يكلف المعتدي ثمنا وخطرا متفاوتين بالنسبة لاهدافه الاولية . غير ان استراتيجية الرد التدريجي تتوقع مراقبة التصعيد على كل المستويات بشكل تحد فيه ضخامة واتساع النزاع في كل درجة من درجات التصعيد . وهكذا مثلا ، ربما تشن الهجمات النووية الاولى بواسطة نظم تعبوية قصيرة المدى وذلك للحد من آثار حرب نووية في مسرح العمليات : غير ان القرار رقم ام سي ١٤/٣ يبقى ، كدرجة اخيرة في التصعيد ، التهديد بتبادل استراتيجي بين الاراضي الاميركية والسوفييتية وذلك للقيام بقياس واضح لضخامة المخاطر المجشمة .

بقي الرد التدريجي المذهب الرسمي لدول حلف شمال الاطلسي خلال قرابة العشرين عاما . بيد ان هدفه الاساسي الا وهو اقامة وسائل تقليدية كافية للتصدي لوسائل دول حلف وارسو ، لم يصل احد اليه على الاطلاق . ففي حوالي نهاية الستينيات وبدء السبعينيات ربما قد تدنى تكافؤ دول حلف شمال الاطلسي مع دول حلف وارسو ، ومنذ مدة وجيزة حقق الحلفالاطلسي تقدما ملحوظا في تحسين مركزه التقليدي ولكن اغلبية الخبراء العسكريين يقدرون أن التوازن ما بين القوات التقيدية ما زال لصالح دول حلف وارسو :

فاستنتجوا من ذلك ان هجوما تقليديا يشنه السوفييت سيتطلب اللجوء الى الاسلحة النووية وهذا ، على الارجح ، في خلال بضع ساعات على الاكثر (٥) . بخلاف ما يعتقد الرأي العام الاميركي(٦) اعدت خطط عمليات دول حلف شمال الاطلسي ، على هذه الفرضية .

تطور استراتيجية الاتحاد السوفييتي النووية

قبل عرض مشكلة معرفة ما اذا كانت دول حلف شمال الاطلسي ستستفيد من لجوئها في الطليعة الى الاسلحة النووية ــ في ردها على غزو سوفييتي ــ ربما يكون مناسبا اعطاء بعض الملاحظات حول تطور الاستراتيجية النووية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية (٧) خلال الثلاثين سنة الاخيرة .

خلال قسم كبير من فترة ما بعد الحرب ، بدا وكأن المذهب العسكري السوفييتي يفترض ان حربا بين القوتين العظميين ستؤدي الى اللجوء الى الاسلحة النووية . كانت المنشورات السوفييتية تشدد على استخدام الاسلحة النووية ، اكانت تلك بعيدة ام متوسطة المدى منذ الساعات الاولى لنشوب النزاع وذلك لتدمير تجمعات قوات العدو وموانئه وقواعده الجوية ومساعداته التموينية ، وكانت هذه المنشورات تؤكد ايضا على استخدام الاسلحة النووية التعبوية في ساحة المعركة .

اثارت طريقة تدريب الجنود السوفييت كما اشارت تجهيزاتهم للحماية من الاشعاعات الذرية وكذلك طبيعة مناوراتهم العسكرية ــ التي احتوت خلال سنوات مرحلة نووية ــ اثارت التفكير الى ان المذهب العسكري السوفييتي ، كما كان محددا على الورق ، يشكل وضعا حقيقيا جدا للطريقة التي يتوقعها الاتحاد السوفييتي لشن الحرب القادمة .

بالفعل ، فحتى حوالي منتصف الستينيات ، لم يتوقف العسكريون السوفييت عن التاكيد في كتاباتهم ان النزاع الوحيد الممكن بين القوتين العظميين هو حرب نووية شاملة . فضلا عن ذلك ، اكدوا ان بامكانهم كسب هذه الحرب واوصوا بالبدء في الاستعدادات العسكرية والاجتماعية التي ستسمح للاتحاد السوفييتي بالخروج منتصرا من نزاع نووي . اما الذين بعد ذلك ، عارضوا في الولايات المتحدة ، عملية السيطرة على الاسلحة النووية (٨) ، حوالي نهاية السبعينيات ، خلال مناقشة حول معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية

الهجومية (سولت ـ ٢) ، فقد بدؤوا بهذه الاسنعدادات ايضا مشيرين دائما الى كتابات كهذه .

بيد انــه آنذاك كاد عرض المذهب العسكري السوفييتي ان يصبح لاغيا بالكامــل .

لقد تحول المذهب الرسمي السوفييتي نوعا ما في حوالي منتصف الستينيات عندما بدأ الخبراء العسكريون الاستراتيجيون السوفييت بتقبل فكرة (الحرب على مراحل) في اوروبا لاشترك فيها في المرحلة الاولى الا القوات التقليدية . حتى لو انهم اكدوا ان فترة هــذه المرحلــة الاساسية ستكون قصيرة جــدا واوضحوا ان تصعيدا نحو حرب نووية شاملة كان امرا محتما الا ان صلابتهم المذهبية قد اختفت .

ساوم الخبراء والمسؤولون العسكريون السوفييت على حتمية التصعيد النووي على مدى الستينيات وخلال جزء كبير من السبعينيات . ويبدو ان المشكلة قد حلت في زمن الخطاب الشهير الذي القاه ليونيد بريجينيف(٩) في تولا عام ١٩٧٧ . قال المنظرون حينذاك بامكانية نشوب حرب طويلة الامد بين الشرق والغرب دون ان يلجأ اي منهما الى الاسلحة النووية .

بالفعل ، يؤكد السوفييت رسميا اليوم انهم ان يكونوا البادئين باستخدام السلاح النووي . ولقد عبروا عن هذا الموقف للمرة الاولى في رسالة بريجينيف الى الهيئة العامة للامم المتحدة بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٨٢ : (يتعهد اتحــاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بألا يكون البادىء باستخدام الاسلحــة النووية) . في نفس العام اعلن وزير الدفاع ديميتري اوستينوف(١٠) قائلا : (وحدها الظروف غير العادية ـ مثل اعتداء نووي مباشر على الدولة السوفييتية او على احد حلفائها ـ هي التي ستجبرنا على اللجوء الى ضربة نووية انتقامية وهي الوسيلة الاخيرة للدفاع الذاتي) . اظهرت هذه التصريحات تغييرا معلوما في الموقف . في الماضي اكتفى المتحدثون الرسميون بالقول ان الاتحاد السوفييتي لن يستخدم الاسلحة النووية ضد البلدان غير النووية .

ترافق هذا الانعطاف الجديد مع تغيير مهم آخر صيغ على عدة دفعات : التخلي عن الفرضية التي دعمها القادة السوفييت لاكثر من عشرين عاما ، هذه الفرضية التي تنص على امكانية شن وكسب حرب نووية . في الوقت الحالي يصرح كل المنظرين والقادة السوفييت علنا ان (لا احد يستطيع الخروج منتصرا من حرب نووية) .

هل يشير هذا التحول في المذهب الى ان الاتحاد السوفييتي لم يعد مستعدا لخوض معركة نووية في اوروبا ؟ بالطبع لا . فبشكل مواز لنشر الصواريخ اس اس ــ ٢٠ متوسطة المدى ، عمل السوفييت بنشاط على تحديث صواريخهم النووية قصيرة المدى في اوروبا (اس اس ــ ٢١ ، اس اس ــ ٢٢ و اس اس ــ ٢٣) . كشف عن نوعين من سبطانات المدافع القادرة على رمي شحنات نووية ، بين عتاد الوحدات السوفييتية المنتشرة في اوروبا الشرقية ، وقد تزايد عددها في السنوات الاخيرة . اضافة الى ذلك ، ان القاذفات النووية منتشرة اليوم مع القوات السوفييتية في اوروبا بعدد يفوق كثيرا العدد الذي كان عليه قبل عدة سنوات فقط .

من الواضح ان الاتحاد السوفييتي مستعد للرد في حال اتخذت دول حلف شمال الاطلسي مبادرة الحرب النووية . سأتطرق الآن الى مسألة معرفة ما اذا كانت دول حلف شمال الاطلسي قادرة على الاستفادة من ان يكون الحلف هو البادىء باللجوء الى الاسلحة النووية .

تقدير الفائدة العسكرية من الاسلحة النووية

في حوالي نهاية السبعينيات ، بزغت الى النور لتصبح مشكلة كبرى ، الشكوك بالنسبة لاستراتيجية الرد التدريجي الذي تبنته دول حلف شمال الاطلسي ، هذه الشكوك التي كانت كامنة مدة طويلة . احتد النقاش خلال السنوات التالية وقد حمل هذا النقاش بشكل رئيسي على تقدير فائدة الاسلحة النووية على المستوى العسكري (١١) .

لقد تطور التوازن النووي بشكل ملحوظ منذ اقتراح ادارة ريغان بتبني استراتيجية مرتكزة على الرد التدريجي . لقد قام المعسكران بتحديث كافة ترساناتهما بزيادة عدد صنوف الاسلحة الثلاثة ــ في ساحة المعركة ؛ والمتوسطة المدى ؛ والاستراتيجية ــ وحسنا بشكل ملحوظ نتائج الاسلحة ذاتها ونظم اطلاقها . بسبب تأخر الاتحاد السوفييتي عن الولايات المتحدة في بداية الستينيات ، يبدو ان هذا التطور هو في صالح السوفييت اكثر منه في صالح الاميركيين على الاقل في المستوى الكمي . بعد ان كان في عام ١٩٦٥ عشرة لواحد ، اصبح تقدم الولايات المتحدة بالنسبة للعلاقة ما بين عدد الشحنات النووية والقاذفات الاستراتيجية مثلا ، اصبح اليوم في مستوى اكثر تواضعا وهو احد عشر لعشرة . يبين الجدول رقم ١ بشكل ملخص ترسانات الرؤوس

النووية الاستراتيجية في المعسكرين ما بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٨٥ (الرجوع الى الملحق الرابع لدراسة توزيع صنوف الاسلحة) .

الجدول (١) : الرؤوس النووية الاستراتيجية

	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
الولايات المتحدة	٥٥٥٠	٤٠٠٠	٨٥٠٠	١٠١٠٠	١١٢٠٠
الاتحـاد السوفييتي	٦٠٠	١٨٠٠	٢٨٠٠	٦٠٠٠	٩٩٠٠

كلما كان الاتحاد السوفييتي يقترب من التكافؤ مع الولايات المتحدة في مستوى القوات النووية الاستراتيجية متوسطة المدى والتعبوية ليصل اليه في النهاية ، كان عنصر اساسي لاستراتيجية الرد التدريجي يخسر من مصداقيته شيئا فشيئا .

لكي نفهم ذلك ، من المفيد ان نذكر ان هذه الاستراتيجية كانت تتوقع نشوب الحرب النووية باسلحة ساحة المعركة في حال اخفاق الدفاع التقليدي ، ثم تصعيدا تدريجيا في استخدام الاسلحة النووية (وبالتالي تغيير تدريجي للاهداف المستهدفة من هذه الاسلحة) تبعا لتطور الموقف حتى ادراج القوات الاستراتيجية ضد اهداف واقعة في الاراضي السوفييتية نفسها . بالنظر لفداحة الخسائر التي قد تلحقها القوات الاستراتيجية السوفييتية التي نجت من الضربة الاولى الاميركية ببلده ، من الصعب التخيل ان يقرر رئيس للولايات المتحدة ، بأي ظرف كان ، ان يقرر ضربة استراتيجية الا اذا كانت هذه الضربة انتقاما لضربة نووية سوفييتية . انه هذا التفكير الذي الهم هنري كيسنجر (١٢) لالقاء خطابه ، المنتقد جدا ، في بروكسل عام ١٩٧٩ .. لقد اكد انه مقتنع ان الولايات المتحدة لن تبادر ابدا الى شن هجوم نووي ضد الاتحاد السوفييتي . وقد انتقدت اقتراحات كيسنجر لا لمنطقيتها بل لصراحتها.

هناك عنصر اساسي في استراتيجية الرد التدريجي وجد نفسه يسبقه تحول في الحقيقة المادية للتوازن النووي . بالنظر الى ضخامة الترسانات القادرة على النجاة والبقاء في المعسكرين ، فمن المحتمل جدا ان هجوما استراتيجيا

سيكون خاضعا لرد من نفس النوع. وهكذا تكون الاسلحة النووية الاستراتيجية قد خسرت كل الفائدة العسكرية التي اوكلت اليها فيما مضى . يبقى هدفها الوحيد من الآن فصاعـدا وفقط ردع العـدو عن البدء باللجوء الى قواتـه الاستراتيجيــة .

وهكذا بما ان الحلف الاطلسي لن يكون البادىء باستخدام الاسلحــة النووية الاستراتيجية ، هل من المناسب ان يكون الاستخدام الاول للاسلحـة التعبوية له بمثابة ميزة في المستوى العسكري ؟ ..

تتألف الاسلحة النووية الخمسة آلاف التي تمتلكها دول حلف شمــال الاطلسي(١٣) والمنتشرة اليوم في اوروبا ، تتألف من رؤوس نووية لصواريخ الدفاع الجوي ومن الغام نووية (تسمى ايضا ذخيرة التدمير النووي) ومـن رؤوس نووية للصواريخ قصيرة المدى ومن قنابل نووية وقذائف نوويــة للمدفعية . يقدم الجدول (٢) * تقديرا شاملا لتوزيع هذه الاسلحة :

الجـدول (٢)

الرؤس النووية الاميركية المنشورة في اوروبا عام ١٩٨٥

ـ قنابل تقذف من الطائرة	١٠٧٥
ـ قذائف مدفعية (١٥٥ ملم و ٢٠٣ ملم)	١٦٦٠
ـ شحنات لصواريخ بيرشينغ ــ ٢	٧٢
لانس وهونست جون	٨٩٥
بيرشينغ ــ ٢	١٠٨
الصواريخ العابرة للقارات	١٢٨
ـ شحنات لنظم الدفاع الجوي والالغام النووية	٨٧٠
المجمـوع	٤٨٠٨

* ان القوات النووية التعبوية لدى دول حلف شمال الاطلسي آخـذة حاليا بالتناقص ولكن هــذه الارقام تتناسب تماما مع المستويات الحالية .

تبعا لهذه الارقام ، فان القذائف النووية الخاصة بقطع المدفعية والتي تشكل تقريبا ثلث المجموع ، تشكل اكبر قسم من المخزون . انها ايضا الاسلحة التي تثير اكبر الاهتمامات .

تتألف ترسانة الحلف الاطلسي من نوعين من القذائف النووية الخاصة بقطع المدفعية : قذائف لمدافع ١٥٥ ملم وقذائف للقذافات ٢٠٣ ملم . تؤدي القذافات وكذلك المدافع عملا مزدوجا : بامكانها ان تستخدم لمتفجرات تقليدية كما لشحنات نووية . اما المدى الحقيقي لهذه النظم فقد بقي سرا ولكن اغلب التقارير تقدر هذا المدى بستة عشر كيلو مترا . بسبب مداهـا القصير تنشر سبطانات المدفعية النووية بقرب خطوط الجبهة حيث يكون محتملا ان ينشب نزاع في اوروبا ــ حوالي الفا راس نووي قصير المدى مكثفة في بعض الامكنة القريبة من الحدود الالمانية .

اما شحنات التدمير النووي فهي ايضا تثير بعض المشاكل . ابتكرت هذه الشحنات لسد الممرات الجبلية وممرات الاختناق الاخرى التي سيستخدمها السوفييت اثناء هروبهم المحتمل . ولكن هذه الشحنات ستؤثر ايضـا على ارض دول حلف شمال الاطلسي . اضف الى ذلك انه يتوجب وضع هـذه الشحنات قبل النشوب الحقيقي للحرب وان استعدادات كهذه من جانب دول حلف شمال الاطلسي لن تقوم الا بمفاقمة ازمة كانت موجودة اصلا وبتصعيد خطر الحرب . وفي الوقت ذاته ، وبما انه يتوجب نشرها في اول بداية النزاع، فبالتالي لن يكون لدول حلف شمال الاطلسي الوقت الكافي للتفحص فيما اذا كانت قواته التقليدية تستطيع ان تحتوي قوات دول حلف وارسو .

تطرح مشكلات مماثلة بالنسبة للنظم النووية للدفاع الجوي . فبما انهـا مخصصة لكي تستخدم في بداية نزاع ــ للتصدي للهجمات الجوية الكثيفة التي ستصاحب غزوا تقوم به دول حلف وارسو ــ فبالمقـابل انهـا تتعارض مـع استراتيجية الرد التدريجي .

في حال نشوب ازمة حادة توشك الحرب ان تندلع على اثرها ، ستضغط هذه النوعية من المدفعية النووية والالغام ونظم الدفاع الجوي ، بدون شك ، على القادة السياسيين في دول حلف شمال الاطلسي وخاصـة على رئيس الولايات المتحدة كي يعطوا أوامرهم للقادة العسكريين في مسرح العمليـات لاستخدام هذه الاسلحة . ان اعطي التصريح ام لم يعط ، فان هذه المميزات ــ وفي الطليعة امكانية اصابة المدفعية النووية لدى دول حلف شمال الاطلسي ــ

هي التي تقود عدداً كبيرا من المراقبين على التكهن بـان الحلف سيستخـدم اسلحته النووية التعبوية في الساعات التي ستلي نشوب حرب في اوروبا . نظرا لامكانية اصابة هذه النظم بالقرب من حدود ومستويات دول حلف شمال الاطلسي بسبب استخدامها المبكر ، فسيحاول السوفييت الاغارة عليهـا بسرعة وبوسائل تقليدية . حينذاك يكون لدول حلف شمال الاطلسي الخيار اما باللجوء الى اسلحتها النوويـة التعبوية او الانقياد لرؤية هذه الاسلحـة متضررة او مدمرة .

بكلمات ذات فائدة عسكرية ، لم تنجح دول حلف شمال الاطلسي في اعداد خطط لاستخدام المدفعية النووية ، خطط قادرة في نفس الوقت على تأمين فائدة واضحة للحلف وتجنيب الخطر الثقيل جدا نحو حرب نووية شاملة .

يعود تاريخ التوجيهات الحالية (١٤) المتعلقة بالبدء باستخدام الاسلحـة النووية الى السبعينات . صرح عضو سابق في المجموعة اسم علم) عالية المستوى ، هذه اللجنة الخاصة التي شكلتها دول حلف شمالالاطلسي عام١٩٧٨ لدراسة الوضع النووي للحلف ، صرح انه بالرغم من السنوات الطويلة التي استغرقتها المناقشات لم تنجح دول حلف شمال الاطلسي بعد بالاتفاق حول التوجيهاتالخاصة باللجوء الى القوات النووية من النسق الهجومي الثاني(١٥) ان لم تنجح بادرة اولى بتمديدها ، يعني نار اولى نووية محدودة ، باقناع العدو لوقف هجماتـه العدوانية .

تطرح هنا مشكلتان :

من جهة اولى ، بما اننا نعتقد ان رد دول حلف شمال الاطلسي على غزو لاوروبا الغربية من قبل قوات دول حلف وارسو ، وبما ان المدفعية ليست الا قصيرةالمدى ، فانالانفجاراتالنووية(١٦) ستطال نفس ارض دولحلف شمال الاطلسي . لو اطلق جزء اساسي من قذائف المدفعية النووية الالفين ، لـن تتكبد فعاليات دولحلف وارسو العسكرية خسائر فادحة وحدها بل ان قسما كبيرا من المدنيين والعسكريين في دول حلف شمال الاطلسي سيصابون بجراح او سيقتلون . سينتج عن هذه الانفجارات ايضا اضرار مادية بالغة الاهمية ستجتاح المناطق الريفية والمدنية .

من جهة اخرى ، ليس هناك ما يحمل على الاعتقاد ان دول حلف وارسو التي تمتلك اليوم قوات نووية تعبوية متوسطة المدى مساوية على الاقللقوات

دول حلف شمال الاطلسي ، لن ترد بهجمات كثيفة تهدف أساسا الى تقليص قدرة دول حلف شمال الاطلسي النووية وذلك بتدمير نظم قيادتها ومراقبتها ومستودعاتها النووية والطائرات والصواريخ وفوهات المدفعية المحشوة الجاهزة لرمي اسلحتها النووية ، وقد تهدف ايضا منشآت دعمها التموينية كالمرافىء البحرية والقواعد الجوية . وهكذا ستنتشر الحرب الى باقي اقسام اوروبا الغربية وفي حال قيام دول حلف شمال الاطلسي بشن هجوم انتقامي فان الحرب ستصل بدون شك الى اوروبا الشرقية .

ما هي نتائج نزاع كهذا ؟ في عام ١٩٨٥ تصنعت مناورة اطلق عليها اسم (كارت بلانش) ، تصنعت استخدام ثلاثمائة وخمسة وثلاثين سلاحا تعبويا قدر لثمانين بالمئة منها بالانفجار على الاراضي الالمانية . وقدر عدد الضحايا المباشرة لهذا الرمي (دون الاخذ بعين الاعتبار الضحايا التي ستصاب بالاشعاعات النووية او بأمراض اخرى) ، قدر بمليون ونصف الى مليون وسبعمائة الف قتيل وثلاثة ملايين ونصف المليون جريح ـ اي ما يعادل خمس اضعاف عدد الضحايا المدنيين في المانيا خلال الحرب العالمية الثانية ـ وذلك في اليومين الاوليين للحرب فقط .

افهمت هذه العملية هلموت شميث ان استخدام الاسلحة النووية التعبوية (لن يحمي اوروبا بل سيؤدي الى دمارها) (١٧) .

وقد ايدت هذه النتائج دراسات جرت على مدار الستينات وقد كتب لي عام ١٩٧١ اثنان من مساعدي في البنتاغون : (حتى في الفرضية الاكثر ايجابية ، ينتج ان ما بين مليوني وعشرين مليون اوروبي سيقتلون وان اقتصاد المنطقة سيخضع لاضرار كثيفة وانه في حالة التصعيد بهجمات مضادة على المدن فسيصل عدد القتلى بلا ريب الى مئتي مليون (١٨) .

هل يؤثر نشر اسلحة اكثر حداثة في المعسكرين خلال السبعينات ، هل يؤثر على حرب نووية في اوروبا ؟ ولا اي تأثير . في عام ١٩٨٠ جمع الامين العام للامم المتحدة مجموعة من الخبراء(١٩) تصنعت نزاعا استخدم فيه المعسكران الفا وخمسمائة قذيفة مدفعية نووية ومائتي قنبلة نووية . حسب استنتاجات هذه المجموعة ، فان نزاعا كهذا سيؤدي باقل تقدير الى خمسة او ستة ملايين ضحية مدنية مباشرة والى اربعمائة الف ضحية عسكرية يضاف اليها على الاقل مليون ومائة الف مدني مصابين باضطرابات ناتجة عن الاشعاعات الذرية .

بيد أن هذه المقولات على الرغم من فظاعتها ، لاتتوقع استخدام سوى جزء يسير من الاسلحة النووية التعبوية المنتشرة في اوروبا . انها تفترض من ناحية اخرى انه من بين آلاف الرؤوس النووية الموجودة في الترسانات الاستراتيجية المركزية في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، لن يطلق منها اي راس ، ولكن قسما من هذه القوى المركزية مخصص للاستخدام في اوروبا في حالة الطوارىء : خصصت الولايات المتحدة لدول حلف شمال الاطلسي اربعمائة من صواريخها القاذفة من نوع بوسيدون التي تطلقها الغواصات ويبدو ان الاتحاد السوفييتي ينوي استخدام عدة مئات من صواريخه الباليستية العابرة للقارات ضد أهداف اوروبية .

هل هو واقعي هذا الامل بأن يقتصر كل من المعسكرين اللذين يمتلكان آلاف الاسلحة النووية ، بأن يقتصر في حالة نشوب الحرب ، على استخدام بضع عشرات أو حتى مئات فقط من هذه الاسلحة ؟...

بالطبع لا .. اذ يفترض ، بالرغم من ضخامة الخسائر بالارواح البشرية والاضرار من كلا الجانبين التي سببتها الضربات الاولى ، ان يشعر احد الطرفين ان العملية ليست في صالحه وان يعترف بخسارته . ولكن في حالة فريدة كهذه ، سيكون قادة الكتلتين خاضعين لضغوطات غير اعتيادية تجبرهم على شن هجمات انتقامية لحماية مصالحهم المهددة . سيخشى كل معسكر في كل آن من هجمة معادية اكثر ضخامة ولكن لن يكون لديه الا معلومات جزئية حيث ان الاتصالات تكون مشوشة من نعل المعركة(٢٠)، وشبكة الاتصالات السلكية مدمرة بفعل الهجمات المعادية في شروط كهذه وعوضا عن الاستسلام ، فان كل واحد من ابطال الرواية يجتاز درجة جديدة في التصعيد بأمل وضع حد للنزاع واجبار العدو على الاستسلام .

كما سنراها وبتفصيل أكثر في الفصل الرابع ، انها اعتبارات من هذا القبيل هي التي ادت لا باللورد كارفر فحسب بل ايضا باللورد ملونتباتن وبآخرين كثيرين من رؤساء الاركان الثمانية الى الاستقالة من وزارة الدفاع البريطانية(٢١) اذ ، ولا بأي حال من الاحوال ، كانوا سيوصون دول حلف شمال الاطلسي بأن تكون هي البادئة باستخدام الاسلحة النووية .

وفي عام ١٩٦١ و ١٩٦٢ ادت به اسباب مشابهة الى اتخاذ قرارات مماثلة .

يبدو لي انه من غير المعقــول ، ولست الوحيد على اعتقــاد ذلك ، أن حربا نووية محدودة ستبقى بالفعــل محدودة اذ ان قــرارا بسيطا بالبــدء باستخدام السلاح النووي سيكون له نتائج مفجعه كتلك النتائج الناجمة عن تبادل نووي شامل . اجمالا انني لا ارى خطة لاستخدام الاسلحة النووية تستطيع بشكل معقــول ان تضمن فائــدة لدول حلف شمال الاطلسي .غير ان استراتيجية الحلف مازالت ترتكزعلى التهديد باتخاذ مبادرة النارالنووية.

اسمحوا لي أن اكرر ، لااعتقــد ان أحــدا من الاتحاد السوفييتي أو الولايات المتحــدة يرجو الحرب . ولكــن كما نوهت الى ذلك في الفصل الاول. لقد حضرنا في الماضي مجابهــات خطيرة بين دول حلف وارسو ودول حلف شمال الاطلسي قد تتكرر في المستقبل . تستطيــع اخطــاء في التقــدير او معلومات مغلوطة ان تؤدي الى الحرب . في حال نشوب نزاع تلا اخفاقا في الردع فان الاستراتيجية الحالية للولايــات المتحــدة ودول حلف شــمال الاطلسي ستعرض للدمار كل الحضارة الغربية .

هذه هي النتيجة المذهلة ـ وغير المقبولة بنظري ـ لسلسلة من القرارات المتخــذة مــن قبل المسؤولين العسكريين والمدنيين في الشرق والغرب علــى مدى هذا النصف الاول من قرن العصر النووي . هل سنتوصل للتخلص من هذا المأزق خلال الخمسين عاما القادمة ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال، من المناسب سبر عدد معين من الفرضيات المنتشرة بشكل واسع ـ اعتبرها اخطــاء في تقدير الحقيقة ـ التي توشك بأن تحول اجابتنا .

* * *

الفصل الثالث

الخرافـــات النوويـــة

أخطاء التقدير التي تهدد أمننا

في الولايات المتحـدة كما في بقية انحاء العالم ، غالبا ماترتكب اخطاء في تقدير التوازن النووي بين الشرق والغرب والاختيارات التي تؤثر على هذا التوازن . انني اقترح حاليا التذكير ببعض من هذه الآراء والاحكام المغلوطة بالرغم من انتشارها الواسع .

* يمتلك السوفييت قوات نووية تفوق قواتنا .

* يمتلك السوفييت مقدرة تمكنهم من البدء في الضربـة الاولـى او يوشكون على امتلاك هذه المقدرة .

* مهما كان الراي العام الاميركي فان السوفييت سيتابعون تنمية قدرتهم النووية باسرع وقت ممكـن وباطول استمرارية ممكنة .

* اذا جند الغرب امكانياته التقنية فانه يستطيع الوصول والمحافظة على تفوق نووي هام .

* بسبب الخصومة السياسية بين الشرق والغرب فانه من الطبيعي والمحتم ان تصل الترسانات النووية الى مستواها في التطور الحالي .

* ليس لاتفاقيات السيطرة على الاسلحـة اي قيمـة فان السوفييت يخترقونها دون ان يستطيع احـد كشف هذه المخالفات .

* لم تساعد اتفاقيات السيطرة على الاسلحة الا على تعظيم القوات السوفييتية .

* حتى عندما تكون غير مفيدة في المستوى العسكري فبامكان الاسلحة النووية ان تكون بمثابة أهداف سياسية .

اعتبار هذه الاعتقادات على انها اخطاء في التقدير ، لايعني ان السياسة النووية للسوفييت غير خطيرة وان التهديد القاتل الذي تطغى به ليس حقيقيا. ولكن لمجابهة هذه السياسة بنجاعة ، يجب أولا فهمها وان هذه الاخطار في التحليل تمنعنا من ذلك .
يمتلك السوفييت تفوقا نوويا .

تجعلنا كل مصطلحات السباق للتسلح النووي نعتقد ان الولايات المتحدة متقدمة أم متأخرة وان هناك (رابح) و (خاسر) ، بالنسبة للرأي العام الاميركي ، تبعا لاستقصاءات عديدة ، لايجب على الولايات المتحدة ان تحاول كسب السباق الى التسلح(١) ولكن ليس الموضوع ان تخسر هذا السباق ـ اذ ان تفوقا سوفييتيا غير مقبول يبدو ان الاميركيين مشغولون ومهتمون باحتمال كهذا ، بحق . النقطة الرئيسية ـ والصعوبة ـ هي بمعرفة كلمة التفوق النووي وبتحديد ، عند الاقتضاء ، من يمتلكه .

تؤكد شخصيات كبرى من المرتبة الاولى ان السوفييت متقدمون . كتبت جين كير كباتريك السفير السابق للولايات المتحدة لدى الامم المتحدة ، كتبت قائلة في كانون الثاني عام ١٩٨٦ :

(الحدث الاكبر لعام ١٩٨٥ فيما يخص العلاقات الدولية (....) كان الامكانية المتعاظمة لاصابة الولايات المتحدة . لاول مرة في التاريخ الاميركي يمتلك عدو قدرة على تدمير بلدنا (...) . ان التفوق السوفييتي في مجال الصواريخ النووية هو حقيقة وانه لايتوقف على النمو وان قدرتنا على الردع هي ضئيلة جدا وهي مستمرة في الهبوط) (٢) .

اننا نعرف آراء الرئيس ريغان حول هذا الموضوع : في الساعة الحاضرة، انني مرغم على القول ان الولايات المتحدة (...) ما زالت متاخرة جدا عن الاتحاد السوفييتي بالنسبة لكافة الاسلحة الهجومية دون استثناء(٣). اما المستشار الحالي للرئيس في شؤون السيطرة على الاسلحة ، بول نيتز فقد اطلق هذا التحذير : (لايريد القادة السوفييت الحرب النووية ، انهم يعتقدون ان افضل وسيلة لتجنب حرب نووية مع الوصول الى اهدافهم، هي امتلاك تفوق ساحق(٤)).

تأكيدات كهذه ، تقلق الاميركيين بجدية ، وفي ذاتها ،انها شيء حسن . لحسن الحظ، يختلف الموقف تماما عما تقودنا هذه التصريحات على التفكير به . لنعتبر مثلا اجابة السيناتور نان على تصريح الرئيس ريغان : (هل أعلم الرئيس عن الفائدة التي تجنيها الولايات المتحدة في مضمار الغواصات وحاملات الطائرات والطائرات ذات الدعم التعبوي وقوات الانتشار السريع والصواريخ القاذفة بحر ــ بر والصواريخ العابرة للقارات وقاذفات القنابل؟ على الرئيس ان يعرف نقاطنا الضعيفة ولكن عليه ان يعرف ايضا نقاطنا القوية (٥). يحق للاميركيين ان يعرفوا .. اين هو اذا في الحقيقة التوازن النووي بين الشرق والغرب ؟.

اما القوات الهجومية للمعسكرين فهي ممثلة بالتفصيل في الملحق الثالث وملخصه في الجدول الثالث(٦).

الجدول رقم (٣)

الترسانات النووية للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٥

	عدد الصواريخ والقاذفات		عدد الرؤوس النووية	
	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفييتي	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفييتي
نظم طويلة المدى :				
صواريخ قاذفة عابرة للقارات (I C B - M)	١٠٢٣	١٣٩٨	٢١٢٦	٦٤٢٠
صواريخ قاذفة بحر ــ ارض (S L B - M)	٦٩٠	٩٦٧	٥٧٢٨	٢٨٨٧
قاذفات	٢٩٧	٣٠٠	٣٣٣٤	٦٠٠
المجموع			١١١٨٨	٩٩٠٧
صواريخ متوسطة المدى	٢٣٦	٥١٤	٢٣٦	١٤٣٥
اسلحة نووية تعبوية			٩٥٠٠	٨٤٣٢
المجموع النهائي*			٢٠٩٢٤	١٩٧٧٤

* تستبعد هذه المجاميع عشرة آلاف رأس نووي مخزن ولكن غير منشور.

انني اعترف ان مقارنات بسيطة عددية لاتوفر الا معلومات تقريبية وغير مكتملة عن الترسانات العسكرية لدى كلا المعسكرين . ولكن هذه الارقام تظهر تكافؤا تقريبيا في مجال الاسلحة طويلة المدى وفي الاسلحة التعبويةوخاصة ان المجاميع تتجاوز بكثير احتياجات كل الخطط العملياتية التي يمكن ان نتصورها . وحسب شهادة تشرشل الشهيرة : ان قوات كل من المعسكرين تكفي مرات ومرات لتفجير الانقاض المتبقية مرات ومرات متتالية .

مؤخرا ، اشاعت الادارة الاميركية ان لدى السوفييت تفوقا في مستوى لا الاسلحة الهجومية فحسب بل في الانظمة الدفاعية . فمثلا ، اشار وزير الدفاع كاسبار واينبرغر انه خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة انفق السوفييت (أموالا طائلة جدا على انظمة دفاع استراتيجي وعلى انظمتهم الاستراتيجية الهجومية)(٧) .

من المؤكد ان يستثمر الاتحاد السوفييتي مبالغ بالغة الاهمية في انظمة دفاعية . ولكنه كرس للدفاع المضاد للقاذفات اكبر نصيب من هذهالميزانية بينما توقفت الولايات المتحدة عن الانفاق على هذا الصنف من الاسلحة في الستينات مع مجيء الصواريخ . اليوم يجمع الخبراء الاميركيون عامة على تقديرهم ان عشرات مليارات الدولارات التي انفقها السوفييت خلال العشرين سنة الاخيرة كانت خسارة محضة . لم اسمع قط ضابطا اميركيا رفيع المستوى يعبر عن ادنى شك بقدرتنا على اختراق المجال الجوي السوفييتي . في عام ١٩٨٥ اكد لورنس غيرشوين من وكالة الاستخبارات المركزية امام الكونغرس انه (لمجابهة هجوم عدواني تشترك فيه القاذفات والصواريخ العابرة للقارات ، لن يكون نظام الدفاع الجوي السوفييتي قادرا خلال السنوات العشر القادمة ، على الحاق خسائر كافية تجنب الاتحاد السوفييتي من اضرار بالغة الضخامة(٨)) .

لايدع رؤساءأركان الجيوش اي شك في تثمينهم لقدرات القواتالنووية الاميركية والسوفييتية . لدى سؤالهم ان كانوا يبادلون القوات الاميركية بالقوات السوفييتية – الهجومية والدفاعية في آن واحد – يجيبون بالنفي دون تردد . قال الجنرال ديفيد جونز ، الرئيس السابق للجنة رؤساء الاركان عام ١٩٨٠ انه (لن يبادل القوات العسكرية الحالية للولايات المتحدة بالقوات العسكرية للاتحاد السوفييتي) (٩) . وقد ايد رأيه الجنرال جون نيسي رئيس هيئة رؤساء الاركان من عام ١٩٨٢ حتى عام ١٩٨٥ حين قال

(وبالاخص هل اقايض وظيفتي بوظيفة الماريشال اوغاركوف (رئيس اركان القوات المسلحة السوفييتية) ؟ بالطبع لا (١٠) حتى ولا مقابل امبراطورية بكاملها (. بينما اكد الرئيس الحالي لهيئة رؤساء الاركان الاميرال ويليام كروي (١١)، في ٥ شباط ١٩٨٦ انه يوجد في الوضع الراهن ، شبه تكافؤ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

بالرغم من وجهة نظر هيئة رؤساء الاركان وحقيقة بيان القوى التي يظهرها الجدول ، فقد اشارت ادارة ريغان لدى تسلمها السلطة الى (نافذة قابلية الاصابة)، اي ، الى الخطر الكامن في امكانية تدمير الصواريخ القاذفة الاميركية المنتشرة على الاراضي الاميركية في مخابئها من قبل هجوم فجائي يشنه السوفييت ـ خشية سأعود اليها لاحقا . ولكن في عام ١٩٨٣ ، استنتج تقرير اللجنة حول القوات الاستراتيجية التي شكلها الرئيس ريغان والتي ادارها الجنرال برنت سكوكروفت(١٢) (لجنة سكوكرفت) ، مخاوف الادارة دون اساس وانه لايوجد نوافذ تصاب منها القوات الاميركية .

في الواقع ، لم يتفق الخبراء العسكريون مع الادارة حول الدونية الاميركية المحتملة ، هل يتوجب الاستنتاج ان الرئيس ومساعديه قد زوروا الحقائق عن قصد ؟...

لااعتقد ذلك ...

انني مقتنع تماما ان تحذير الرئيس ريغان هذا ، مع انه غير مثبت ، لم يكن يهدف عمدا تضليل الراي العام . ففي صدد اخطاء التقدير ، هنالك سوابق . فاثناء حملته الانتخابية عام ١٩٦٠ عبر الرئيس جون ف . كينيدي هو ايضا عن مخاوف جدية حول تفاوت استراتيجي في مضمار الصواريخ (صاروخ كاب) بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي . كان يسند تأكيداته هذه على تقديرات المخابرات الجوية الاميركية . لذلك كانت اولى اولوياتي عند تسلمي منصب وزير الدفاع في كانون الثاني ١٩٦١ ، ان احدد ضخامة هذا التفاوت وان اتخذ الاجراءات اللازمة لتجاوزه . لم يتطلب الوقت مني ومن مساعدي روزويل جيلباتريك سوى ثلاثة اسابيع لاعرف حقيقة وجود تباين على مستوى الاسلحة الهجومية ولكن كما اكدت وكالة الاستخبارات الاميركية ، كان الموضوع يتعلق بتفاوت واسع ولكن في صالح الولايات المتحدة (الرجوع الى الملحق الرابع). دون اية نية خادعة ،كانت القوى الجوية قد فسرت معطيات غامضة فيمعنى مناسب لبرامجها التسليحية.

ان اخطـاء في التقدير مثل ذلك التاخر المزعوم في مجـال الصواريخ او وجـود نافذة تصاب منها القوات الاميركية ، بامكانها فعلا ان تكلف غاليـا جـدا ، فانها توشك ان تؤدي الى تضخم مالي في ميزانيات الدفاع والىزيادة الحذر بين الشرق والغرب ، وفي حال نشوب ازمة عسكرية او سياسية ، تؤدي الى الانسياق الى قرارات غير ملائمة فيما يخص استخدامالاسلحة.

ببب التوازن الحالي للقوات الاستراتيجية والحالة الراهنة للتقنيـة النووية ، لا الشرق ولا الغرب قادران على التوصل الى تفوق قاطع وحاسم ان بقي كل منهما متيقظـا . نحن اليوم في وضعية تكافؤ ، وهدفنا للمستقبل هو الحفاظ على هذا التكافؤ .

اثناء زيارة قريبة لي قمت بها للاتحاد السوفييتي ، سالني عدة مسؤولين سياسيين وعلماء روس عن تعريف للتكافؤ النووي وقد اجبت ان التكافـؤ موجود عندما يرتدع كل معسكر عن شن ضربة استراتيجية لانه علـى يقين ان هذه الضربة ستلحقها ضربة انتقامية تكبده اضرارا غير مقبولة . واضفت: (مع احتمال مفاجاتكم ، ساقول انه حسب رايي الشخصي ، كان التكافـؤ موجـودا في تشرين الاول عام ١٩٦٢ خلال ازمة صواريخ كوبا . كانت الولايات المتحـدة تمتلك حينذاك خمسة آلاف راس نووي استراتيجي بينما لـميكن المعسكر السوفييتي يمتلك الا ثلاثمائة راس . بالرغم من هذا التفـوقبنسبة سبعة عشر لواحد ، فلا الرئيس كنيدي ولا انا بالذات فكرنا ولـو لحظـة واحدة ان نشن هجوما نوويا على الاتحاد السوفييتي لاننا نعلم انه حتى لـو دمرت ضربة كهذه الاتحاد السوفييتي ، فسيبقى حوالي عشرة اسلحةبامكانها حينذاك ان تلقى على الولايات المتحـدة وان تقتل ملايين الاميركيين . ليس هناك اي قائد سياسي مسؤول يرضى بأن يجازف بلده بكارثة كهذه).

احدى الاستنتاجات التي استخلصها من هذه الواقعة هي ان (عرض) (شريط التكافؤ) كبير للغاية . في عام ١٩٦٢ اكانت العلاقة سبعة عشر لواحد ، او خمسة لواحد ، او اثنان لواحد لصالحنا ـ حتى ولو اثنان لواحد لغـير صالحنا ـ فان موقفنا لم يكن ليتغير ابدا ، ولا في اي حال من الاحوال لم يكن لا السوفييت ولا الاميركيون قادرين على التفكير باستخدام او حتى التهديـد باستخدام القوة النووية للوصول الى هدف سياسي .

على المستوى الحالي للقوى ـ حيث يمتلك كـل معسكر عشرة آلاف او احد عشر الف راس نووي استراتيجي ـ ما زال شريط التكافؤ اكبر مما كان

عليه في عام ١٩٦٢ . في شروط كهذه يبدو لي من غير المعقول ان يتمتع واحد من الاثنين بـ (التفوق) او ان يتخذ الاجراءات التي تسمح له بالتوصل الى هذا التفوق . التكافؤ هو كل ما نستطيع ان نأمل . وللحفاظ عليه لسنا بحاجة لان نمتلك تماما نفس عدد اسلحة المعسكر الآخر . بالنظر الى عدم التناسق الواضح الذي يميز اليوم القوات الاستراتيجية الاميركية والسوفييتية ــ على سبيل المثال ، ان قوتنا الاستراتيجية البحرية متفوقة بشكل واضح على قوة السوفييت ــ فان قبول شريط تكافؤ عريض نسبيا يعطي مجالا اوسع وحرية في التصرف اثناء المفاوضات حول السيطرة على الاسلحة للاتفاق على تخفيض في مستوى القوى .

هناك درس آخر يستحق ان نأخذه من مشكلة الصواريخ الكوبية وهو يوضح المظهر ربما الاكثر غرابة في عصرنا النووي . لم يكن الامر مجديا ان الولايات المتحدة ارتدعت عن اللجوء الى السلاح النووي ان لم يتأكد السوفييت من موقف الاميركيين . وبما انهم على علم تماما بالتفوق بنسبة سبعة عشر لواحد لصالحنا ، كان عليهم ان يخشوا من محاولة الولايات المتحدة اثارة تفوقهم العددي . هذا التردد من جهة السوفييت وضع بلدنا في خطر كبير لسبب بسيط جدا : ان اقل مؤشر لمشروع هجوم من طرفنا كان سيشكل بالنسبة للقادة السوفييت تحريضا قويا لشن ضربة مبكرة على ارضنا . ولو اعتقد السوفييت ببدء هجوم اميركي لكانوا سعوا الى قرار تدمير اكبر قسم ممكن من القوات النووية في الولايات المتحدة عوضا عن الانتظار والمجازفة برؤية الرؤوس النووية الاميركية الخمسة آلاف تنقض عليهم .

انه في صالح المعسكرين تماما تجنب مواقف عدم الاستقرارية الكبرى كهذه . لذلك من المهم ان يشعر كل واحد بنفسه انه اقل امكانية للاصابة من الآخر . وسوف يؤدي العمل بهذا الاتجاه الى ما نسميه (الاستقرارية في حال الازمة) .

حصلت ازمات خطيرة بين الشرق والغرب ، وهناك اسباب تجعلنا نعتقد ان ازمات اخرى ستحصل في المستقبل . تأمين (الاستقرارية في حال الازمة) يشكل اولوية اساسية لتصميم القوات الاميركية والمفاوضات حول السيطرة على الاسلحة . يتوجب على الولايات المتحدة ان تتابع هذا الهدف من جانب واحد من جهة ، وفي اطار اتفاقية مع الاتحاد السوفييتي من جهة اخرى . ساقدم لاحقا في هذا الكتاب مقترحات واضحة في هذا المعنى .

يمكن ان يكون مفهوم الاستقرارية في حال نشوب الازمة مفهوما متناقضا . انه يرتكز على الفكرة القائلة بأن للولايات المتحدة كل المصلحة بتقوية الشعور بالامن لدى خصمها . كثيرون هم الذين يدعمون عكس هذه الفكرة تماما ويؤكدون انه من المهم ابقاء الاتحاد السوفييتي على حذر لمواجهة القدرة الاميركية . ولكن في عصر الاسلحة النووية حيث يمسك بلد بين يديه مصير بلد آخر ، لايمكن تطبيق القواعد القديمة . ان الحادثة التالية هي مثل واضح عن هذا التناقض .

في عام ١٩٦٢ جاء كاتب الافتتاحيات في الصحف ستوارت آلسوب (١٣) الى مكتبي في البنتاغون . كان قد علم لتوه ، كما قال ، ان لدى وكالة الاستخبارات المركزية الدليل بان السوفييت يقوون ويدعمون صواريخهم لجعل تدميرها اكثر صعوبة . سألني ان لم يكن هذا الخبر يقلقني فاجبته : (ياستو ، انني معتاد على عدم التعليق على المعلومات الصادرة عن وكالة الاستخبارات المركزية ، ولكن اسمح لي ان اقول لك ما يلي : ان بدأ السوفييت بتدعيم مواضع صواريخهم فلتتمجد السماء . وقد نشر ستوارت السوب اقوالي هذه في صحيفة « ساتوردي ايفننغ بوست » . احتج الكونغرس على الفضيحة . وطالب عدة اعضاء فيه باستقالتي : كيف يستطيع وزير للدفاع ان يبتهج برؤية السوفييت يدعمون دفاعهم ..

لم يكن لدى السوفييت سوى ثلاثمائة راس نووي استراتيجي ، كانت صواريخهم وقاذفاتهم اهدافا هشة ، اي قابلة للاصابة . كنت ارجو اذا في فترة التوتر ، ان يطمئن السوفييت على امكانيتهم في البقاء وفي الرد في حال شن هجوم اميركي وهكذا لن تخول لهم نفسهم اتخاذ قرار لاعقلاني . لو كان السوفييت يدعمون مواضعهم ومخازنهم واذا كان هذا الاجراء يهدىء مخاوفهم من ضربة اميركية مبكرة ، فلم يكن على الولايات المتحدة الا الابتهاج من ذلك . هذا كان موقفي .

ان الجهود للتوصل الى التفوق بالنسبة لمعسكر ما هي التقيد بسياسة رادعة بينما لاتظهر غالبا للمعسكر الآخر الا كمحاولة لامتلاك وسائل لشن وكسب حرب نووية . اما الخشية الاميركية من رؤية السوفييت يقتنون او يحاولون اقتناء مقدرة تمكنهم من ضربة مبكرة ، فهي تشكل خطرا آخر في التقدير اقترح معاينته الآن .

يعود سبب السباق للتسلح الى الخشية الغامضة حول اقتناء المعسكر الخصم او محاولة اقتنائه مقدرة تمكنه من القيام بضربة اولى ــ اي تجريد العدو من سلاحه بشكل فعال وبالتالي ارغامه على الاستسلام .

صرحت (اللجنة حول الخطر الحالي) التي كانت تضم في عضويتها شخصيات بارزة تعارض اتفاقيات (سولت) بالتالي : يقوم الاتحاد السوفييتي بتعزيزه الدائم لقدرته النووية الاستراتيجية ويظهر هذا التعزيز ان هذا البلد لا يلتزم بالتصورات الاميركية حول المقدرة (الكافية) والردع المتبادل التي تؤمنه هذه المقدرة . لقد انشئت القوى النووية السوفييتية ، الهجومية منها والدفاعية ، كما انذرت اللجنة ، لتمكين الاتحاد السوفييتي من شن حرب نووية شاملة ومن النجاة منها ومن كسبها (١٤) . (لقد اكد تقرير صادر عن وزارة الدفاع الاميركية ان نشر الصواريخ اس اس ــ ٢٥(١٥) (قاذف جديد متحرك مجهز براس نووي ذي دقة عالية في الرمي) وبعدد لايستهان به سيؤدي الى تآكل الردع والى التقديم للسوفييت امكانية التفكير بالبدء بشن الضربة الاولى بواسطة صواريخهم القاذفة العابرةللقارات(ICBM) تاركين جانبا احتياطيا من الصواريخ المتحركة القادرة على الصمود بهدف شن هجوم معاكس . ولقد اشار الرئيس ريغان بنفسه قائلا :

(تبين كل تصريحاتهم ، اكانت شفهية ام مكتوبة ؛ ان السوفييت بعكسنا ، يؤمنون في امكانية نشوب حرب نووية . انهم يعتقدون ايضا ان بالامكان كسب هذه الحرب ، وهذا يعني انهم يعتقدون انه اذا حصل اي معسكر على تفوق كاف فباستطاعته ان يحرم الخصم من مقدرته على الرد (١٦) .

يظهر اذا ان الترسانة السوفييتية العظيمة للصواريخ الباليستية العابرة للقارات (١٧) ذات قدرة ودقة في الرمي متزايدتين ولدت عند كثير من المسؤولين الاميركيين الخشية من ضربة مبكرة . حسب هذا السيناريو (تستطيع الصواريخ السوفييتية وبضربة واحدة ان تقصي وتستبعد اغلبية صواريخنا الباليستية العابرة للقارات مينتمان* ، اما غواصاتنا وقاذفاتنا التي قد تنجو من الهجوم فانها لن تسمح لنا بتوجيه ضربة انتقامية سوى ضد المدن السوفييتية ، ولكننا لن نجازف بذلك خشية من هجوم معاكس سوفييتي على مدننا نحن . وهكذا لن يكون لنا خيار آخر سوى الخضوع لكل المطالب السوفييتية .

---

* Minuteman .

تبعا لسيناريو اكثر دقة حول (نافذة قابلية الاصابة) ان التهديد البسيط بضربة مبكرة هو ابتزاز سياسي من قبل السوفييت .

لايفهم الذين يؤمنون بسيناريو الضربة المبكرة ، حقيقة الصواريخ القاذفة العابرة للقارات السوفييتية وحقيقة الرجال الذين يديرونها .

انهم ضحايا مجموعة من المفترضات : بالنسبة لهم سيكون القادة السوفييت مقتنعين ان انظمتهم المعقدة جدا التي لم تجرب الا بشكل منفصل وفي نطاق محدود ، تستطيع ان تنفذ عددا كبيرا من المهمات بشكل مترابط تماما اثناء ما سيكون الحرب الاكثر تدميرا في تاريخ البشرية . وان اقمارنا الصناعية للانذار المبكر لن تكتشف شيئا من الاستعدادات الصعبة للغاية التي تتطلبها ضربة كهذه . حالما يكشف الهجوم ، لن نطلق صواريخنا ولن نحاول استخدام آلاف رؤوسنا النووية المتبقية لدينا والمحملة على غواصاتنا وطائراتنا ضد الاهداف العسكرية السوفييتية القابلة للاصابة . واخيرا الفرضية الاخرى: سيقدر السوفييت اننا لن نستخدم هذه الترسانة الواسعة من القوى السليمة للقيام بضربات انتقامية ضد تجمعاتهم السكانية المدنية في حين ان تدمير مستودعاتنا قد ترجم بعشرات الملايين من الضحايا في السكان الاميركيين .

يجب على المرء ان يكون مجنونا تماما كي يجازف بهذه المجازفة وان القادة السوفييت يوصفون بكل شيء الا بالجنون .

ان لجنة سكوكروفت(١٨) التي شكلت من قبل الرئيس ريغان بالذات ، قد اعترفت ، كما أشرت الى ذلك اعلاه ، انه حتى بالنسبة للسوفييت ، ان ضربة مبكرة ليست اختيارا عقلانيا . وحسب هذه اللجنة ، في الشروط الحالية ، لن يتوصل اي هجوم منظم بالغواصات والصواريخ الباليستية العابرة للقارات الارضية السوفييتية ، لن يتوصل الى اصابة قاذفاتنا في البر وصواريخنا من طراز مينتمان في مخابئها دفعة واحدة . من جهة اخرى ان غواصاتنا التي تحمل قسما اساسيا من رؤوسنا النووية الاستراتيجية هي محمية من الهجمات بما اننا ميزنا دائما تقنيات التمويه على تقنيات الكشف . كما قال معاون الاميرال نيلز ر . تونمان ، الرئيس المساعد للعمليات البحرية الحربية المتعلقة بالغواصات: (تؤكد لنا معلومات موثوقة ان السوفييت لن يعرفوا في المدى المنظور كيف يعدون وسائل تقنية تمكنهم من تخفيض ، وبشكل معبر ، الفعالية الاستراتيجية لقوة الصواريخ التي تطلقها غواصات الولايات المتحدة (١٩) .

ينفي القادة السوفييت انهم يحاولون التجهز بقدرة تمكنهم من شن الضربة الاولى . صرح ليونيد بريجينيف مثلا عام ١٩٧٧ قائلا : (التاكيد على ان الاتحاد السوفييتي يطور حاليا قواته الى ما فوق ما يلزمه لدفاعه وانه يسعى للتوصل الى التفوق للحصول على قدرة تمكنه من (الضربة الاولى) ليس الا سخافة لا اساس لها من الصحة (٢٠)) .

لقد تفاقمت صعوبة التوصل الى تفسير صحيح للاستراتيجية السوفييتية، بفعل ان السوفييت طرحوا على انفسهم اسئلة مشابهة للنوايا الاميركية . ان نظرتهم للولايات المتحدة هي تماما الصورة المقلوبة لنظرتنا للاتحاد السوفييتي .

ان وضعنا لصواريخنا من طراز ام اكس ذات الرمي المتناهي في الدقة والمزودة بعشرة رؤوس نووية في مخازن الصواريخ مينتمان القابلة للاسابة ، لايفسر بعيونهم الا في اطار استراتيجية الضربة الاولى . بالنسبة لهم ان صاروخ ام اكس قد صنع لا للردع ولكن لشن الضربة الاولى وبدء حرب نووية (٢١) . تشير التصريحات السوفييتية بعد خطاب الرئيس ريغان حول (حرب‌النجوم) ، تشير دائما الى المقدرة على البدء بالضربة الاولى . بعد اسبوع واحد من طرح مبادرة الدفاع الاستراتيجي (IDS) في آذار عام ١٩٨٣ صرح يوري اندروبوف قائلا :

« للوهلة الاولى سيجد الجاهل هذه المبادرة جذابة بما ان الرئيس يقترح ما يبدو انه خطوات دفاعية . ولكن ذلك ليس سوى انطباع اولي ويجب على المرء ان يكون ساذجا ليتوقف عنده . بالفعل سيواصل الاميركيون تطوير قواتهم الهجومية الاستراتيجية وتحديثها باسرع وقت ممكن وذلك بهدف دقيق جدا الا وهو اقتناء مقدرة البدء بشن الضربة النووية الاولى (٢٢) » .

ان المخاوف السوفييتية بالنسبة لضربة اولى اميركية هي بدون اساس ولكنها واضحة وجلية .

عندما كنت عضوا في ادارة كينيدي ، علمت ان بعض المسؤولين في القوات الجوية الاميركية كانوا يتمنون فعلا ان تحصل الولايات المتحدة على مقدرة لتوجيه الضربة الاولى القادرة على ابادة شبه مجمل القوات النووية السوفييتية . وقد صرحت في مذكرة مخصصة للرئيس ، صرحت عام ١٩٦٢ مرتكز على مستند مصدره القوى الجوية الاميركية :

« توافق القوات الجوية الاميركية على تطوير القوى ، هذا التطوير الذي يؤمن للولايات المتحدة المقدرة على شن الضربة الاولى الجديرة بثقة الاتحاد السوفييتي كما بثقة حلفائنا وبرهن اننا سنظل قادرين دائما على الحد من الاضرار التي ستلم بنا وتصيبنا وحلفاءنا تبعا للظروف (٢٣) » .

وقد عبرت عن عدم موافقتي وقبل الرئيس وجهة نظري .

لاتقتني الولايات المتحدة اليوم مقدرة تمكنها من توجيه ضربة اولى مؤثرة. ولم تحاول اي ادارة في الخمس والعشرين سنة الاخيرة اقتناءها . انني مقتنع ان ذلك ليس ايضا هدف الرئيس ريغان . ولكن بسبب تركيب القوات الاميركية وبسبب توجهنا التقني وبسبب بعض التصريحات السابقة كالتصريح الذي ذكرته آنفا فلا عجب من المخاوف السوفييتية .

انني اكرر : في الولايات المتحدة كما في الاتحاد السوفييتي ، تكمن الخشية من الاصابة بضربة اولى معادية . وهذه الخشية حقيقية . ولكن في حال نشوب ازمة ، المهم هو ما يعتقده المعسكر المقابل ـ لا الحقيقة الموضوعية . تثير هذه المخاوف تطور انظمة جديدة للاسلحة لن يخفق كل معسكر بتصورها مهددة جدا بعد ان يمتلكها الخصم نفسه . هكذا ستحمل آخر غواصاتنا قريبا صواريخ تمكن دقة الرمي فيها ، من تدمير المخازن السوفييتية وعندما يحذو السوفييت حذونا ـ كما يفعلون دائما ـ ستقوم غواصاتهم للمرة الاولى بتهديد آني لمراكز قيادتنا وقواعد قاذفاتنا وصواريخنا القاذفة العابرة للقارات من طراز مينتمان .

ان المخاوف المتعلقة بالضربة الاولى ـ الحقيقية بالرغم من انها مستندة الى اخطاء في التقدير ـ يجب عليها ان تؤخذ بعين الاعتبار . وساعود الى هذه النقطة مطولا في الفصل الرابع .

مهما كان الموقف الاميركي فان السوفييت ينمون ترساناتهم النووية

يشعر كثير من الاميركيين انه ، اذا في اوقات محددة ، طورت الولايات المتحدة قواتها النووية ، وفي اوقات اخرى برهنوا على الاعتدال ، فان الاتحاد السوفييتي من جهته ، يتابع وبدون كلل ، تحسين قدراته ، ولقد صرح الرئيس ريغان : « لقد حاولنا عدة مرات اعطاء المثل بتخفيض قواتنا النووية بأمل ان يقوم الاتحاد السوفييتي بنفس الاجراء . ولكن دون جدوى نحن نخفض

ونقلص وهم يزيدون (٢٤) من السهل الانطلاق من هنا للادعاء ان على الولايات المتحدة ان تطور ترساناتها للحاق بالاتحاد السوفييتي فقط .

ولكن الحقيقة هي اعقد بكثير مما تمليه علينا آراءموجزةكهذه ، ان القرارات السوفييتية المتعلقة بنمو قدرتهم العسكرية ، لم توح اليهم من ارادتهم بالهيمنة. اذ على كثير من هذه الاجراءات المتخذة خلال العشرين سنة الاخيرة ان تترجم على انها رد لتزايد القوات الاميركية . بالمقابل ، هناك قرارات اميركية عديدة جاءت كرد على التطور العسكري السوفييتي . لقد سميت هذه الآلية (ظاهرة الفعل ورد الفعل) . انها هنا قوة محركة اساسية للسباق الى التسلح النووي.

لا اريد القول ان برامج التسلح السوفييتية ليست الا ردات فعل مباشرة للبرامج الاميركية . من الواضح ان هذه البرامج قد اعــدت بموجب محاور مختلفة وبشكل تستثمر فيه النوعيات السوفييتية لانشاء مذهب استراتيجي خاص والاستجابة لمتطلبات الاتحاد السوفييتي الخاصة . غير ان هذه البرامج قــد تأثرت كثيرا بالقرارات والتوجهات الاميركية كما ان القرارات السوفييتية قــد اثرت على برامجنا . لقــد ولدت ظاهرة الفعل ورد الفعل موقفــا نجابهه اليوم . سيمكننا فهم هذه الآلية من وضع حــد لاثرها في المستقبل . امــا الامثلة التالية فهي تظهر طريقة عملها .

عندما كنت وزيرا للدفاع ، اجبرت عدة مرات على ان اقر ماهية القوات التي علينا تطويرها اليوم للحفاظ على التوازن مع الاتحاد السوفييتي التي ستكون موجودة غدا . كانت هذه القرارات ترتكز على نظريات بسيطة وكانت تستند على معلومات غير مكتملة وغالبا ما تكون متناقضة وبتحول مستمر .

كانت مهلة الانتاج لتنمية طاقتنا العسكرية حوالي خمس سنوات . امــا قرارات تطوير الاسلحة فغالبا ما كانت تستغرق علــى الاقــل عشر سنوات للتبلور تحت شكل قوات عملياتية . وبالتالي ، لكي نتخــذ قراراتنا حــول الانتاج او حول التطوير ، كان علينا ان نخمن كيفية القوات السوفييتية خلال الخمس او العشر سنوات المقبلة . لم يكن لدينا الا معلومــات محــددة عن القدرات السوفييتية الآخذة في التطور كي نتنج على اساسها صواريخ وقاذفات ولم يكن لدينا اي معلومات عن كيفية استخدامهم لهذه الطــاقات . لقــد اخترنا اذا التفكير بالاسوأ . بمعنى آخر ، لقد افترضنا ان يستخدم السوفييت قدراتهم في طاقاتها القصوى .

ماهو تأثير ذلك على السباق للتسلح ؟ ...

يظهر الجدول الرابع نتائج خمسة وثلاثين عاما من الفعل ورد الفعـل . ففي الفترة مابين عامي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ كانت الولايات المتحدة تمتلك ثمانيـة وستين صاروخا بينما كان السوفييت يمتلكون أقـل من هذا العدد. كما كنا نقـدر انهم سزيدون بسرعة ترسانتهم . فقد اوصينا على عدة مئـات مـن صواريخ مينتمان وصواريخ بولاريس ونتوقع تسليمها عام ١٩٦٥ . ولكننـا كنا قـد اخطأنا حول النوايا السوفييتية . ففي عام ١٩٦٥ كان مجموع قوة الصواريخ لدينا الفا وخمسين رأسا مقابل مائتين وخمسة وعشرين في معسكرهم. بين عامي ١٩٦٥و ١٩٧٠ لم نضف الى رؤوسنا النووية سـوى سبعمائـة وخمسين رأسا بينما اضاف السوفييت الفا وثلاثمائة وخمسة وسبعين رأسا أي بمعدل الضعف تقريبا . ولكنهم كانوا يحاولون ببساطة تجاوز الفارق . لم يتوصلوا لذلك ففي عام ١٩٧٠ كانت قوتنا الصاروخية تعد الفـا وثمانمائة راس بينما كانت قوتهم تعد ألفا وستمائـة .

الجـدول (٤)

نمو الرؤوس النووية الاستراتيجية لدى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي

	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
الولايات المتحدة								
رؤوس للصواريخ			٦٨	١٠٥٠	١٨٠٠	٦١٠٠	٧٣٠٠	٧٩٠٠
قنابل	٤٥٠	٤٧٥٠	٦٠٠٠	٤٥٠٠	٢٢٠٠	٢٤٠٠	٢٨٠٠	٣٣٠٠
المجموع	٤٥٠	٤٧٥٠	٦٠٦٨	٥٥٥٠	٤٠٠٠	٨٥٠٠	١٠١٠٠	١١٢٠٠
الاتحاد السوفييتي								
رؤوس للصواريخ			بضعة	٢٢٥	١٦٠٠	٢٥٠٠	٥٥٠٠	٩٣٠٠
قنابل		٢٠	٣٠٠	٣٧٥	٢٠٠	٣٠٠	٥٠٠	٦٠٠
المجموع		٢٠	٣٠٠	٦٠٠	١٨٠٠	٢٨٠٠	٦٠٠٠	٩٩٠٠

ان المثال الذي يستحق المشاهدة في ظاهرة الفعل ورد الفعل هذه ، ربما كان ادخال القذائف النووية المتعددة ذات الاهداف المستقلة(القذائف النووية متعددة الرؤوس M I R V) . انها رؤوس نوويةمتجمعةبعدد ثلاثة او عشرة أو أكثر على صاروخ واحد ولكن بامكانها ان توجه بشكلمستقل على أهداف متعددة . لقد أدخلت هذه الرؤوس الى الترسانة الاميركية وكذلك الى الترسانة السوفييتية في السبعينات . بمضاعفة عدد الرؤوس النووية للصواريخ اربع مرات فان تطور الرؤوس النووية المتعددة ذات الاهداف المستقلة قد أثار تسارعا ، على الاقل متفجرا ، نحو سباقالتسلح.

ولكن كيف وصلنا الى هذا الحد ؟..

في حوالي منتصف السبعينيات كان لدينا براهين يتعذر دحضها عن ان السوفييت بدأوا نشر نظام دفاع مضاد للصواريخ(ABM)حول موسكو بهدف حماية عاصمتهم من الصواريخ القاذفة بعيدة المدى . وقداستخلصنا حينذاك ـ ربما على خطأ ـ انهم سينشرون هذا النظام على كافة اراضيهم. لماذا ينصبون نظاما كهذا حول مدينة واحدة ولا في أي مكان آخر ؟ في هذه الشروط يتوجب علينا تعديل مستوى قواتنا بشكل ملحوظ .

بالنسبة للكونغرس ، كان على الولايات المتحدة ان ترد بنشر نظامها الدفاعي المضاد للصواريخ (A B M -) على كافة الاراضي الاميركية ، كان الجيش الذي يعمل منذ نهاية الخمسينات على هذا الطراز من الانظمة، قد انتهى بنجاح من صنع الـ (نايك زويس) والـ (نايك اكس) . في عام ١٩٦٦ وافق الكونجرس على تخصيص ميزانية قدرها ١٦٧٫٩ مليون دولارللبدء بانتاج نظام نايك (حتما سترتفع كلفة هذه الدفاعات ، عندما ستنتشر ، الى ثلاثين مليارا من الدولارات) . كان الرئيس جونسون وانا شخصيا ،كنا نقدر أن نظاما كهذا لن يؤمن الا حماية محدودة جدا لسكاننا المدنيين ولاصلحتنا . وقد رفضنا صرف الاعتمادات التي منحها الكونجرس .

في السادس من كانون الاول عام ١٩٦٦ ، التقى كل من معاون وزير الدفاع سايروس فانس وهيئة رؤساء الاركان وانا شخصيا ، التقينا فياوستن تكساس بالرئيس جونسون وبوالت روستو مستشاره الخاص لشؤون الامن القومي . وقد حددنا لانفسنا غاية هي دراسة مجمل ميزانية الدفاع للعام المالي ١٩٦٨ والتي عليها أن تقدم الى الكونجرس في شباط ١٩٦٧ ، بين البنود التيكان علينا دراستها ، يوجد ملاحظة رؤساء الاركان التي تطلب

تخصيص اعتمادات خاصة لانتاج نظام للدفاعات المضادة للصواريخ .وقد شرحت للرئيس ان سايروس فانس وانا شخصيا ، كنا نعارض بشدة هذا الاجراء .

لقد أصغى الرئيس الى رؤساء الاركان الخمسة ، الواحد تلوالآخر .وقد واقع كل بدوره وبالحاح لصالح برنامج الصواريخ المضادة للقذائف (- A B M) وقد وقف والت روستو الى جانبهم . كان ذلك وقتا عصيبا للرئيس . لم أتردد أبدا ، عندما كان القرار يبدو لي خاطئا ، بالتعبير عن عدم موافقتي حتى لو كان علي ان اجابه اجماع رؤساء الاركان . بيد انه في هذه الحالة كان الكونجرس قد صوت على قانون يسمح بانتاج النظام . كانت مواصلة رفض التوجه الذي اختاره الكونجرس ، بخلاف الراي العام لرؤساء الاركان، كانت تضع الرئيس في وضع شبه مزعزع .

هذا ماقلت له حينذاك :« ان هيئة رؤساء الاركان رديئة . انه لخطر فادح ، وضع دفاعات معترف بها على انها / غير محكمة / او غير كتيمة للرد على نشر السوفييت لنظام الصواريخ المضادة القذائف . ومايجب عمله هو ان نعطي لانفسنا الوسائل للحفاظ على قدرتنا في الردع مقابل الدفاعات السوفييتية ولا شيء آخر . لو كانت قوتنا الرادعة (قاذفات وصواريخ هجومية) بمستوى ملائم قبل نشر الدفاعات السوفييتية ، فعليها ان تدعم للتأكد ان نفس عدد الاسلحة يصل الى الاهداف السوفييتية .سنكون مخطئين لو نشرنا نظام دفاع صواريخ مضادة للقذائف . للخروج من المأزق الذي نحن فيه ، علينا أولا منح اعتمادات محددة للميزانية المخصصة للصواريخ المضادة للقذائف ، ولكن مشترطين ، كماكان علي أن أؤكد في تقريري المكتوب امام الكونجرس ، انه لن يصرف أي من هذه الاعتمادات ولن يتخذ أي قرار بنشر نظام الصواريخ المضادة للقذائف قبل ان ننتهي من كل الجهود الممكنة للتفاوض مع السوفييت حول اتفاقية تهدف الى منع نشر الدفاعات من أي من المعسكرين والى تحديد القوات الهجومية في آن واحد » .

اعجب الرئيس بهذا الاقتراح الذي سمح له بالخروج من موقف صعب جدا .

واعلمت دين راسك وزير الخارجية بقرار الرئيس . فاتصل مباشرة مع السوفييت للبدء بمفاوضات حول معاهدة للصواريخ المضادة للقذائف . رفض السوفييت الاشتراك في هذه المفاوضات وقبلوا بالتفاوض المبدئي للتوصل الى مثل هذه الاتفاقية .

في حزيران عـام ١٩٦٧ قـدم رئيس مجلس وزراء اتحادالجمهوريـات الاشتراكية السوفييتية الكسي كوسيغين الى الامم المتحـدة في نيويورك . بعـد بعض المصاعب ، نظمت مقابلة مع الرئيس جونسون في ٢٣ حزيرانفي غلاسبورو في ولاية نيوجيرسي ـ التي يقـع موقعها في منتصف الطريق بين نيويورك وواشنطن ـ لمناقشة مسألة نشر الصواريخ المضادة للقذائف . في ذلك اليوم تناول جونسون وكوسيغين ومجموعـة من مساعديهما ، تناولوا طعام الغذاء حول مائدة صغيرة بيضوية الشكل . عيل صبر الرئيس وبدأ يتململ علنا من عـدم فهم كوسيغين وجهـة النظر الاميركيـة حـول الدفاعـات A B M اي الصواريخ المضادة للقذائف واخيرا التفت الرئيس نحـويليطلب مني شرح موقفنا .

قلت : سيدي رئيس المجلس ، يجب عليكم ان تفهموا ان ، بالنسبة لنا نحن الاميركيين ، الاجابة الوحيدة الملائمة لنظامكـم الخاص بالصواريخالمضادة للقذائف هي زيادة قواتنا الهجومية . حتى هذا الحين كان لدينـا الوسائل لتأمين الردع ، ولكـن ان واصلتم نصب انظمتكم الدفاعية فسوف نكـون مرغمين على تدعيم قدراتنا الهجومية للحفاظ على نفس المستوى في الردع . سيؤدي نشر نظام الصواريخ المضادة للقذائف السوفييتي الى تصعيـد في السباق نحو التسلح . أمر محتم لايرجـوه احـد منا » .

كان كوسيغين غاضبا . صعد الدم الى رأسه وضرب بقبضتـه ضربـة قوية جـدا على الطاولة صائحـا : « حالة الدفاع حالة اخلاقية ولكن حالة الهجـوم حالة لااخلاقية » انتهت المناقشـةبسرعـة . لم يكـن الاتحـاد السوفييتي ابدا مستعدا في ذلـك الوقت لمناقشـة اتفاقيـة حـول منـع الانظمة الدفاعية .

لدى عودتنا الى واشنطـن ، اتفقنا كلنا ، اي هيئـة رؤسـاء الاركان والرئيس وانا شخصيا على مايلي : من الضروري تكبـير حجـم ترسانتنا الهجومية ، الاقل كلفةكان اطلاق صناعةالقذائفمتعددةالرؤوس (- M I R V) بتزويد كل صاروخ بعـدة شحنات نووية ، كانت الولايات المتحدةتستطيع زيادة عـدد رؤوسها النووية بكلفة اقـل بكثير من كلفـة تصنيع صواريخ جديدة . ولكننا لاحظنا ان هذا الاختيارخطيرا جدا . لو حذا السوفييت حذونا، كما كان يجب ان نتوقع ، لحصل ازدياد ملحوظ في القوات الهجوميةللمعسكرين . لقد عزمنا اذا على البدء بانتاج القذائفمتعددة الرؤوس (- M I R V) ولكن على عدم القرار بنشرها قبل استنفاذ كل امكانيات المفاوضة حول اتفاقيـة لمنـع

انظمة الدفاع . لو تم التفاوض على اتفاقية ، لكنا استبعدنابرنامج القذائف متعددة الرؤوس .

عندما تركت منصبي في شباط عام ١٩٦٨ ، كان السوفييت ما يزالون يتابعون تطوير نظام الصواريخ المضادة للقذائف (- A B M) لديهم . وكان برنامج القذائف متعددة الرؤوس (- M I R V) لدينا يكسب موافقة قسم كبير من الرأي العام الاميركي . تستحق الاحداث التي تبعت ذلك ، ان تذكر . بالفعل وقعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وقعتا اتفاقية حول الصواريخ المضادة للقذائف عام ١٩٧٢ . ولكنه رغم ذلك اتخذ القرار بنشر القذائف متعددة الرؤوس . زاد عدد الرؤوس النووية للصواريخ النووية من الف وثمانمائة راس عام ١٩٧٠ الى ستة آلاف ومائة راس عام ١٩٧٥ . اما السوفييت الذين كانوا متخلفين عنا في تطوير تقنية القذائف متعددة الرؤوس، فلم يزد عدد رؤوسهم النووية الا تسعمائة راس وبذلك اصبح لديهم عام ١٩٧٥ الفان وخمسمائة راس مقابل الف وستمائة راس عام ١٩٧٠ .

حصل النمو الهائل لعدد الرؤوس النووية السوفييتية مابين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠ ـ هذا النمو كشفه الذين يؤكدون : نحن تزداد قوتنا ، هم تزداد قوتهم ، نحن نتوقف ، هم يتابعون ـ خلال هذه الفترة زاد عدد الرؤوس النووية عن الضعف فقد انتقل هذا العدد من الفين وخمسمائة راس الى خمسة آلاف وخمسمائة راس . كان ذلك يعني من جهة ، ردا زمنيا على قرار صنع القذائف متعددة الرؤوس (- M I R V) الذي اتخذناه قبل خمس سنوات . ولكننا احتفظنا بتفوق عددي بسبعة آلاف وثلاثمائة راس مقابل خمسة آلاف وخمسمائة راس في المعسكر السوفييتي عام ١٩٨٠ .

منذ ذلك التاريخ ، استمر ازدياد قوة السوفييت . اليوم ، ان عدد الشحنات النووية (قذائف صواريخ وقنابل) التي تتجهز بها القوات الاستراتيجية متساو تقريبا في المعسكرين . ولكن خلال خمسة وثلاثين عاما ـ من ١٩٥٠ الى ١٩٨٥ ـ ادعى السوفييت ان لديهم دونية عددية ، حتى ولو في الخطة العملياتية ، كان التكافؤ موجودا منذ تشرين الاول عام ١٩٦٢ كما اشرت الى ذلك سابقا .

من الضروري فهم ديناميكا الفعل ورد الفعل هذه واخذها بعين الاعتبار في سياسات السيطرة على الاسلحة والدفاع . يجب علينا ان نتعلم ان نجهز انفسنا لاختيارات مؤلمة دون ان نبدأ تصعيدا نحو اقصى الاطراف .

يجب ان نعرف ان كل فعل يولد رد فعل . انها حلقة دون نهاية . لاننا لم نستطع الفهم ، طورنا ترسانات هائلة وفوتنا الآمال بالمفاوضات التي كانت هي وحدها ستمكن من تخفيض وتقليص هذه الترسانات .

سيقول البعض ان هـذه الحلقـة المفرغة الا وهي الفعل ورد الفعـل ، باستطاعتها ان تكسر لو استفاد الغرب من تقدمه التقني . تتناسب هذه الفكرة مع خطأ في التقدير انوي طرحه الآن .

بامكاننا التوصل الى التفوق التقني

ان قصة السباق الى التسلح هي بالاخص قصة بحث الغرب عن (حل) تقني يمنحه مكسبا عسكريا مستديما ويقلل من التهديد الذي يثقل الاتحاد السوفييتي كاهل امنه . في خطاب عن (حرب النجوم) للعام ١٩٨٣ (٢٥) ، ناشد الرئيس ريغان المجتمع العلمي الذي (اعطانا الاسلحة النووية (...) كي يعطينا وسائل جعل هذه الاسلحة النووية عاجزة وباطلة) .

يؤمن الاميركيون ايمانا اعمى بالتقنية (تكنولوجيا) . ان الرئيس ريغـان ، ومعه كثيرون آخرون ، مقتنع ان هذه التقنية قادرة على اخراجنا من المأزق النووي الحالي . عبر جورج كيوورث المستشار العلمي السابق للرئيس ، عبر عن ذلك بهذه الكلمات : (نحن لا نستطيع ان نبقى الى مالا نهاية يحدق كـل منا في عيون الآخر ، واصبعنا على الزناد حتى لو اعتقدنا ان باستطاعتنا دائما الحفاظ على توازن معقول (...) حتى واننـا لا نستطيـع ان نبقى بمستوى السوفييت ـ بالرجال والعتاد ـ علينا بالاحرى ان نلعب ورقتنا الرابحـة الا وهي القدرة التقنية (٢٦) . بمناسبة اخرى ، اعلن كيوورث انـه بصـدد التقنية المتقدمة يستطيع السوفييت دائما اللحاق بنا . يجب علينا ان نستثمر هذه الميزة بعملنا في حدود المعرفة . وهكذا بمحافظتنا دائما على نوع مـن التقدم سنكون قادرين على اعاقة جهود خصومنا ، حتى الاكثر ، عنفا ، وذلك للحفاظ على مستوانا) .

اما ريتشارد وانمنر مساعد وزير الدفاع لشؤون الطاقة النووية فيؤكد ان التفوق التقني يمنح الغربيين مكاسب سياسية ملحوظة :

(اعتقد انه في ذاته ، يؤثر مستوى التكنولوجيا لدينا ، بشكل مستقل عن الطريقة التي يترجم بها بدقة في الواقع ، يؤثر على الصورة الاجمالية التي يملكها السوفييت عن انفسهم وعنا ، وبالتالي يمكن ان يكون له اثر ردعي لايستهان به (. . .) . من الآن وحتى التسعينينات ، يجب علينا اقتناء تكنولوجيا جديدة حتما للحفاظ على هذه الصورة الايجابية التي تلعب لصالحنا (٢٧).

ادى هذا الموقف بالولايات المتحدة الى تحسين الاسلحة النووية مرات عدة . في هذا السباق الى التكنولوجيا ، غالبا ما وصلنا الى المقدمة ولكن ميزتنا لم تكن الا مؤقتة .كما يشير الى ذلك الجدول الخامس(٢٨)، تساوت الابتكارات والتجديدات الاميركية وبسرعة ، مع الابتكارات والتجديدات السوفييتية ولقد تجاوز سباق التسلح درجة جديدة في التصعيد .

لم تفقد الولايات المتحدة بسرعة كبيرة تقدمها في كل مضمار فحسب بل استفاد الاتحاد السوفييتي من بعض هذه التطورات . ان حالة القذائف متعددة الرؤوس والصواريخ بحر ـ ارض والاسلحة المضادة للاقمار الصناعية لهي برهان على ذلك ، ان اقتناء العسكرين لهذه القدرات جرى او سيجري لضرر الولايات المتحدة الواضح جدا .

كما اشرت الى ذلك سابقا ، كانت القذائف المتعددة المسيرة بشكل منفصل (M I R V -) ، كانت تعتبر وسيلة قليلة الكلفة نسبيا لتطوير القوات الهجومية الاميركية ، والحالة هذه ، وبسبب تأخره في مضمار صنع الاشياء المصغرة (بالحجم الصغير) ، كان الاتحاد السوفييتي يمتلك صواريخ بحجم كبير مزودة بقاذفات اكثر قدرة . كان بامكانه اذا ان يجهز كل قاذف للصواريخ بعدد اكثر اهمية من القذائف متعددة الرؤوس . وهكذا كانت هذه القذائف في الترسانات تنمي الطاقة العسكرية السوفييتية .

لقد أدى ادخال الولايات المتحدة للصواريخ بحر ـ ارض (القاذفة منها والعابرة في آن واحد)، أدى لاعطاء السوفييت ميزة في صالحهم عندما سيحصلون على هذه الصواريخ بعدد مساو لما تملكه الولايات المتحدة. تشكل هذه الصواريخ خطرا كبيرا على الولايات المتحدة بسبب طول السواحل الاميركية وبسبب وضعيتها المكشوفة والمعرضة . ان صواريخ باليستية دقيقة جدا عندما تطلق من الغواصات السوفييتية في عرض الشواطىء الاميركية ، تشكل تهديدا ثقيلا على اهدافنا المدعمة (مخازن الصواريخ ومراكز

الجدول (٥)

السباق للتحديث التكنولوجي

تاريخ التجارب او تاريخ النشر

	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفييتي
القنبلة الذرية	١٩٤٥	١٩٤٩
القاذفة العابرة للقارات	١٩٤٨	١٩٥٥
القاذفة النفاثة	١٩٥١	١٩٥٤
القنبلة الهيدروجينية	١٩٥٢	١٩٥٣
الصواريخ الباليستية العابرة للقارات	١٩٥٨	١٩٥٧
القمر الصناعي للاستطلاع الفوتوغرافي	١٩٦٠	١٩٦٢
الصاروخ بحر ـ ارض	١٩٦٠	١٩٦٤
الصواريخ الباليستية العابرة للقارات ذات الوقود الصلب	١٩٦٢	١٩٦٦
الصواريخ المضادة للقذائف	١٩٧٤	١٩٦٦
الاسلحة المضادة للأقمار الصناعية	١٩٦٣	١٩٦٨
القذائف متعددة الرؤوس	١٩٧٠	١٩٧٥

القيادة). اما الصواريخ العابرة التي تطلقها الفواصات ، فهي تتحرك ببطء ولكن يصعب جدا كشفها . هذه الصواريخ مثلها مثل الصواريخ الباليستية بحر ـ ارض . فهي تشكل تهديدا لايدع الا فترة وجيزة جدا لانذار قواعد القاذفات لدينا .

توفر الاسلحة المضادة للاقمار الصناعية مثلا آخر للتحديث الاميركي الذي سينتهي به الامر للانقلاب علينا . تصلح هذه الاسلحة لمهاجمة وتدمير الاقمار الصناعية التي تتخذ الفضاء الخارجي قاعدة لها . تستخدم

الولايات المتحـدة اقمارها الصناعية كوسائل اعلام ومراقبة واتصال اكثـر مما يستخدمها الاتحاد السوفييتي لنفس الغرض . اذا ان نشر كل طـرف لانظمة مضادة للاقمار الصناعية ، سيكون لضررنا . سيكون من صالحنـا التفاوض على اتفاقية للسيطرة على الاسلحة ، هـذه الاتفاقية التي ستحرم متابعـة التجارب حـول هذه الاسلحـة وستحرم نشرها .

يفخر الاميركيون عـن جدارة بتقـدمهم التكنولوجي . ولكن في مضمار الاسلحـة النووية ، ان التصميم السوفييتي على تجاوز الفرق ، عليـه ان يؤثر بعض الشيء على شعورنا بالفخر . وفي عام ١٩٨٢ أكد و. آفريل هاريمان السفير السابق في الاتحاد السوفييتي . قائلا :

ان معرفتي بالعالم السوفييتي ـ وقد التقيت بكافـة القادة السوفييت منذ ستالين حتى بريجينيف ـ تجعلني اعتقـد ان موسكو مستعـدة لكـل التضحيات للحفاظ على المساواة ـ هذه هي حالنا ايضا . لن ينتـج التفوق من ذلك بل سينتج سباق للتسلح ليس له نهاية(٢٩).

على السياسة الاميركية ان تهدف وعلى مدى طويل ، لا الى التوصل الى التفوق في سباق التسلح بزيادة او تحسين الترسانات ، بل بمراقبة التنافس والحد منه في مجال الاسلحـة النووية وذلك باتفاقيات شكلية وغـير شكلية، ساتطرق الآن الى عدة اخطاء في التقدير تضع حاجزا امـام تحقيق هـدف كهـذا .

نمو القـدرة النووية امر محتم

يدعي البعض ان السيطرة على الاسلحة تتعارض تماما مع المنافسة بـين الشرق والغرب وان الخوف والحذر والشعور بعـدم الثقة المتبادلة ، تبعد حتما كـل محـاولة لكبح جماح السباق للتسلح ، وانـه طالما نحن خصمان فلن نستطيع التعاون بشكل فعال . على ضوء الخمسين سنة الاخيرة ، يجب الاستنتاج ان امل وضع نهاية لسباق التسلح هو وهم وسراب . أما تعليلي فهو مختلف . في هذا النصف الاول من العصر لاارى شيئا مستحيلاولكنني ارى خمسين عاما من الفرص المفوتـة .

ان حالة فكرية ما قد منعتنا مرة تلو الاخرى من ان نتفق للحد من تطور التكنولوجيا النووية والحد من انتاج الاسلحة النووية . فاننا نميل دائما الى المبالغة في المخاطر المرتبطة باتفاقية ما والى عدم ادراك النتائج التي سيخلفها تقدم غير مراقب . ليس خطأ القول بأن كل محاولة لابطاء السباق للتسلح يقتضي وجود خطر . ولكنه من الصحيح الاشارة انغياب الاعتدال من الطرفين هو مجازفة ايضا .

تزداد انظمة التوجيه دقة وتصبح اكثر تهديدا بالنسبة للعدو وانالدفع الى تصغير الآليات يحسن حركيتها . سينتج من ذلك انظمة ذات قدرة متنامية في التدمير وسيزداد كشفها صعوبة .

يعرض التحسين الدائم للترسانات النووية لأخطار حقيقية ، عليها ان تقارن مع المخاطر التي ستستوجبها اتفاقية ما . ولاننا لم نقم بهذه المقارنة ، فوتنا على انفسنا فرصا لكبح جماح السباق للتسلح . سأعطي مثلين : في عام ١٩٦٣ فوتنا فرصة المفاوضة حول التحريم الكاملللتجارب وفي عام ١٩٧٢ فوتنا فرصة تحريم انتشار الصواريخ متعددة الرؤوس .

في آب ١٩٦٣ ، كانت ادارة كنيدي تتفاوض على معاهدة المنع الجزئي للتجارب النووية (٣٠) والتي تحرم التجارب في الجو ولكن تسمحبمتابعة التجارب في باطن الارض . لم تقترح الولايات المتحدة تحريما تاما للتجارب لا كما اقترح البعض لاننا لم نكن نستطيع التأكد من تطبيق المعاهدة ، بل لان الرئيس كنيدي كان يعتقد ان معاهدة للتحريم الشامل لتجارب لم يكن ليصادق عليه من ثلثي مجلسالشيوخ ـ رأي نتقاسمه سوية انا ووزير الخارجية راسك . وبالفعل ، ان كان مجلس الشيوخ قد صوت بجانب معاهدة التحريم الجزئي فذلك لان عددا معينا من الشروط الهامة كان ملحقا لهذه المعاهدة. كانت احدى هذه الشروط تشترط بوضوح ان الولايات المتحدة ستتابع برنامجا للتجارب في باطن الارض كما ستتابع استعداداتها المكلفة لمعاودة التجارب الجوية كي تكون قادرة على التصرف بسرعة في حال انتهك السوفييت هذه المعاهدة .

لدهشة مجلس الشيوخ الكبيرة ، دافع رؤساء الاركان ، على مضض ، عن فرضية التحريم الجزئي . لم يكن احد مستعدا لاجتياز عتبةالتحريم الكامل اذ كانت الولايات المتحدة تخشى ان يخرق الاتحاد السوفييتي

المعاهدة دون ان تتبين الولايات المتحدة ذلك وبذلك يكون الاتحاد السوفييتي قد انتفع على المستوى العسكري .

شخصيا انا مقتنع انه لم يكن بمقدور السوفييت خرق المعاهدة طويلا دون ان نتبين ذلك . واليوم مع تراجع الزمن ، يمكننا ان نلاحظ ما كلفنا عدم اختيارنا لتحريم كامل للتجارب . كما قلت ، في بداية الستينيات كانت الولايات المتحدة تمتلك خمسة آلاف رأس نووي استراتيجي بينما لم يكن لدى الاتحاد السوفييتي سوى ثلاثمائة فقط . وكانت الولايات المتحدة تمتاز بتفوق عال على السوفييت في كل مجالات تكنولوجيا الاسلحة النووية . في ذلك الحين كنا قد قمنا بمائتي وثلاث وستين تجربة نووية(٣١) مقابل مائة وثلاثين من الجانب السوفييتي . أي خبير جدير بهذا الاسم يستطيع ان ينكر انه لو بقيت المنافسة التكنولوجية في المستوى الذي وصلت اليه في بداية الستينيات، الم تكن الولايات المتحدة ستجد نفسها اليوم في وضعية افضل ؟.

عودة الى الماضي ، يبدو بوضوح انه خلال عام ١٩٦٣ ، لم نعرف كيف نقدر التقدير الحقيقي للكلفة الهائلة لمتابعة التجارب .

وهذا صحيح ايضا بالنسبة لقرار عام ١٩٧٢ المتعلق بنشر الصواريخ متعددة الرؤوس بينما كانت معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف قد انتزعت من هذا البرنامج تبريره الاساسي .

يمكننا الاعتقاد ان السوفييت ، في بداية السبعينيات ، كانوا على استعداد للمفاوضة حول تحريم القذائف متعددة الرؤوس . من المؤكد ان اجراء كهذا كان سيؤدي الى امتلاك ترسانة نووية اقل عددا واقل تهديدا . اما السبب الذي ادى بالطرفين الى العدول عن هذه المعاهدة فيجدر التذكير به .

كما قلت سابقا ، عند السماح بصناعة الصواريخ حاملة الرؤوس النووية المتعددة في منتصف الستينيات تقريبا ، كنا نود ضمانة مما كنا نخشاه الا وهو النشر الكثيف لنظام الصواريخ المضادة للقذائف السوفييتي . عندما ظهرت هذه الخشية على انها غير مبررة وخاصة عندما بدأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بمفاوضات (سولت) في بداية السبعينيات ، كان هناك امكانية حقيقية لوضع حد لهذه البرامج .

من جانب او من آخر ، لم تكن الاسباب الكبيرة قليلة لرجاء منع تطبيق كامل لتكنولوجيا القذائف متعددة الرؤوس . في الطرف السوفييتي آنذاك كانوا

مايزالون في المراحل الاولى من التطور في هذا المضمار . لذلك لم يؤد تجهيز القوات الاميركية بالقذائف متعددة الرؤوس سوى الى تصعيد هائل في القدرة، هذه القدرة التي ستبقى لسنين عديدة غير متساوية بين المعسكرين . بالنسبة للاميركيين ، كان من الواضح ان تقدمهم التكنولوجي لن يكون الا مؤقتا وانه في غياب اتفاقية للاعتدال فلن يقتصر السوفييت على استخدام الصواريخ حاملة القذائف متعددة الرؤوس لتدعيم ترساناتهم وتحويل الفارق الى الصفر.

اثناء مفاوضات (سولت ــ ١) اقترح المعسكران تقييد القذائف متعددة الرؤوس والحد منها . رسميا انهم كل معسكر المعسكر الآخر باحباط امكانية التوصل الى تحريم كامل . في الحقيقة ، لم يخب امل لا الاميركيين ولا السوفييت من هذا الاخفاق . آنذاك ، كانت الولايات المتحدة منشغلة أكثر باستثمار تقدمها التكنولوجي وكان الاتحاد السوفييتي منشغلا بتعويض تأخره. بينما كانت المفاوضات دائرة وبينما كان الاتحاد السوفييتي لم يكن بعد قد بدأ تجاربه ، كانت الولايات المتحدة قد بدأت بنشر صواريخها حاملة القذائف متعددة الرؤوس . لم يكن القادة الاميركيون مستعدين للمجازفة بفقدان هذه الميزة على طاولة المفاوضات مهما كانت بالمقابل تنازلات السوفييت ، ولم يكن القادة السوفييت مستعدين من جانبهم لوضع حد لتطوير نظام هام كانت الولايات المتحدة تحتكره لنفسها .

مرافعا لصالح تحريم القذائف متعددة الرؤوس ، صرح جيراردسميث رئيس الوفد الاميركي لمباحثات سولت ، صرح عام ١٩٧٠ للرئيس نيكسون قائلا : بالتأكيد ان وسطا مراقبا كهذا سيبرز مخاطر ولكنني اعتقد انها مخاطر قابلة للحسبان يمكن السيطرة عليها (...) وادارتها عقلانيا(٣٢)، لسوء الحظ ان خطر توجب العدول عن تكنولوجيا القذائف متعددة الرؤوس ، يبدو انه اثقل كفة الميزان لدى بطلي الرواية اكثر من خطر الاستمرار في تطوير هذه التكنولوجيا الذي هو خطر اقل قربا ولكن اكثر تأثيرا . عندما سئل هنري كيسنجر عام ١٩٧٤ حول الجهود المبذولة لاستبعاد القذائف متعددة الرؤوس ، صرح وزير الخارجية السابق قائلا: مع تراجع الزمن ، اعترف بانني نادم لكوني لم اثمن اكثر كل النتائج التي سيؤدي اليها نشر صواريخ حاملة لقذائف متعددة الرؤوس حول العالم في عام ١٩٦٩ وفي عام ١٩٧٠ (٣٣) .

تشاء سخرية القدر اليوم ان نكون على وشك العودة الى نقطة البداية . لقد اوصت لجنة سكوكروفت مؤخرا بالتخلي عن القذائف متعددةالرؤوس والعودة الى الصواريخ ذات القذيفة الواحدة . وبوشر في تطوير سلاح من هذا الطراز وهوالـ (ميدجتمان ــ الرجل القزم).

ولكن هناك فرص اخرى قد فاتت . ففي عام ١٩٤٦ مثلا بينما كانت الولايات المتحدة ما تزال تحتكر الاسلحة النووية ، اقترحت الولايات المتحدة تشكيل وكالة عالمية تأخذ على عاتقها كافة الاسلحة والمواد النووية ، تتخلى بعدها الولايات المتحدة عن ترساناتها . اما السوفييت فقد اقترحوا اقتراحا مضادا لايدخل فيه اي تدقيق او اي اجراءات للتنفيذ .ولكن البلدين لم يتوصلا الى تسوية بين هذين الاقتراحين . منذ ذلك التاريخ ، بالطبع ، تزايد عدد الرؤوس النووية في العسكرين لحد تجاوز فيه الخمسين الف راس نووي .

هناك اليوم فرص مشابهة لتبطىء او لقلب تطور السباق نحو التسلح وسوف تتمثل هذه الفرص في المستقبل لاعطائها قيمتها الحقيقية ، وعلينا أن نتبصر في أخطار الاستمرارية الجامحة لهذا السباق بالنسبة للمخاطر ــ خصوصا خرق الاتفاقيات ــ التي سيؤدي اليها تحديدفي التقدم التكنولوجي ونمو الترسانات في آن واحد .

لا يلعب السوفييت اللعبة

لم يعد للاتفاقيات المعقودة اي قيمة

ان التعامل مع السوفييت مثبط للهمة بالنسبة لعدد من الاميركيين ، مع العلم ان بلدينا لهما مصلحة في تجنب الحرب النووية وان كل اتفاق بهذا المعنى لا يمكنه الا ان يقوي امننا ويدعمه ، غير ان الاميركيين يبدون متبصرين وحذرين بصدد التعليلات السوفييتية .

ان ابطال عملية السيطرة على الاسلحة تؤدي عادة الى ابطال واحباط هذا الخوف من الاتحاد السوفييتي بالرغم من ارادة اغلبية الاميركيين الصادقة بكبح تكاثر الاسلحة ، من السهل دائما بالنسبة للمشككين لعب الورقة السوفييتية ، وتشتمل احدى اتهاماتهم الرئيسية على القول ان السوفييت لا يحترمون المعاهدات حول السيطرة على الاسلحة .

اما المحامي النشيط والفعال عن هذه الفرضية فهو ريتشارد د . بيرل(٣٤) معاون وزير الدفاع لشؤون السياسة والامن العالمي . يؤكد بيرل أن الاتحاد السوفييتي قد خرق معظم الاتفاقيات الرئيسية للسيطرة على الاسلحة والتي كانت قد وقعت منذ عام ١٩٦٣ . حسب رايه : (لتصديق امكانية سيطرة حقيقية على الاسلحة ، يجب التصديق اولا بتغيير يحصل في الجانب السوفييتي، تغيير جذري يقودهم الى التوقف عن اعطاء الاولوية للقدرة العسكرية) . ولخص قائلا : أن يقوم الروس ونحن معهم على تسوية خلافاتنا ، وحلها بقرارات معتدلة ، وتوقيع اتفاقيات ومعاهدات قاسرة والاعتماد على احترام هذه الضغوطات لخلق عالم اكثر امانا ـ هذه فرضية احترس واتجنب توقيعها بامضائي .

ان الاعمال السوفييتية التي كشفت عنها الادارة الاميركية على انها خرق للاتفاقيات ، تتناول خصوصا (النوع الثاني) الجديد من الصواريخ القاذفة العابرة للقارات اس اس ـ ٢٥ وتتناول ايضا ترميز المعطيات غير الشرعي حول الاختبارات في مجال الصواريخ بهدف منع التدقيق والمراقبة . كما تتناول انشاء رادار بالقرب من كراسنويارسك . يعتبر الاجراءان الاولان خرقا لاتفاقية سولت ـ ٢ . اما الاجراء الثالث فقد اعتبر ممنوعا في اتفاقية الصواريخ المضادة للقذائف (٣٥) ، ولا يشكل اي من هذه الاجراءات تهديدا جديا لامننا غير انه من المناسب التصدي لها ومقاومتها بكل شدة بوسائل مناسبة . ولكننا لم نفعل ذلك .

لاتتطلب عملية السيطرة على الاسلحة الوثوق بالروس . كما شرح المفاوض السابق حول سولت ، بول وارنكي : (لو تخيلنا ان السيطرة على الاسلحة عملية مستحيلة لان الروس ليسوا اشخاصا جيدين ، اذا هنا اعتقد اننا لسنا منطقيين . لو كان الروس اناسا جيدين ولو تمكنا التاكد من ذلك ، لما كنا بحاجة للسيطرة على الاسلحة الاستراتيجية للسبب الوحيد الذي هو اننا لم نعد بحاجة ايضا الى الاسلحة الاستراتيجية (٣٦) . انني من راي بول وارنكي. بامكاننا ان نثق بالروس ... سيتصرفون دائما لمصلحتهم الخاصة . ان كانت اتفاقيات السيطرة على الاسلحة لاتنتمي الى ما نسميه في نظرية الالعاب (العاب تعادلية) اي عندما يكون لكلا اللاعبين مصالح متطابقة ـ حينذاك يجب عدم توقيع الاتفاقيات .

حتى انني ساذهب الى القول ان الاتفاقيات الوحيدة للسيطرة على الاسلحة التي هي في صالح الولايات المتحدة هي تلك التي يستطيع بلدنا ان يتاكد منها

بنفسه ويدققها بنفسه دون الاعتماد على اي أمة اخرى مهما كانت . ان نظام التدقيق الفعال هو النظـام القادر على كشف ، بامكانية عالية مـن امكانية الاشتغال ، كل خرق يمكن ان يؤثر على الميزان الاستراتيجي ، والحالة هـذه تمتلك الولايات المتحدة كما يمتلك الاتحاد السوفييتي هذه المقدرة .

فيما يخص احترام الاتفاقيات ، فان الصورة التي يمكننا ان نرسمها عن السوفييت ليست مظلمة الى هذه الدرجة التي يؤكدها البعض . في عام ١٩٨٥ اعلن الجنرال جون شين الذين كان حينذاك مديرا لمكتب الشؤون السياسية والعسكرية في وزارة الخارجية ، اعلن امام لجنة الخدمات المسلحة في مجلس الشيوخ :

اعتقد اننا (...) اذا اعتبرنا مجمل المعاهدات في كليتها ، فان السوفييت قد احترموها في غالبيتها (....) لا اريد ان يفترق اعضاء هذه اللجنة في نهاية هذا اليوم معتقدين ان السيطرة على الاسلحة لاتساوي شيئا لان السوفييت يحاولون باستمرار خرق الاتفاقيات . ليس هذا ما تعتقده الادارة وليس هذا بالطبع ما تعتقده وزارة الخارجية (٣٧) .

لم يخف الرئيس ريغان خشيته من خرق السوفييت معاهدة سولت ـ ٢ ولكن حتى بعد اعلانه عن هذا الاتفاق في ٢٧ ايار ١٩٨٦! ، تابع السياسةالاميركية واحترم الحدود التي اشترطتها هذه الاتفاقية نفسها . ان كان قد استمر في هذا الطريق فلأن ، كما يبدو لي ، النتائج كانت هناك : كلما اقتضت التعهدات بالاعتدال تبعا لبنود الاتفاقيات ، كان السوفييت بالفعل يفككون غواصات(٣٨) وقاذفات صواريخ وطائرات قاذفة* .

يتعذر نوعا ما حل المشاكل التي يطرحها عدم احترام الاتفاقيات . كما صرح وزير الدفاع كاسبار واينبرغر عام ١٩٨٣ : يشكل احترام الاتفاقيات

---

* بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٨٥ مثلا سحب الاتحاد السوفييتي من قواته الفعالة الفا وسبعة صواريخ منصوبة على الارض ومائتين وثلاثة وثلاثين صاروخا باليستيا بحر ـ أرض وفككوا ثلاث عشرة غواصة يانكي ترمي صواريخ باليستية وذلك عند ادخال اسلحة جديدة . من الجانب الاميركي ، سحب ثلاثمائة وعشرون صاروخا منصوبا على الارض وخمسمائة واربعة واربعون صاروخا بحر ـ ارض وفككت احدى عشرة غواصة ترمي الصواريخ الباليستية .

دائما مشكلة يصعب حلها ، جزئيا لان هذه الاتفاقيات غالبا ما تحتوي على معادلات مبهمة او غامضة لايوجد لها اي تفسير يعتبر حجة حقا (٣٩) . وهكذا يكون من الصعب جدا تحديد اجابة للاعمال التي تبدو وكأنها تخرق الاتفاقيات ولكن ليس لها سوى تأثير محدود او حتى ولا اي تأثير ، في المستوى العسكري. لهذا السبب بالذات انشأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٢ اللجنة الاستشارية الدائمة (S S - C) .

ان اللجنة الاستشارية الدائمة هي الميدان الوحيد للنقاش ولحل المسائل المرتبطة باحترام احكام اتفاقيات سولت . لقد استخدمت هذه اللجنة للاجابة على المخاوف الاميركية وكذلك السوفييتية ولتوضيح بعض احكام المعاهدة .

تبعا لمستند مشترك بين وزارة الخارجية ووزارة الدفاع والوكالة للسيطرة على الاسلحة ولنزع السلاح (A C - D A) والذي نشرته ادارة كارتر :

لقد احترم السوفييت بشكل مرض الاتفاقيات الاربع عشرة للسيطرة على الاسلحة الموقعة منذ عام ١٩٥٩ . لقد اثرنا معهم عددا من المسائل فيما يخص سولت — ١ كما كانوا قد فعلوا معنا — ولكن في كل من هذه الحالات وضع حد للنشاط المتنازع عليه او سمحت معلومات اضافية بتوضيح الموقف وبتهدئة مخاوفنا (٤٠) .

ما اعتبر اكبر خرق ظاهر لمعاهدة سولت — بناء ملاجىء كبيرة فوق مخازن الصواريخ — كانت الولايات المتحدة هي التي ارتكبته . عن طريق اللجنة الاستشارية الدائمة ، عبر السوفييت عن قلقهم حيال هذه الملاجىء مدعين انها تشكل اخفاءا متعمدا مما يخرق معاهدة سولت — ١ . في حزيران ١٩٧٩ بعد توقيع معاهدة سولت — ٢ التي تشترط حظر هذه الملاجىء ، توقفت الولايات المتحدة عن استخدامها . لقد حلت اللجنة الاستشارية الدائمة حوالي ثلاث عشرة مشكلة طرحتها اما الولايات المتحدة واما الاتحاد السوفييتي .

بالرغم من هذه النتائج ، لم تقرر ادارة ريغان منح هذه اللجنة ثقتها . في تقرير للرئيس بتاريخ ١٩٨٥ ، وصف البنتاغون هذه اللجنة على انها (سلة مهملات الذكريات على طريقة اورديل حيث القيت كل مخاوفنا مثلما القيت بقايا عشاء الليلة الفائتة (٤١) ، وقد اكد انه خلال الثلاثة عشر عاما التي وجدت فيها هذه اللجنة ، لم تتوصل اللجنة الاستشارية الدائمة الى حل (اي مشكلة كبيرة في مجال احترام الاتفاقيات) . لقد فضلت ادارة ريغان ان تسمع الراي

العام عددا من اتهاماتها للاتحاد السوفييتي مباشرة ـ بينها الثلاث اتهامات المشار اليها اعلاه في هذا القسم ـ بدلا من اللجوء الى عملية المشاورة التي تطرحها اللجنة الاستشارية الدائمة (٤٢) .

للاجابة على انتهاكات معاهدة سولت ـ ٢ المزعومة التي ينتهكها السوفييت، اعلنت الادارة الاميركية عن سياسة (الرد النسبي) محتفظة بالحق بالقيام بانتهاكات مساوية لانتهاكات السوفييت . لقد اسمعت انها لمواجهة نشر صواريخ اس اس ـ ٢٥ السوفييتية ، ستقوم الولايات المتحدة بمتابعة تجاربها ونشر صواريخ ميدجتمان (الرجل القزم) (٤٣) ، وهذا ما حرمته المعاهدة ، وبما ان السوفييت يذكرون انهم يحترمون معاهدة سولت ـ ٢ ، فانهم لن يتأخروا على الرد بدورهم ، مما يؤدي الى تضعضع وتآكل سريع للمعاهدة . يتعلق الامر هنا بمفهوم ضيق جدا عن احترام الاتفاقيات الذي سيؤدي الى تقويض الثقة في مجمل نظام السيطرة على الاسلحة . اشار التقرير الثاني للجنة سكوكروفت الى الصعوبة في الرد بحزم على الانتهاكات التي ليس لها الا اثر لا يعتد به على المستوى العسكري .

حتى لو لم تكن ذات اثر ملحوظ في المستوى العسكري ، فان هذه الانتهاكات تقوض ثقة الشعب الاميركي والحكومة الاميركية في الاتفاقيات نفسها . وان عدم الاجابة سيشجع السوفييت على الاعتقاد انهم يستطيعون التصرف دون عقاب . غير انه من الممكن عدم وجود ردود فعالة بشكل دائم تكون متناسبة مع الانتهاكات المقترفة . من المفيد اذا اقامة سلطة اتصال تسمح بدراسة ومداواة هذا النوع من الحوادث الصغيرة (٤٤) .

هذه السلطة التي اقيمت بموافقة مشتركة هي اللجنة الاستشارية الدائمة ويجب علينا ان نستخدمها بلا تحفظ ، تظهر التجربة الى انه بالامكان احترام المعاهدات في حال رجوع الطرفين الى هذه اللجنة .

ان الاتفاقيات لم تفعل شيئا سوى تسهيل تعاظم القدرة السوفييتية

ان الخطأ الثالث في تقدير عملية السيطرة على الاسلحة يشتمل على القول ان السوفييت لم يحترموا الاتفاقيات فحسب بل ان الاتفاقيات نفسها قد

وضعت لصالح الاتحاد السوفييتي . يهدف هذا الاتهام في اغلب الاحيان الى معاهدة سولت ــ ٢ . حسب قول وزير الدفاع كاسبار واينبرغر (ليس هناك اي مجال آخر تأخرنا فيه بهذا القدر لاخذ الحقيقة بالحسبان سوى في جهدنا للمفاوضة على السيطرة على الاسلحة وعلى تطبيقها (.....) ان كنا قد توصلنا فعلا الى الحد من برامجنا الاستراتيجية الخاصة فهذا لن يكون بالطبع حال البرامج السوفييتية . لم توقف اتفاقية سولت ــ ١ نمو القدرةالهجومية الاستراتيجية للاتحاد السوفييتي ، اما بالنسبة لسولت ــ ٢ ، لو كنتم (مجلس الشيوخ) قد صادقتم عليه بالشكل المقترح لكانت هذه الاتفاقية قد ادت الى تزايد الترسانة الهجومية السوفييتية وكنا قد تركنا انفسنا تتعلل بوهم امني (٤٥) .

يؤكد ريتشارد بيرل : لا تحتوي اتفاقيات سولت ــ ٢ اي عنصر جازم لامننا (٤٦) .

يشاطر الرئيس ريغان راي ريتشارد بيرل . وهكذا اعلن خلال حملته الانتخابية :

ان معاهدة سولت ــ ٢ هي نتيجة للمفاوضات التي قام بها فريق السيد كارتر الذي كان قد طلب من الاتحاد السوفييتي مناقشة تقليص فعلي للاسلحة النووية الاستراتيجية . كان على مبعوثه (...) ان يعود بعد اثنتي عشرة ساعة من مواجهته بـ (لا) قاطعة (...) . بدات المفاوضات من جديد ولكن السوفييت هم الذين كانوا يديرون اللعبة . كان السيد كارتر قد الغى القاذفة ب ــ ١ واخر الـ ام اكس واخر الغواصة ترايدنت واخر الصاروخ العابر للقارات واوقف انتاج الصاروخ مينتمان كي لايشير الا الى بعض الاجراءات المتخذة . جلس الاتحاد السوفييتي الى مائدة المفاوضات وهو يعلم اننا قمنا بتنازلات من طرف واحد دون اي مقابل من جهتهم (٤٧) .

بالفعل ، ان العناصر الاساسية لبرنامج التحديث الاستراتيجي لادارة ريغان وضعت في مكانها من قبل الادارات السابقة ــ ادارة نيكسون ، فورد ، وكارتر ــ ولكن من المفيد الاشارة الى انه اذا كانت معاهدة سولت ــ ٢ المتفاوض عليها خلال هذه الفترة قد ساعدت على اتساع القوات السوفييتية الا انها لم تحرضها على هذا الاتساع . بالاضافة الى ذلك ، دون اجراءات الاعتدال المفروضة من الطرفين ، فليس هناك اي شك بأن مستوىالقوات سيكون اعلى بكثير اليوم .

كما أشرت الى ذلك اعلاه ، لقد زاد الاتحاد السوفييتي بالفعل عدد رؤوسه النووية الاستراتيجية بينما كانت معاهدة سولت ــ ٢ ما تزال قائمة عندما بدأت المفاوضات رسميا عام ١٩٧٢ كان الاتحاد السوفييتي يمتلك حوالي الف وثمانمائة رأس وكانت الولايات المتحدة تمتلك اربعة آلاف . بالطبع لم يكن الاتحاد السوفييتي ابدا ليقبل باتفاقية تجمدها في وضعية الدونية العددية باصرارها على حدود مرتفعة بشكل كاف لاخذ برنامج القذائف متعددة الرؤوس لديها بالحسبان ، تركت الولايات المتحدة الساحة فارغة لتوسع سوفييتي حقيقي . كانت النتيجة ان اليوم ، يمتلك كل معسكر حوالي احد عشر الف رأس نووي بامكانها ، في اطار المعاهدة، ان تصل (وربما ستصل) الى ثلاثة عشر الف رأس .

لا يأخذ خصوم معاهدة سولت ــ ٢ بالحسبان ، كما يشير الى ذلك الملحق الرابع ، ان التوسع السوفييتي كان بامكانه ان يكون اكثر اهمية لو لم توقع المعاهدة . انهم يفكرون وهم يرتقبون الاخطاء المتصلة بأي اتفاقية ولكنهم لا يقارنون هذه الاخطاء مع ما سيكلفه غياب هذه الاتفاقية . ان الانتقاد الاكثر ملاءمة والمتعلق بالاتفاقيات السابقة حول الاسلحة الهجومية الاستراتيجية ينص على ان هذه الاتفاقيات لم تفرض سوى تحديدات متواضعة من الملائم تقويتها بشكل اكثر كما تدل على ذلك النتائج المتعلقة بالسيطرة على الاسلحة.

حتى ولم تكن مفيدة على الصعيد العسكري
فان بامكان الاسلحة النووية ان تخدم اهدافا سياسية

يتغذى السباق الى التسلح جزئيا من بعض الاساطير والخرافات السياسية التي تحيط بالترسانة العسكرية . ان النظم النووية التي لا تخدم أي هدف عسكري ، غالبا ما تنشر على اساس رسائل سياسية ــ رسالة اعادة الثقة بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة معناها (العزم) بالنسبة للسوفييت .

ان نصب صواريخ بيرثينغ ــ ٢ والصواريخ العابرة للقارات (كروز) في أوروبا قد قدم لنا مثالا حديثا . مع الاعتراف ان هذه الاسلحة غير مفيدة على الصعيد العسكري البحت ، اكد لي رئيس وزراء سابق لدولة اوروبية كبرى ان هذه الاسلحة ضرورية لانها تقوي اليقين السياسي القائل بان الولايات المتحدة ستتدخل للدفاع عن اوروبا في حال هجوم سوفييتي . كان تعليله كالتالي :

من الصحيح القول انـه بالامكان الهجوم على الاهداف السوفييتية التـي تغطيها الصواريخ الاميركية المنصوبة في اوروبا بواسطة ترسانات بولاريس ومينتمان المتواجدة حاليـا .

ولكن الاوروبيين يتساءلون ان كان هناك رئيس اميركي سيسمح باطـلاق صواريـخ بولاريس او مينتمان كـرد انتقامي على هجوم على اوروبا تقوم بـه صواريـخ اس اس ـ ٢٠ السوفييتية متوسطـة المدى . انهم يعتقـدون ان الرئيس سيتخلى عن هـذا القرار خشيـة ان يقوم اطلاق صواريخ بولاريس ومينتمان باشعال فتيل هجوم سوفييتي على الولايات المتحدة .

بالتالي ، ولاقناع الاوروبيين ان هجوما بصواريخ اس اس ـ ٢٠ سيقابلـه رد أميركي ـ واذا لاعطائهم الثقة بقدرة دول حلف شـمال الاطلسي على الـردع ـ فان نصب الصواريخ الاميركية في اوروبا عملية ضرورية .

يكمن الخطأ في التفكير في انه في اي حال من الاحوال ، يجب ان يكون قرار استخدام القوات الاميركية في يـد رئيس الولايات المتحدة . عليه ان يقرر بأن يطلق على الاهداف السوفييتية الصواريخ المنصوبة في الولايات المتحدة ام تلك المنصوبة في اوروبا . وهو ، اي الرئيس ، سيعرف ان موسكو لن تفرق بين الحالتين ،اذ في الحالتين سواء انطلقت الاسلحة النووية من غواصة اميركية او في المانيا الاتحادية فان الرد السوفييتي سيكون ضد الولايات المتحدة .

ولكن بالتالي ، لا شيء يشير الى ما سيختار الاتحاد السوفييتي عمله .

ان الفكرة القائلة بأن صواريخ بيرشينغ والصواريخ العابرة للقارات (كروز) ضروريـة للتصدي للقـوات السوفييتية هي اذاً خرافـة . بمـا ان كثيرا مـن الاوروبيين يرون من الآن فصاعدا في نصب هذه الاسلحة في اوروبا ، برهانا على عزم الحلف ورمزا ملموسا لتعهد الولايات المتحدة النووي ، فان هـذا الخطأ في التقدير عليه ان يعامل على انه حقيقة . ولكن ليس لدينـا بعد عدد كاف من الاسباب كي نطمئن فيما يخص مخاطر تكاثر الاسلحة لنسمح لانفسنا باستخدام اسلحة دمار شامل نمرر من خلالها رسائل سياسيـة .

خلال هذا النصف الاول من العصر النووي ، تغذى السباق على التسلح جزئيا من الخرافات والاساطير التي ذكرتها آنفا ، ولو استمرينا على نفس الطريق لخمسين سنة اخرى ، فلن نتوصل الى زيادة جديدة في عدد الاسلحة فحسب بل سنزيد من خطر استخدامها في حال التوتر ، في الفصل القادم سأضع لنفسي غاية الا وهي تقديم حلول لتخفيض هذا الخطر .



الفصل الرابع

النصف الثاني من القـــرن

الحلول المختلفة للتقليل من خطر نشوب حرب نوويـة

مـن عـام ١٩٩٠ الى عـام ٢٠٤٠

ان العراك المبهم الذي قدمناه لتحسين الامكانيات في شن هجوم نووي قد زعزع ثقتنا في امكانيتنا لتجنب هذه الحرب . اليوم هناك جماعات واشخاص مستقلون منفردون مثل حركة التجميد النووي ، ورئيس الولايات المتحـدة ، والاسقفية الكاثوليكية والميتودية، والوسط العلميالاميركي ، والقائد السوفييتي ميخائيل غورباتشوف ، وقادة العالم الثالث ، وقادة دول مستقلة مثل راجيف غاندي والمرحوم اولاف بالمه ، مقتنعون كلهم بضرورة تغيير الاتجاه . كلهم متفقون على القول انه يلزمنا برنامج للتقليل من خطر نشوب حرب نووية على المدى الطويل ، ولكن يجب الحصول على رأي جماعي . لكل واحد طريقته في تحليل المأزق الذي نحن فيه حاليا ، اذا ان تغييرات التوجه المطالب بها مختلفة تماما .

قبل دراسة وفحص الحلول المطروحة ،من المفيد الاشارة الى انه اذا ما استمرت القوتان العظميـــان في اضعاف أسـلوب السـيطرة على الاسلحة كمـا فعلتا خلال هذه السنوات الست أو السبع الاخيرة ، فان خطر اشتعال نووي عالمي لن يتوقف عن التزايد . نحن اليوم في قمة تصعيد ظاهر في السبـــاق نحو التسلح ـ تصعيد تزداد مراقبته صعوبة ، وحتى استحالة .

ان تصنيع القطع الصغيرة يزيد من حركية ودقة وقدرة الاسلحة التدميرية. هناك عدد من الاسلحة في مرحلة متقدمة من التطور : الصواريخ المتحركـــة

المنصوبة على الارض ، والاسلحة المضادة للاقمار الصناعية والانظمة المتمركزة في الفضاء والصواريخ العابرة للقارات (كروز) ارض ـ ارض ـ ارض وبحر ـ ارض وجو ـ ارض التي يزداد كشفها صعوبة وبالتالي يصعب تحديدها باتفاقيات حقيقيـــــة .

مع الفي راس نووي كل عام ، يكون برنامجنا الحالي لانتاج الاسلحـــة النوويـة (١) ، البرنامج الاكثر اهمية منذ عشرين عاما ، وهنـــاك اجراءات اخرى متخذة حاليا تهدف لزيادة جوهرية خلال التسعينيات في انتـاج المواد النـوويـة الرئيسية ـ تريتيـوم ، اورانيـوم ، وبلوتونيـوم ـ وكذلـك في صنع الرؤوس النووية نفسها ، في الوقت ذاته تتوقع مختبراتنا العسكريـة زيـادة ضخمة في عدد التجارب تحت سطح الارض والضرورية لضبط انماط جديدة من الاسلحة النوويـة . مؤخرا صرح مسؤولون في مختبر لوس الاموس العلمي (٢) انه ان كان ضبط سلاح نووي في الماضي لايتطلب الا ست تجـارب نوويـة تقريبا ، فان اتقان نماذج جديدة اكثر تعقيـدا نعمل عليها حاليـا ، سيتطلب على الاقل من مئة الى مئتي تجربة . صـرح هؤلاء المسؤولون : ان الطرق الفيزيائيـة التي ندرسها اليوم هي بشكل ملحوظ اكثر تعقيـدا مـن كل ما درسناه في الماضي . اذا ، خـلال الخمسين سنة القادمة ، قمنا بضبط اسلحة ونشرناها، دون تحديد ، فسوف لن نصل الى انتفاخ في الترسانـات فحسب بل الى زيادة في خطر رؤيتهـا تستخدم في حـال التوتر ، اي الى تصعيد في حالة عدم الاستقرارية في حالة نشوب الازمـة .

لانهم على علم بهذا الخطر ، قام البابا ورئيس الولايات المتحـدة والامين العام للحزب الشيوعي السوفييتي مع كثيرين ايضا ، قاموا بتقديم اقتراحات بأمل التقليل من خطر نشوب حرب نووية على امد طويل .

انهم يقترحـون ما يلـي :

* تحقيق المصالحـة السياسية بين الشرق والغرب .

* استبعـاد كـل الاسلحـة النوويـة بالتفاوض (اقتـراح ميخائيـل غورباتشـوف).

* استبدال الردع بالدفاع اي استبعاد الاسلحة النووية بحل القوات الدفاعية محل القوات الهجومية (اقتراح الرئيس ريغان) .

* تدعيم الردع باضافة قوات دفاعية الى القوات الهجومية (اقتراح هنري كيسنجر) .

* الاعتراف بان الاسلحة النووية ليس لها فائدة اخرى في المستوى العسكري سوى ردع العدو عن استخدامها يتطلب هذا التحليل مراجعة جوهرية للاستراتيجية والخطط العملياتية ومستوى قوات دول حلف شمال الاطلسي التقليدية وكذلك مراجعة برامج صناعة الاسلحة واتفاقيات السيطرة على الاسلحة .

هل تقدم احدى هذه المقترحات الامل بان يكون النصف الثاني من القرن الاول للعصر النووي مختلفا عن النصف الاول ؟ .

المصالحة بين الشرق والغرب

ان التنافس العسكري بين الشرق والغرب ، كما هو معلوم ، هو سبب النزاع السياسي الذي يفصل المعسكرين . كثيرون هم الذين يعتبرون اذاً أنه اذا اردنا محاولة ايقاف سباق التسلح وتقليص خطر نشوب حرب نووية علينا البدء بالتطرق الى اساس ومصدر هذه التوترات : المنافسة السياسية .

منذ عامين انكبت لجنة عالمية ، كنت انا شخصيا عضوا فيها ، انكبت على هذه المسألة . كانت المجموعة تتالف من ستة رؤساء وزراء سابقين ، وثلاثة وزراء خارجية سابقين ووزيري دفاع سابقين ومن اكثر من عشرين دبلوماسيا ورجل اعمال وجامعيين مشهورين من عشرة بلدان غربية . بسبب خبرة المشاركين وبسبب تنوع المواضيع المطروحة وضخامة سياق المشاورة ، ينقل تقرير هذه اللجنة(٣) ، كما يبدو لي ، تعريفا واضحا لطبيعة المشكلة والطرق الكفيلة لحلها . سأعود الى هذا التقرير بكل حرية لمعالجة مسألة المصالحة السياسية .

سأشير اولا الى انني مقتنع بان اميركا الشمالية واوروبا الغربية واليابان ينقصها اطار تصوري عام لادارة علاقتها مع الاتحاد السوفييتي وحلفائه . ليس هناك اي مراقب جاد وعاقل يستطيع تبديل الوضع الحالي لهذه العلاقات ،

بالرغم من انه خلال هذه الاشهر الاخيرة ، حضرنا اخيرا افتتاح محادثات حول المظاهر العسكرية والسياسية للعلاقة بين الشرق والغرب ، الا انه لا يجب علينا ان ننخدع بالاوهام : هناك مكابح ضخمة تقف في وجه حل للنزاع الكامن .

هذه السنوات الخمس الاخيرة التي اتصفت بالضغينة والعداء الدائمين ، كانت ضارة جدا حتى بهيكل هذه العلاقات . لقد ادت الى تباعد ملموس في الاتصالات ما بين الشرق والغرب والى حذر متصاعد والى عسكرة مفرطة في التفكير الاستراتيجي والى مخاطر وقوع خلافات جادة . ولقد تفاقمت المشكلة بعد حصول الطرفين المتهور على اسلحة دائما اكثر كلفة واكثر اكتمالا ، سببت هي نفسها توترات اضافية وكلفت اقتصاد البلدين مبالغ طائلة .

يحتاج الغربيون الى سياسة متماسكة لتمتعه بدعم واسع ، سياسة راسخة في الحقيقة ومدافع عنها باقتناع . وعلى هذه السياسة ان تحمي المصالح الحيوية وان تقوي التماسك والترابط السياسي وتقدم الامل بتحويل السياسة السوفييتية ايجابيا . فالمرجو والممكن في آن واحد التوصل ، وفي المدى البعيد، الى علاقة ثابتة ما بين الشرق والغرب . حتى في مناخ يسود فيه التنافس والحذر المتبادلين يوجد مصالح مشتركة ، وعلى كل من المعسكرين ان يسعى لمتابعة اهدافه النوعية مع اظهار للاعتدال .

لن يكون التوصل الى تفاهم متبادل امرا سهلا . اننا لا نستطيع ان ننخدع حول طبيعة النظام السوفييتي وعدوانيته للقيم والتطلعات الغربية . لن يقترب نظامانا من بعضهما البعض في الغد القريب . بالنسبة للماركسيين مستقيمي الراي ، والاتحاد السوفييتي ليس بلدا فحسب بل انه قضية تلتمس اختفاء نظامنا الخاص بنا . والحالة هذه ، لن نسمح لانفسنا بقلب الالتماس والاقتراح ونقول بان النظام السوفييتي لن يختفي . لقد علمنا التاريخ انه حتى الكراهية والبغضاء بين الدول او مجموعة الدول بامكانها ان تختفي امام المصالح الخاصة. يتقاسم المعسكران امرا واحد : تأمين بقاء مجتمعاتهما . ان تسويات بهذا الخصوص ليست ممكنة فحسب بل في تحرير اخير ، ان هذه التسويات هي الوسيلة الوحيدة للنجاة من الكارثة .

ان افضل طريقة لخدمة الاهداف الغربية هي بالتالي ، بالبدء بعملية تعهد مدعوم لتوسيع كل اطر الاتصال مع الشرق . على برنامجنا ان يكون اكثر طموحا مما كان عليه حتى الآن ، يجب علينا الا نكتفي بمباحثات محدودة متحورة حول رؤية نوعية لعلاقاتنا مثل السيطرة على الاسلحة ، ولكن على حوارنا ان

يكون على قاعدة عريضة جدا وان يحمل على تنوع كبير في النقاط وان يقوم هذا الحوار بشكل دائم .

ان كنا نرجو التوصل الى تغيرات جديدة والى متابعة التحولات الجارية ، فمن المناسب تحسين وتدعيم العلاقات السياسية بين الشرق والغرب بشكل ملحوظ ، وقد اثبت التاريخ الحديث بوضوح أنـه بدون تحسين في المنـاخ السياسي لا يمكن ان يوجد اتفاقيات فعالة .

الصرامـة والليونة هما صفتان رئيسيتان ضروريتان حتما لو اردنا ان تحظى سياساتنا بموافقة الراي العام وان يكون لها حظ في النجاح . ان الانفراج دون الدفاع سيؤول الى الاستسلام والدفاع دون الانفراج فلن يقوم الا بتصعيد التوترات وخطر نشوب النزاع . هاتان الدالتان ليستا فقط متناقضتين بـل انهما تتدعمان وتتشبثان الواحدة بالاخرى .

اما بالنسبة للمسائل التجارية والمالية فيتوجب دراستها اكثر مما تتوجب الدراسة في المضمار السياسي البحت . لم تقر الولايات المتحدة ابدا سياسة مترابطة مع الاتحاد السوفييتي . في هذه السنوات الاخيرة ولمرات متتالية ، فرضت علينا مراقبة ذاتية فيما يخص العقوبات الاقتصادية الواجب اتخاذها ازاء الدول الشرقية .

في البدء ، يجب أولا الاعتراف بـان المبادلات التجارية تعـود بالفائدة على الكتلتين ، وانها ليست معروفا يقدمه الغرب الى الشرق او مكافأة على سلوكه الحسن . يجب علينا ايضا ان نتخلص من الفكرة القائلة ان الاقتصاد السـوفييتي سوف ينهـار ومن الفكرة المماثلة للفكرة الاولى بسخافتها وهي ان الغرب لـه السلطة و / أو الواجب بالاسهام بنشاط في هذا الانهيار او في تحويل الآلـة السوفييتية الهائلة . يحلم بعض الغربيين برؤية تعليق المبـادلات التجاريـة تضاعف مصاعب الكتلة الشرقية وتثير تحولات في نظامها . ولكن في الحقيقة ، ليس هذا واقعيا . حتى انني اذهب الى القول بانها احلام خطيرة وهي ضارة على الصعيد السياسي .

ان العلاقات التي تقوم بها حكومات الشرق والغرب عبر الاتصالات الرسمية هي اساسية . ولكن علينا ايضا ان نحاول تضييق الفجوة في الروابط والعلاقات بين شعوب الشرق والغرب في مجـالات عدة مثل العلوم والفنون والادب او التعليم . من الاولوية بمكان ان نزيل الجهل وسوء التفاهم المتواجدين بـين الفريقين . هذه المهمة بطبيعتها لا تتعلق فقط بالحكومات .

بالمختصر ، نحن نقف ، كما يبدو لي ، على منعطف اساسي في العلاقات بين الشرق والغرب ، فيمرحلة يجب فيها على حكوماتنا وشعوبنا ان تقوم باختيارات جوهرية بالنسبة لنمط العلاقات التي يرغبون بانشائها مع الاتحاد السوفييتي ومع حلفائه . يتعلق الامر هنا باختيار ذي اهمية اولوية اذ ان انعكاسات هـذا الاختيار ستكون مصيرية في العقود القادمة .

مثل كل الذين شاركوا باعداد التقرير عن ادارة النزاع ما بـين الشرق والغرب ، شجعت بقوة استخدام برنامج التعهد المدعوم . ولكن لن نكرر القول ان مثل هذا العمل سيتطلب الوقت والصبر والثبات والعنـاد . لن تكون النتائج الا محدودة . لن نستطيع ان نتجنب نهائيا التوترات والمجابهات التي خلال الاربعين سنة الاخيرة ، اثرت على العلاقات بين الشرق والغرب . ليس المقصود هنـا التخلي عن بقية الاعمال الهادفة الى تقليل خطـورة استخدام السلاح النووي في نزاع عسكري . ان الاجراءات المخصصة لتقليل سرعـة السباق للتسلح ووضع حد له ، عليها ان تتبـع بشكل مواز ، الجهود المبذولة لحل التوترات السياسية .

لقد اثار جورج كينان ، احد ابرز المتخصصين في الشؤون السوفييتية في الولايات المتحدة ، اثار الانتباه حول هذه النقطة . لقد ذكر عـدة مرات ان السباق على الاسلحة النووية ، يسير ، كما كـان في السابق السباق علـى التسلح ، يسير حسب ديناميكا ووتيرة خاصتين به مستقلتين عن مضمون العلاقات السياسية التي ولدته .

لقد صرح عام ١٩٨١ وهو يتسلم جائزة البرت انشتاين للسلام :

ان السباق للتسلح ليس حدثا جديدا . انني مؤرخ الدبلوماسية . لقـد استطعت ان ارى ان هذه الظاهرة كانت قائمة في السابق في العلاقات بـين القوى الاوروبية الكبيرة منذ قرن مضى . انني الاحظ ان السباق نحو تكديس الاسلحة ، هذا السباق الذي وجد اساسا كوسيلة للتوصل الى نهاية ، اصبح بسرعة كبيرة نهاية في ذاتـه . ارى هذه النهايـة تتملك خيـال وتصرف الناس وتصبح قوة ذات حصة كاملة ، وتنفصل عن التفاوتات السياسية التي كانت اساسا لانطلاقها ، وتقود المعسكرين بالتأكيد وبلا رحمة نحو حرب لا يعرف المعسكران نفسهما كيف يتجنباها (٤) .

المقصود هنا عرقلة هذه الديناميكا . ان الحاحية المشكلة النووية والفائدة الواضحة التي سيقدمها للطرفين تقليل خطر نشوب الحرب النووية ، لاتستطيع

الا ان تحث الشرق والغرب على البحث عن اتفاقيات حول السيطرة على الاسلحة خلف الحواجز السياسية التي يقيمها الحذر والشك . هناك ايضا حسب قول كينان : تنقصنا الكلمات كي نعبر عن كل خطورة الوضع الذي نوجد فيه . نحن لسنا ذاهبين فقط نحو مواجهة سياسية مع الاتحاد السوفييتي ، ولا يبدو فقط ان عملية تبادل الآراء بين حكومتينا قد تدهورت تماما ولكن ـ هناك شيء آخر أكثر خطورة ـ ستنتهي هذه السياسات المتباعدة في النهاية الى ترسانات لايمكن لمحتواها وحجمها ان يستخدما دون ان يؤديا الى كارثة عالمية .

ساتطرق الآن الى الحلول الاربعة المقترحة لمراقبة مباشرة لـ (حجم) و (استخدام) هذه الترسانات .

غورباتشوف : استبعاد كل الاسلحة النووية

لقد اقترح ميخائيل غورباتشوف(٥) الامين العام للحزب الشيوعي السوفييتي ان تدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في مرحلة انتقالية تدريجية للتوصل الى استبعاد كامل للاسلحة النووية حتى عام ٢٠٠٠ . علما انه في بداية الستينيات تبادل الرئيس كنيدي ونيكيتا خروتشوف ، تبادلا اقتراحات حول نزع سلاح عام وشامل (٦) ، الا ان الاقتراح المذهل الذي قدمه غورباتشوف قد اعاد فتح باب المرافعة : هل حان الوقت ؟ هل بامكان ذلك ان يتحقق ؟ .

هل هو مستحب عالم دون اسلحة نووية ؟ اعتقد ذلك ، واظن ان اغلبية الاميركيين من هذا الراي . في خطابه الافتتاحي لولايته الثانية ، صرح الرئيس ريغان : ان هدفنا هو التوصل يوما ما الى استبعاد كلي للاسلحة النووية من وجه العالم (٧) . وكان ذلك هو نفس الهدف الذي حدده الرئيس كارتر (٨) لنفسه في خطابه الافتتاحي .

والحالة هذه ، وكما اشرت الى ذلك في الفصل الثاني ، ترتكز الاستراتيجية العسكرية والخطط العملياتية الحالية لدول حلف شمال الاطلسي على المسلمة المعاكسة ، كالقادة الاوروبيين ، يعتبر عدد كبير من المسؤولين الاميركيين العسكريين والمدنيين ـ كي لا نقول كلهم ـ يعتبرون ان الاسلحة النووية ضرورية لردع اي اعتداء تقليدي سوفييتي . انهم اذا لا يوافقون على عالم دون اسلحة نووية . لقد صرح زبيغنيو بريجنسكي مستشار الرئيس كارتر للأمن القومي ، صرح بخصوص اقتراح غورباتشوف : انه مخطط يعرض العالم الى

حرب تقليدية . انني اذا لست من انصار هذا الاقتراح (١٩) . للرد على غورباتشوف صرح مسؤولون غربيون آخرون ان نزع السلاح النووي غير مستحب الا اذا ترافق مع تحول جذري للعلاقات بين القوتين العظميين ، تحول يضمن تماما تصحيح اختلال التوازن بين القوات التقليدية والاحترام التام لنصوص المعاهدات الحالية والقادمة ، وحل سلمي للنزاعات الاقليمية في حرية الاختيار بعيد عن اي تدخل خارجي ، وتعهد السوفييت باختيار التنافس السلمي .

ان كنت لا انتقد ، بالنسبة لي شخصيا ، صحة وصواب اقتراح غورباتشوف الا انني آخذ عليه بالمقابل عدم امكانيته في التحقيق في مستقبل منظور . بالعقل ، وبسبب الحقائق السياسية والتقنية ، فان اتفاقا حول استبعاد كل الاسلحة النووية سيؤدي وبشكل متناقض الى تفاقم خطر حرب نووية . لماذا ؟ لانه حتى لو ان الحذر ما بين القوتين العظميين كان عليه ان يتلاشى بشكل ملموس ، الا ان الخشية من خرق لهذا الاتفاق ستبقى موجودة.

وبالمقابل ، ان تأمين احترام لاتفاقية حول السيطرة على الاسلحة ، يحدد الترسانة العسكرية لكلا المعسكرين بمستوى منخفض جدا مئات من الاسلحة مثلا ـ هدف قابل للتحقيق . بالطبع سيسارع كل معسكر لخرق الاتفاقية قليلا وذلك بزيادة عدد الرؤوس ولكن ذلك لن يعدل في التكافؤ النووي . ولو كان هناك خرق للاتفاقية يحتمل بواسطته ان يتحطم هذا التوازن ـ مثلا لو بدأ احد المعسكرين بصنع وتجريب جيل جديد من الاسلحة بهدف نشرها ـ فان المعسكر الثاني سيتبين ذلك طبعا في وقت مناسب كي يتخذ الاجراءات اللازمة للحفاظ على التكافؤ . وهكذا اكان ذلك بمقياس صغير ام كبير ، فان الانتهاكات لن تسمح بأن يؤمن كل معسكر لنفسه ميزة استراتيجية ولن يكون للمعسكرين اية اسباب لمحاولة الهروب من الاتفاقية .

سيكون الوضع مختلفا تماما دون اسلحة نووية ، ولكن الصعوبة الاولى تكمن في اعداد اتفاقية تسمح في الوقت ذاته باستبعاد كافة الاسلحة النووية وبضمان الاستقرار الاستراتيجي خلال الفترة التي ستحول فيها القوتان العظميان والدول النووية الاخرى ، ترساناتها الى الصفر ، بالطبع ، سيكون باستطاعتنا

التحقق من تفكيك الاسلحة النووية السوفييتية ولكنه من المستحيل علينا ان نفرغ عقل العلماء الاميركيين والسوفييت من المعلومات اللازمة لصنعها . بامكان الاسلحة ان تستبعد ولكن تبقى امكانية صنعها من جديد . ومن المستحيل كشف تصنيع او مكان تخزين سلاح نووي واحد في عالم منزوعة فيه الاسلحة النووية، هذا السلاح الواحد الذي يمكنه ان يقلب التوازن العسكري. سنظل نعيش في وسواس انناسنستيقظ يوما ما نجد فيه ميخائيل غورباتشوف شاهرا السلاح النووي الوحيد في العالم ليفرض علينا طلباته السياسية .

وهكذا سنتحرض على تخزين عدد معين من القنابل الذرية سرا لنحمي أنفسنا من تهديد مماثل . أما السوفييت الذين تمتلكهم نفس المخاوف ، فسيتخذون اجراءات مماثلة . وان الخشية من رؤية بلد ثالث يقوده رئيس غير متوازن أو رئيس متعصب ، أو من رؤية مجموعة ارهابية تستولي على القنبلة لتنافس الدولتين العظميين على السيادة الدولية ، لن تكون الا لتبرير الدولتين العظميين اللتين ستدعيان حماية نفسهما . عاجلا أم آجلا سينتهي احدالطرفين بملاحظة تحركات مشبوهة في المعسكر المقابل وسيحاول حماية نفسه بالاستعداد لنشر فعلي للاسلحة النووية .

ان الترسانات النووية التي سيسمح سيناريو كهذا بتسهيل تشكيلها ، ستكون اهدافا مفضلة في حال نشوب ازمة . سيسعى كل معسكر الى توجيه ضربة الى قوى عدوه النووية او على منشآته النووية المفترضة . بمعنى آخر ، سيتقلص الاستقرار للغاية في حالة الازمة ، وسيكون بمقدرة كل نزاع ان يصبح نوويا بسرعة فائقة بامكان التهديد في ابادة الكرة الارضية التي يثقل كاهلها الترسانات المؤلفة من عدة مئات او عدة آلاف من الاسلحة النووية ، بامكانه ان يلغى ، ولكن خطر استخدام بعض الاسلحة النووية ، هذا الخطر الصغير ظاهريا ، سيكون بالغا . يكفي سلاح نووي واحد لقتل ملايين من الكائنات البشرية .

الا اذا استحدثت تقنيات واجراءات تسمح بالكشف عن كل عمل هادف لانتاج قنبلة ذرية واحدة من قبل اي امة او مجموعة ارهابية فان اتفاقية لنزع السلاح النووي الشامل لن تستطيع الا ان تتحول الى سباق الى اعادةالتسلح في حالة عدم الاستقرار . وهكذا مع العلمان عالما دون اسلحةنووية قد يرتجى، الا ان اتفاقية بهذا المعنى لاتبدو قابلة للتحقيق لا اليوم ولا في المستقبل القريب المنظور .

ريغـان : استبدال القوات الهجومية بانظمة دفاعية

في ٢٣ آذار عام ١٩٨٣ اقترح الرئيس ريغان حلا لمشكلة الامن في العصر النووي الا وهو مبادرة الدفاع الاستراتيجي IDS يهدف هذا البرنامج الواسع الى انشاء درع لا يمكن اختراقه وذلك لحماية كافة الاراضي الاميركية من الصواريخ المعادية . وبالتالي ، انه يجعل التهديد بالانتقام النووي غـــير مفيد لاهداف الردع . بالفعل ، اكد الرئيس ان هذا الدرع سيسمح لنـــا لا بالخروج من منطق الردع النووي فحسب بل باستبعاد الاسلحة النووية نفسهـــا .

منذ خطابه بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٨٣ وحتى اليوم ، لم يتوقف الرئيس عـن التأكد بأن برنامج حرب النجوم كمـا يطلق عليه غالبـا ، سيحمي السـكان من هجمات نووية وسيحررنا من استراتيجية الردع . في هذا الخطـاب صرح رونالد ريغـان :

(....) اسمحوا لي ان اجعلكم تشاطرون رؤيـا عن المستقبل تاركـا المكان للامل : فلنبدأ برنامجا يهدف ، باجراءات دفاعية ، الى التصدي للتهديد الرهيب الذي تثقله علينا الصواريخ السوفييتية .

(....) اليس من الافضل لنا ان نبتهج ان كانت الشعوب الحرة تستطيع العيش بكل طمانينة ، متيقنة ان امنها لا يتعلق بالتهديد بالانتقـام الفوري مـن قبل الولايات المتحدة المهتمة بتدارك هجوم يشنه السوفييت وباعتراضهوتدمير الصواريخ الباليستية الاستراتيجية قبل ان تلمس ارضنا او ارض حلفائنا ؟..

(....)ولكن اليس من مصلحتنا القيام بكل الاستثمارات الضروريـــة لتحرير العالم من تهديد الحرب النووية ؟ ...

(....) اناشد المجتمع العلمي الذي اعطانا الاسلحة النووية كي يضع كل مواهبه البارزة في خدمة الانسانية والسلم العالمي وكي يؤمن لنا وسائل تجعل فيها هذه الاسلحة عاجزة ويؤمن لنا اهمال تطبيقها .

(...) سيفتح ذلك طريقا الى اجراءات في السيطرة على الاسلحة تهدف الى الغاء هذه الاسلحة (١٠) .

تبين تصريحات اكثر حداثة للرئيس ريغان انه لم يتخل عن وعده بدفاع فعال تملما وباستراتيجية جديدة مرتكزة على استبعاد الاسلحة النووية . في ٢٩ آذار عام ١٩٨٥ اكد الرئيس قائلا :

نحاول ان نجعل توازن الارهاب باطلا ـ ما نسميه الدمار المتبادل الاكيد ـ لاستبداله بنظام غير قادر على شن نزاع مسلح أو على اثارة دمار كثيف ولكن بالمقابل قادر على منع الحرب (١١) .

وصرح في ٢٢ آب ١٩٨٥ قائلا :

متلفتين نحو المستقبل ، نحن نتقدم في ابحاثنا على مشروع يقدم لنا وسيلة للخروج من المعضلة النووية ـ معضلة تشغل بال البشرية وتقلقها منذ اربعين علما . يقدم لنا برنامج الابحاث حول مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، الامل بحماية انفسنا والدفاع عنا وعن حلفائنا ، من هجوم بالصواريخ الباليستية النووية (١٢) .

بعد قمة جنيف عام ١٩٨٥ بدأ الرئيس ريغان ، بهذه الكلمات ، امام الكونجرس ، لقاءه مع ميخائيل غورباتشوف .

لقد قدمت مبادرتنا للدفاع الاستراتيجي ، برنامج ابحاثنا الذي ينظر في امكانية انظمة دفاعية قادرة في النهاية على حماية كافة بلدان العالم من خطر نشوب حرب نووية (....) لو تكلل جهدنا بالنجاح (....) ستستطيع الامم ان تدافع عن نفسها من الصواريخ المعادية وستستطيع البشرية أخيرا ان تفلت من سجن الارهاب المتبادل (١٣) .

يتابع الرئيس ريغان ووزير دفاعه كاسبار واينبرغر ، يتابعان التأكيد بان هذه الثورة الاستراتيجية وشيكة الوقوع .

تقريبا ، كل المسؤولين المشتركين في مبادرة الدفاع الاستراتيجي قد اعترفوا ان نظام دفاع كتيم تماما (محكم الاغلاق لا يخترقه شيء) يشكل احتمالا بعيدا جدا في الزمن وفي امكانية التحقيق لدرجة انه لن يجلب اي حل لمأزقنا الحالي . هكذا صرح الجنرال جيمس ابراهامسون (١٤) مدير منظمة مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، الهيئة المكلفة بتنسيق كافة برامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، صرح قائلا ان درعا فضائيا كتيما تماما لم يكن شيئا واقعيا واوضح كذلك لم نؤكد ابدا ان مبادرة الدفاع الاستراتيجي كان لها هدف

دفاع كتيم . وهكذا كان الجنرال ابراهامسون مع كافة اعضاء الادارة باستثناء رونالد ريغان وكـــاسبار واينبرغر ، كانوا يناصرون منح مبـــادرة الدفاع الاستراتيجي وظائف اخرى غيروظيفة (درع الامان) الكتيم تماما .يـذهب جدول الاقتراحات من الدفاع عن الاهداف (المقواة) (اي المدعمة بابنية مــن الفولاذ والاسمنت ـ مخازن الصواريخ ومراكز القيادة مثلا) الى الدفــاع الجزئي عن السكان .

بهدف التوضيح ، سوف اجمع هذه البرامج الاخرى تحت اسم المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي لاميزها عن الاقتراح الاساسي للرئيس ريغــان المسمى المبادرة الاولى للدفاع الاستراتيجي .من الاساس ان نفهم ان هاتين الترجمتين لحرب النجوم لهما اهدافمتعارضة قطريا . لو طبق فان البرنامج الرئاسي سيستبدل القوات الهجومية بأنظمــة دفاعية بالمقابل ، ان مشاريع المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي لها خاصية مشتركة وهي انها تتطلـب كلها الحفاظ على القوات الهجومية ولكن مضيفة اليها انظمة دفاعية .

قبل التطرق الى المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي ، من المفيد انبحث السبب الذي من أجله ظهرت مبادرة الرئيس الاساسية ، المبادرة الاولى للدفــاع الاستراتيجي ، ظهرت حلما لا يمكن تحقيقه في وقتنا هذا .

هذا السبب واضح وجلي . لم يثبت ابدا ان اي تركيب من هذه التقنيات الدفاعية التي ما زالت مستقبلية تماما ، يستطيع ان يضع حدا للثورة التي اعلنها اختراع القنبلة الذرية ، تشكل الحرب جزءا من التصورات التي عدلت معناها هيروشيما . ان الدفاع هو تصور آخر من هذه التصورات . قبــل هيروشيماكان الدفاع يرتكزعلى الانبراء ـ أي جفاف ينابيع العدو واستنفاذ مصادره الانسـانية والمادية والمعنوية . لقد ربحت القوات الجوية الملكية حرب انكلترا بفضل نسبة انبراء قدرهــا عشرة بالمائــة على القوات الالمانيــة اذ كان من المستحيل دعم هجمــات متكررة بأسلحة غــير متساوية . أمــا العكس ، أي دفاع فعال بنسبة تسعين بالمئة لن يستطيــع حمايتنا من هجوم نووي مهما كان محــدودا .

يبين هذا المثال الصعوبة الهائلة لدفاع استراتيجــي في عصر الصواريخ النووية ،هذا ماأكـده البحث المفصــل لكل المشاريع التي تقترح نصـب الدفاعات في الفضاء . ان كانت عبارة التقنيات الدفاعية تستطيع انتستدعي صورا لتعزيزات جبارة ، فانها تــدل على ادوات بالغــة الدقــة كالمراياالكبيرة

جـدا ذات الدقـة العالية جـدا ، والكاشفات التي تتحسس بالحـرارة والاشعاع والانظمة البصريـة القادرة على كشف هدف طوله ثلاثون سنتميترا على بعد آلاف الكيلومترات والتصويب عليه وهو يتحرك بسرعة ستة كيلومترات في الثانية ـ كي لانذكر الا بعضا من هذه التقنيات*. ولكـن على كل هذه العجائب أن تعمل في الحد النظري للكمال : اذ ان أخطـاء ولو بسيطة جـدا في الدقـة قد تؤدي الى تنقيص غير مقبول في فعاليتها . اذا تكفي ضربـات معادية ضعيفة جـدا لجعـل محطـات المعركة الفضائية المجهـزة بهذه اللآلىء التقنية ، غير قابلة للاستخدام .

لاتحتاج هذه الهجمات لان تكون جراحية . ان كان السوفييت يستعدون لافنائنا بواسطة اعتداء نووي ، فانهم لن يتوالون بالطبع على تدمير محطاتنـا الفضائية غير المسكونة اولا ، انهم يمتلكون منذ عشرين عاما مطاردات لاعتراض صواريخنا النووية الباليستية مكيفة تماما لمهمة كهذه مثل تلك المنشورة حول موسكو في اطـار معاهدة الصواريخ المضـادة للقذائف لعـام ١٩٧٢ ، تستطيع هذه الانظمة ان تفتح ثغرة عريضة في درعنا المؤلف من المحطـات الفضائية مما يسمح للسوفييت بالقيـام فـورا بشن ضربـة أولى . اذاً ان كل نظـام دفـاع مرتكز على محطـة مداريـة ، قابل للاصابة حتما ، او ، لاعادة كلمات ادوارد تيللر ، أحـد المدافعين المحترمين عن الانظمة المضادة للصواريخ : لن تستطيع اشعـة اللايزر ان تقـوم بالعمل ـ عليها ان تنشر بعـدد كبير وبكلفـة باهظـة وبامكانها ان تدمر حتى قبل اي هجوم(١٥)': ان تعددية الاجراءات المضادة المعـدة خلال عقـود البحث حـول الصواريخ المضادة للقذائف ، يتبين ان لكل مشروع دفاع فضائي كعب اخيل (نقطـة ضعفه التي يمكن اصابته منها).

بالاضافة الى ذلك ، ان دفاعـات مضادة للصواريخ الباليستية ، لن تكفي لحماية الولايات المتحدة تماما من اعتداء نووي سوفييتي . يجب علينا ان نشرع بشكل متواز بضبط انظمة دفاعية ضد الاسلحـة النووية التي تطلقها الصواريخ العابرة للقارات على ارتفاع منخفض أو التي تلقيها القاذفات . المقصود هنا مهمة جبارة على الصعيد التقني كمهمة تصور دفاع مضاد للصواريخ الباليستية. وحتى لو توصلنا الى ذلك ، كما اعترف بذلك نائب الامين العام للدفاع فريد ايكله ، ليس ممكنا حماية مدينة من قنبلة خفية صنعتها دولة مالكة للسـلاح النووي(١٦). وهكذا لاستعادة كلمات الجنرال جون تومي العضو في المجموعة

---

* يقدم الملحق الخامس ملاحظة تقنية عن مكونات نظام مبادرة الدفاع الاستراتيجي

الرئاسية للدراسات حول التقنيات الدفاعية (لجنة فليتشر) ليس هناك أي نظام للدفاع يمكن تصوره يستطيع ان يمنع عدوا مصمما وحاذقا من تفجير شحنات نووية في بلدنا(١٧).

لخص روبرت س . كوبر مدير الابحاث المتقدمة للبنتاغون خلال الولاية الاولى لادارة ريغان ، لخص فرص رؤية هدف المبادرة الاولى للدفاع الاستراتيجي يتحقق ، بهذه العبارة الجوهرية : لاتحتوي ترساناتنا التقنية أي رصاصة مصنوعة من الذهب أو من البلاتين(...) تسمح لنا بالاستغناء عن قواتنا الهجومية الاستراتيجية في الصواريخ الباليستية العابرة للقارات(١٨) .

أكان الامر يتعلق بالمبادرة الاولى أو بالمبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي فان ثمن النظام سيكون باهظا . كما أشار الى ذلك وزير الدفاع كاسبار واينبرغر ، من الصعب تقدير ثمن نظام ليس الا في طور التصور . ولكننا نعرف الامور بشكل كاف للحصول على فكرة في ضخامة المشروع . لقد صرح ريتشارد دولوير الامين المساعد للدفاع للبحث والدراسات التقنية في ادارة ريغان ، صرح قائلا : عندما يحين وقت نشر احدى هذه التقنيات ، سنذهل من الثمن الذي يتوجب علينا دفعه(١٩) ، اضاف ان ضبط كل واحد من العناصر الثمانية لنظام دفاع مضاد للصواريخ الباليستية(خاصة آلية التدمير وآليات التحسس والحواسب الآلية لادارة المعركة وانظمة التحديد والمطاردة) هو في ذاته عملية معقدة كعملية مشروع مانهاتن ، هذا البرنامج الضخم لصناعة القنبلة الذرية الذي اعدته السلطات الاميركية عام ١٩٤٣ . تبعا لدراسة قام بها البنتاغون عام ١٩٨٢ ، فان نظاما دفاعيا يعمل بالليزر المتمركز في الفضاء(٢٠) والمخصص لمنع اعتداءات بالصواريخ ضد الولايات المتحدة ، سيكلف خمسمائة مليار دولار ، لقد قدر كل من وزيري الدفاع السابقين جيمس شليسينجر وهارولد براون بألف مليار دولار (٢١) كلفة مشروع للدفاع الشامل عن السكان . سأضيف من ناحيتي أنه مهما كانت كلفة التجارب وكلفة نشر نظام المبادرة الاولى أو المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي بشكل واسع ، فان القيمة الاجمالية للفاتورة لن تقف عند هذا الحد اذ يتوجب علينا باستمرار تحديث النظام وتوسيعه لمواجهة متطلبات السباق للتسلح ومتطلبات التقنيات الجديدة .ان اخترنا نشرها ، فان مبادرة الدفاع الاستراتيجي ستتطلب انفاقا سنويا (١١) يتراوح مابين مائة ومائتي مليار دولار ، سنكون مجبرين حينذاك

على احتجاز أموال طائلة من ميزانية الدفاع التقليدي وبرامج قوميـة وذلك لفترة تمتد حتى لما بعـد نهايـة القرن .

طالما لم تتم بعض الاختراعات التقنية الجديدة أو حتى لم تتصور في المخيلة، فان نظام دفاع قليل الكلفة وقابل للعمل بشكل كاف سيكون قادرا لان يحمل محل الردع ، سيبقى محض خرافـة بسبب هذه الحقيقة ، فان قـول الرئيس ريغان(٢٣) بأن القوات الدفاعية هي مفضلة معنويا عن القوات الهجوميـة وان لدينـا الالتزام المعنوي بتطويرها ، ليس الا قولا ضارا لاستعادة الوصف الذي وضعه جيمس شليسينجر (٢٤) موضحا : في زمننا وزمن اولادنـا ، لن تؤمـن حماية المـدن الا باعتدال مـا من قبـل المعسـكر الآخـر أو بواسـطة ردع فعـال . أما هارولد براون الذي خلف ادوارد تيللر في منصب مديـر مختبرات لورنس ليفرمور فهـو من هذا الراي : لاتسمح لنا التقنيةبالتفكير عقلانيا بحماية كاملة للسكان (...) ستجد الولايات المتحـدة كما سيجـد الاتحاد السوفييتي دائما اجراءات مضادة لاختراق نظام دفاع للمراكز المدينية والصناعية ولمراكز السكان ــ وذلك مهما كان عـدد الطبقـات الدفاعية(٢٥) وهكذا ، ان الدمار المتبادل المؤكد ليس ، كما يدعي البعض ، سياسة لا اخلاقية، زد على ذلك ان الدمار المؤكـد المتبادل ــ أي امكانية اصابة كل من القوتين العظميين بمواجهة القدرة التدميرية الرهيبة للاسـلحة النووية ــ ليس سياسـة انه حقيقة مروعة .

تدعيـم الـردع

يعترف وزير الخارجية السابق هنري كيسينجر(٢٦) انه ليس بامكـان المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي ان تستخـدم في فترة زمنية تسمح لنا بالخروج من المأزق الحالي . ولكـن كيسينجر من انصار المبادرة الثانيـة للدفـاع الاستراتيجي أي من انصار نشر الدفاعات الاستراتيجية بشـكل يتوازى مع حفاظنا على اسلحتنا الهجومية .

كتب قائلا : حتى بالاعتراف ــ كما هي حالتي ــ ان دفاعا كاملا عـن السكان هو مستحيل طبعا ، فان وجـود الانظمة الدفاعية تجبر المعتـدي على ان يتوقـع وسائل اشباع ، الامر الذي يعقـد حساباته كثيرا . كـل ماينمي الشك يثير ترددا ويقـوي الردع . تصبح الحالة اكثر تعقيـدا فيمـا يخص الدفاع عن قاذفـات الصواريخ الباليستية العابرة للقارات ICBM

(....) ستجد الاسباب لشن ضربة أولى ، ستجد نفسها ضعيفة وحتى انها ستفقد كل ملائمتها اذا كان المعتدي يعلم ان نصف كمية الصواريخ البالیستية العابرة للقارات لدى خصمه ستنجو من أي اعتداء متوقع .

بين المناصرين الآخرين المشهورين للمبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي هناك المستشار السابق للامن القومي زبيغنيو بريجنسكي وماكس كامبلمان المفاوض الرئيسي الحالي حول اتفاقيات السيطرة على الاسلحة ، اللذان اعلنا في نص مشترك : ان التوفيق مابين الدفاعات المضادة للصواريخ وبين احتياطي من القوات الهجومية للانتقام ، يقوى الردع ويدعمه(٢٧).

ولكن ليس هناك حاجة للبحث بين الخبراء الخارجيين لايجاد مناصرين للمبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي . فبدون بلاغة رونالد ريغان ،وكسبار واينبرغر نستطيع بسهولة ان نستخلص ان المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي هي مفتاح المدخل الى مبادرة الدفاع الاستراتيجي لدى الادارة الاميركية. لقد صرح الجنرال ابراهامسون الذي يدير برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي صرح قائلا : باقتراحنا لنظام الدفاع الاستراتيجي ، لم نكن ننوي ابدا التخلي عن سياستنا الردعية(٢٨). وتبعا لكتيب نشره البيت الابيض في كانون الثاني عام ١٩٨٥ ، اعطاء قاعدة موثوقة وأكثر استقرارية للردع المدعم ، هذا هو الهدف المركزي لبرنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي(٢٩). وقد صرح فريد هوفمان مدير المجموعة الرئاسية للدراسات حول مستقبل الامن والذي كانت مهمته تحديد اهداف مبادرة الدفاع الاستراتيجي، صرح قائلا : المشكلة التي تطرح نفسها للمستقبل المنظور ليست معرفة ما اذا كان على الاسلحة الدفاعية ان تحل محل الاسلحة الهجومية ولكن ان كان تضافر الانظمة الدفاعية والقوات الهجومية المنتخبة والفعالة على الصعيد العسكري ، سيسمح لنا بالاستجابة بشكل افضل الى احتياجاتنا الاستراتيجية في الردع وفي تحديد الخسائر(٣٠) . توضح نسخة غير مصنفة عن الامر رقم ١٧٢ حول الامن القومي موقعة في ٣٠ ايار ١٩٨٥ من قبل الرئيس ، توضح انه في مستقبل منظور ستبقى القوات النووية الهجومية وامكانية الرد الانتقامي النووي ، ستبقيان العنصر المدخلي الى الردع ، وقد صرح بول نيتز المستشار الخاص للرئيس حول مسائل السيطرة على الاسلحة ، صرح قائلا : نحن نقبل كقاعدة للردع ، نقبل بالالتزام الدائم بواجب الاعتماد على الاسلحة الهجومية والتهديد الاخير بالرد الانتقامي الكثيف(٣١).

بالاضافة الى كامبلمان ونيتز(٣٢) ، تقريبا كل الاعضاء الآخرين في ادارة ريغان متوافقون مع كيسينجر : ان دفاعا كتيما عن السكان يسمح باستبعاد الاسلحة النووية ، هو امر مستحيل . هكذا ، بينما يحافظ الرئيس ووزير دفاعه ، على اقتراحهما الاساسي ، يقوم التقنيون والمسؤولون عن برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، يقومون بتطوير تحاليل اقل جذرية تموه التمييز بين دفاع عن المخازن ودفاع عن مراكز القيادة ، هذا مايمكن تحقيقه تقنيا ، وبين دفاع كامل ليس كاملا في الحقيقة . لذلك تستحق الحجج المتقلبة التي تطورت حول المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي، تستحق ان تدرس بعناية .

الحجة الاكثر اقناعا التي يضعها في المقدمة مناصر ونظام يقرن الهجوم بالدفاع ، هي حجة هنري كيسينجر ، حتى دفاع جزئي الفعالية سيدخل عنصرا اساسيا من الشك والتردد في خطط الهجوم السوفييتية وبالتالي سوف يقوي الردع . يفترض ذلك ان للعسكريين السوفييت شاغل وحيد الا وهو الاعتداء علينا وان اي شيء يلقي في ذهنهم سوف يلعب لصالحنا. ولكن دفاعا جزئي الفعالية سوف يلهب شكوكهم حول قصدنا بالوصول الى قدرة تمكننا من توجيه الضربة الاولى . من ذلك ، ما قلته سابقا وساعود اليه فيما بعد ، انهم مقتنعون ، دون ذكر انه يوجد وسائل اقل كلفة بكثير واقل خطورة للوصول الى نفس الهدف .

لماذا يخشى السوفييت ان تنضوي المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي في استراتيجية ضربة أولى ؟ لان مظلة مثقوبة لاتقي من الطوفان بينما تظل نفس هذه المظلة مفيدة اثناء الرذاذ ، بكلمات اخرى ، ان دفاعا من هذا النوع سوف ينهار تحت ضربة اولى سوفييتية كثيفة ولكنه يستطيع ان يقابل بشكل فعال قوات سوفييتية انهكتها ضربة أولى اميركية .

انها هنا نقطة الضعف ، في جملة نادرا ماتذكر من خطابه بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٨٣ صرح الرئيس ريغان : عندما تستخدم على مستوى أسلحة هجومية ، بامكان الاسلحة الدفاعية ان تعتبر كخميرة لسياسة تصعيدية ، وهذا مالا يرضاه احد (٣٣). كان الرئيس يخشى من أن يفسر السوفييت قرارا باتمام – لا بالنوب عن – انظمتنا الهجومية بانظمة دفاعية كمحاولة لتجهيز أنفسنا بمقدرة على توجيه ضربة أولى . أعلن الرئيس ريغان بعد ذلك : انني اعتقد ان اخطر شيء في العالم هو الاعتبار ان اي واحد منا يمتلك مقدرة على توجيه ضربة أولى (٣٤)، والحالة هذه ، هكذا تماما يفسر السوفييت

برنامجنا الذي ، بالرغم من التحفظات التي عبرعنها الرئيس ريغان، يبدو تماما ، ان هدفه هو استخدام الانظمة الهجومية في مصاف الانظمة الدفاعية .

غالبا مايجد الاميركيون انه من غير المعقول ان يستطيع السوفييتالشك بأن نوايانا نظيفة بهذا القدر ، اذ اننا لم نهاجمهم في الوقت الذي كنانتمتع فيه بتفوق نووي ساحق (الرجوع الى الملحق الرابع).

هذه الفكرة التي يستطيع السوفييت بموجبها ان يثقوا بنا ، توجد في كل تصريحات رونالد ريغان وكاسبار واينبرغر . قال الرئيس : فيعام ١٩٤٦ ، كانت الولايات المتحدة البلد الوحيد في العالم الذي يمتلك هذه الاسلحة المريعة ولكننا رغم ذلك لم نقم بالابتزاز مهددين باستخدامها (.....) الا يكفي ماضينا لدحض الاتهام الذي يدعي اننا نسعى الى التفوق واننا نمثل تهديدا للسلم؟(٣٥). أما كاسبار واينبرغر فقد اعلن انالسوفييت يعرفون تماما اننا لن نوجه ابدا ضربة اولى الى الاتحاد السوفييتي(٣٦)، لقد صرح رونالد ريغان الى صحفيين سوفييت استقبلهم في البيت الابيض : أريد ان أؤكد لكم اليوم انه ليس في نيتنا محاولة الاستفادة من مبادرةالدفاع الاستراتيجي ، او تطوير نظام كهذا ذات يوم ، للحصول على مقدرة تمكننا من توجيه ضربة اولى(٣٧).

ان اقتنعت مثل الرئيس ، ان الولايات المتحدة ليس لها اليوم ولم يكن لديها ابدا في الماضي استراتيجية لتوجيه ضربة اولى ، فلا يمكننا ان نلوم السوفييت لتفكيرهم عكس ذلك .

مثلا ، هناك مستند غير سري من عام ١٩٥٤ يظهر ان الجنرال لوميرئيس هيئة القوات الجوية الاستراتيجية في الولايات المتحدة كان قد صرح : اعتقد انه لو ضيق علينا الخناق حقا لكنا لم نتردد بأن نكون البادئين بالضرب(٣٨) . وكما ذكرت في الفصل الثالث ، في مذكرة يعود تاريخها الى عام ١٩٦٢ وموجهة الى الرئيس كنيدي كنت قد ذكرت ان اقتراحات القوات الجوية الاميركية للسنة المالية ١٩٦٤ كانت تهدف الى تجهيز الولايات المتحدة بقدرة على توجيه ضربة اولى (٣٩) .

في هذه المذكرة ، أكدت من جديد قناعتي بأن استراتيجية لضربة أولى عليها ان تستبعد من اهداف سياسة الدفاع الاميركية وقد استبعدت

ولكـن من المؤكـد ان السوفييت سمعوا الكلام حـول اقتراح القوات الجوية الاميركية ، لقد شاهدوا قواتنا تتطور بوتيرة قادرة علـى ان تفسر على انهـا اشارة استراتيجية الضربة الاولى ولكنهم لم يعلموا لابالتوصية التي كنـت قد وجهتها للرئيس ولا بالقرار الذي اتخذه هذا الاخير .

ومؤخرا ، رأوا ان الولايات المتحـدة ، التي جابهت اخطر ازمة مالية في تاريخها ، رأوها تقرر الحصول على خمسين صاروخا من نوع ام اكس MX بكلفة مرتفـة جـدا تنوي نشرها في مخازن صواريخ مينتمان التي صرح وزير الدفاع كاسبار وايندبرغر ان اعتـداء سوفييتيا(٤٠) بامكانه ان يصيبها . أمـا السوفييت فانهم لايستطيعون الا ان يجـدوا تفسيرا واحدا جوهريا لهـذا القرار : هذه الصواريخ مخصصة لتكون جزءا من قوة اميركية قادرة علـى توجيه الضربة الاولى وان هذه الصواريخ لن تكون في مخازن قابلة للاصابة أثناء الرد السوفييتي .

على أيـة حال ، ان راي الادارة الاميركية هو ان بامكان السوفييت أن يثقوا بنا . في الوقت ذاته ان احدى التبريرات الاساسية لمبـادرة الدفـاع الاستراتيجي هي اننا لانستطيع ان نثق بهم لانهم يحاولون بالفعـل التجهز بمقدرة تمكنهم من توجيه الضربة الاولى وانهم لن يقصروا على استثمـارميزة استراتيجية .

تبعا للرئيس ريغان ، يعتقد السوفييت انه بالامكان كسـب حرب نووية وذلك يعني انهم يعتقدون انهم بتفوق كـاف ، يستطيعون حرمـان العـدو من امكانيته في الرد الانتقامي(٤١).

واكد معاون وزير الدفاع ريتشارد بيرل قائلا :

يشكل اليوم غياب دفاع مضاد للصواريخ الباليستية ، يشكل حقابالنسبة للسوفييت حلقتهم الناقصة في قدرة الحرب لديهم . يجب الاشـارة الـى ان مذهبهم وخططهم العسكرية تتوقـع تطوير مقدرة عسكرية كافية للتاهبلحرب مابشكل فعال (....)، فقط بنشرهم لنظامواسع منالدفاع المضادللصواريخ، يستطيع السوفييت ان يأملوا بمنع الرد الانتقامي ـ لا بتحديـد خسائره ـ على أهدافهم العسكرية والسياسية الرئيسية (٤٢) .

وقد اشار كاسبار وايدبرغر الى ذلك قائلا : لا اتخيل عاملا لعدم الاستقرار الدولي اكبر من عامل امتلاك الاتحاد السوفييتي قبل الولايات المتحدة،لنظام

دفاع مضاد للصواريخ يمكن الاتكال عليه (٤٣)، ويضيف قائلا : لااتخيل ان يقوموا بشيء آخر سوى محاولة ممارسة الابتزاز على بقية العالم(٤٤).

في مناسبة اخرى ، وجب عليه الكشف عن الاتفاقات السوفييتية على برامجهم المضادة للصواريخ على أنها أشارة لمحاولة السوفييت امتلاك مقدرة تمكنهم من توجيه الضربة الاولى(٤٥).

ليس هناك اذاً أي شك ان الحذر كامل ومتبادل من كلا الطرفين . لقد قلت ذلك من قبل ، يعرف السوفييت تماما ان فكرة توجيه الضربةالاولى لم تستبعد ابدا من الفكر الاستراتيجي الاميركي . أنهم يعرفون ايضا أنهم لايصدقون الرئيس ريغان عندما يؤكد ان الولايات المتحدة لم ولن تستثمر امتيازا أو تفوقا عسكريين . انهم لم ينسوا هيروشيما وناغازاكي ، ولم تزل في مخيلتهم التهديدات التي أطلقها هاري ترومان بالنسبة لكوريا ، ودوايت آيزنهاور ايضا بالنسبة لكوريا ، وريتشارد نيكسون بصدد فييتنام وجيمي كارتر بصدد الخليج العربي بأن يستخدموا السلاح النووي(٤٦).

هناك ايضا قليل من الفرص كي يقبل السوفييت التعهد الذي اخذه الرئيس ريغان على عاتقه والذي ينص على مشاركة الاتحاد السوفييتي في تقنية مبادرة الدفاع الاستراتيجي لتجنب ان يكسب هذا البرنامج الولايات المتحدة ميزة من جانب واحد .

كي يضما الى رايهما الكونجرس وحلفاء الولايات المتحدة ، ابرز وزير الدفاع كاسبار واينبرغر والجنرال ابراهامسون ، أبرزا محاسن تقنية مبادرة الدفاع الاستراتيجي لا على انها دفاع مضاد للصواريخ فحسب بل ايضا في مجالات اخرى عسكرية ومدنية (٤٧) . ولكن حينذاك تطرح المشكلة الا وهي تسليم السوفييت معرفة تكنولوجية تمكنهم من فعالية اكبر اكان ذلك بالاسلحة التقليدية او بالاسلحة النووية في افغانستان او في اوروبا . هل سنرضى ان نقدم لهم ناظماتنا الآلية (الكومبيوتر) الاكثر كمالا — التي تفوق بكثير كل مايوجد اليوم في الشرق كما في الغرب — وبذلك ان نقوض ميزتنا التنافسية في السوق العالمي ؟ منذ سنتين فقط رفضنا ان نبيع للاتحاد السوفييتي امتيازا لصنع الحواسب الآلية الشخصية ذات التقنية البسيطة نسبيا .

من غير المعقول ان تفكر حكومتنا بمشاركة الاتحاد السوفييتي في تقنيتنا العالمية دون تحول جذري في العلاقات السياسية بين بلدينا . وان على مثل هذا التحول ان يحصل فسيتم التغيير على اساس ان لايحتاج اي طرف بعد ذلك الى ادوات عسكرية جديدة .

من يستطيع ان يصدق نية رونالد ريغان الذي يدعي انه يريد ان يعطي مبادرة الدفاع الاستراتيجي الى السوفييت عندما نعرف المشقة التي تكبدتها الولايات المتحدة لمنع دولة حليفة مخلصة كبريطانيا العظمى من الاستفادة من ثمار بحوث مبادرة الدفاع الاستراتيجي التي تشترك فيها بريطانيا .

وماذا نقول عن هذا التصريح للجنرال ابراهامسون : اعتقد انه من الضروري ان يكون لدينا دفاع اكثر فعالية من دفاعهم(٤٨).

ان تاكيدا كهذا لايمكنه الا ان يدعم خشية السوفييت من رؤية الولايات المتحدة تحاول عن طريق مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، استعادة التفوق العسكري . هناك تصريحات اخرى سارت في هذا المعنى ، من بينها تصريح كاسبار واينبرغر :

لو كنا نستطيع ان نضع نظاما فعالا وقادرا على جعل اسلحتهم عاجزة لكنا سنجد انفسنا في الموقف الذين كنا فيه ، مثلا ، عندما كانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة المالكة للسلاح النووي ، لم تكن تهدد به بقية العالم (٤٩).

لقد عبر السوفييت بوضوح عن رايهم حول مبادرة الدفاع الاستراتيجي بالنسبة للامين العام ميخائيل غورباتشوف : ان ادعاء الدفاع بواسطة مبادرة الدفاع الاستراتيجي ليس الا وهما . فالحقيقة مختلفة تماما . يتعلق الامر بالفعل بشل السلاح الاستراتيجي لدى الاتحاد السوفييتي وتمكين الولايات المتحدة من توجيه ضربة نووية ضد بلدنا دون عقاب(٥٠). بعد قمة جنيف في ايلول عام ١٩٨٥ حلل ميخائيل غورباتشوف الموقف الاميركي بهذه العبارات:

انهم يقولون : صدقونا اننا لو كنا الاوائل في التوصل الى استخدام مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، لشاطرنا تجربتنا وخبرتنا مع الاتحاد السوفييتي ، واجيب على ذلك : سيدي الرئيس ، جاء دوري بالطلب منك ان تصدقنا ،

لقد قلنا اننا لن نكون البادئين باستخدام الاسلحة النووية واننا لن نشن هجوما على الولايات المتحدة · لماذا اذاً تنـوي ـ محتفظين بقدرة دفاعيـة على الارض وفي البحر ـ ان تطلق عنان سباق التسلح حتى في الفضاء ؟ انك اذاً لاتصدقنا ؟ هذا على اية حال مايفهم من اقتراحك . لماذا يجـب علينا ان نصدقكم بينما تظهرون انتم انكـم لاتصدقوننا(٥١)؟.

ان كان السوفييت لايقبلون ايضا بحجـة انصار المبادرة الثانية للدفـاع الاستراتيجي ـ القائلـة بـأن مبادرة الدفـاع الاستراتيجي لـن تنضوي علـى استراتيجية ضربة اولى ولكنها تشكل فقط وسيلة لتدعيم الردع ـ فماذا سيكون موقفهم اذاً ؟ ··

بالنسبة لهم ، ان دفاعا استراتيجيا على صعيد الارض الاميركية هـو استفزاز حقيقي . سيكون من التهور ان نهمل تحذيراتهم المتكررة آخذيـن اياها على انها دعايـة بحتة ، ان وعـدهم بالرد على تدعيم جوهري لاسلحتهم الهجومية ليس تهديدا وهميا . لقد وضعت كل قـوة عظمى اولويتها المطلقة على انشاء ترسانة نووية قادرة على الوصول حتما الى مصالح خصمهاالحيوية. يعتقد كل من الطرفين ان هذه المقدرة ضروريـة لردع المعسكر الآخـر عـن توجيه هجـوم نووي او استخدام ميزة نووية لاهداف سياسية .

من جهتنا ، لقد أكدنا أننا سنرد على مشروع سوفييتي للدفـاع الاستراتيجي تماما بنفس طريقتهم . كتب كاسبار واينبرغر في تشرين الثاني ١٩٨٥ في رسالة وجهها الى الرئيس ريغـان: ان نظاما محتملا للدفاع عن الارض السوفييتية سيتطلب ان نزيـد عـدد قواتنا الهجومية وقدرتها في الاختراق كي نتأكـد اننا نستطيع تنفيذ خططنا العملياتية(٥٢).

لم يتردد وزير الدفاع ايضا بالاعتراف ان السوفييت سيردون بالمقـابل على نشر نظام دفاع استراتيجي اميركي . ولقد صرح امام لجنة من مجلس الشيوخ عـام ١٩٨٥ ، : اعتقـد أنهـم سـيحاولون تدمـير دفـاع استراتيجي او سيحاولون احباطه بشكل او بآخر نحن عالمون بذلك تماما(٥٣) .

على أساس التصريحات الاميركية منها والسوفييتية ، نستطيع بالتالـي أن نستخلص دون أن نخطيء ان كل محاولة لتدعيم الردع ، باضافـةالدفاعات الاستراتيجية الى القوات الهجومية ، سيؤدي الى تصعيد سريع في السباق نحو التسلح .

للردعلى نشر الولايات المتحدة لمبادرة الدفاع الاستراتيجي ، فان السوفييت الذين سينطلقون ، كما هو تقليدي ، من الفرضية الاسوأ ، بدون شك سيزيدون من تقديرهم لفعالية دفاعنا . هذا ماكنا قد فعلناه خلال الستينات والسبعينات :حين نشرت حول العاصمة السوفييتية دفاعات مضادة للصواريخ الباليستية ذات امكانية اشتغالية قابلةللنقاش ، قمناوبشكل ملحوظ بتدعيم ترسانتنا من الرؤوس الموجهة نحو موسكو .

لمواجهة ازدياد قوتهم الهجومية ، سنجد انفسنا مجبرين على اتخاذ اجراءات مماثلة.

وان كان على مبادرة الدفاع الاستراتيجي ان تؤدي الى نصب اسلحة في الفضاء ، فسوف تجتاز المنافسة مرحلة جديدة . ستكون الاسلحةالفضائية بالفعل قابلة للاصابة من قبل هجوم مباشر تشنه شبكة اسلحة مضادة للاقمار الصناعية بدانا النظر في تقنيتها ، وكما اشار الى ذلك هارولدبراون (٥٤)، فانها ستكون اقل فعالية على الصواريخ مما هي على اسلحة العدو الفضائية .

وهكذا لن يصنع كل معسكر صواريخا وانظمة مضادة للصواريخ فحسب بل سيصنع ايضا نظما مضادة للصواريخ ومضادة مضادة مضادة للصواريخ والخ ... لن نستطيع القول ابدا ان نشر النظام قد انتهى . يجب علينا باستمرار تحسين واعداد اجراءات معاكسة هجومية ونظما تؤمن للاقمار الصناعية القدرة على البقاء . بالاختصار سيكون سباقا للتسلحلانهاية له.

لقد ادركت لجنة فليتشر تماما هذا الخطر وبشكل مبكر لفتت الانتباه على ان فعالية نظام دفاع استراتيجي ومخاطره ستكون مرتبطة لابالتقنية نفسها فحسب بل ايضا بدرجة قبول السوفييت باتفاقيات حول انظمة الدفاع او حول تحديد القوات الهجومية(٥٥).

لابطال هذا التهديد بالتصعيد ، اعد بول نيتز مفهوما استراتيجيا جديدا يقترح انتقالا تدريجيا للقوتين العظميين نحو الحالة الدفاعية ترتكزفكرتنا على تحول يقوم به الطرفان معا ، تضع خلاله الولايات المتحدةوالاتحاد السوفييتي تدريجيا وبشل مراقب دفاعاتهما الجديدة وفي الوقت ذاته تتابعان تقليص ترسانتهما النووية الهجومية(٥٦). ولكن كما كتب جيمس شليسنجر،

ان خطة نيتز هي مفهوم استراتيجي أقل مما تكون تبريرا لرؤية الرئيس . أنها في ذاتها مفهوم مغلوط من أساسه(٥٧) .

مع العلم ان بول نيتز قد اوضح تماما ان القوات الدفاعيةالاستراتيجية لن تنشر الا في اتفاقية حول السيطرة على الاسلحة ، الا انه ليس هناك اي انسان قد وجد كيف تتم صيغة مثل هذه المعاهدة . لقد اعترف نيتز بنفسه ان التحول نحو حالة الدفاع سيكون ضعيفا جدا(٥٨). ولكن لماذا ؟ . . .

كانت السيطرة على الاسلحة صعبة نوعا ما عندما لم تكن تتعلق الا بالقوات الهجومية التي تكون قدراتها وامكانياتها معروفة نسبيا . ولكن المشكلة ستكون اكثر تعقيدا بالنسبة لنظم الدفاع الفضائي التي ستبقى فعالياتها شيئا مجهولا حتى بالنسبة للذين يمتلكونها اذ من غير الممكنتجربتها في شروط اقل ماتكون واقعية .

لقد نشر مكتب تثمين التكنولوجيا في الكونجرس الاميركي ، نشر في عام ١٩٨٥ دراسة كاملة تماما عن نظام الدفاع المضاد للصواريخ . وبصدداسلوب للسيطرة على الاسلحة ، يتوقع في آن واحد زيادة في النظم الدفاعية وانخفاضا في القوات الهجومية ، يستخلص هذا التقرير الى القول :

امكانية التفاوض حول اتفاقية كهذه هي امر افتراضي جدا . ليس هناك اي اقتراح لاي حل ملائم للمشاكل التي يطرحها تقدير ومقارنةوتدقيق القوات الاستراتيجية المتباينة . انها مع ذلك نفس هذه المشاكل التي سممت في الماضي كل المفاوضات حول السيطرة على الاسلحة . واليوم الوضع اكثر تعقيدا بشكل واضح لانه يجب ادراج القوات الهجومية منها والدفاعية (. . .) .

ان اتفاقا للسيطرة على الاسلحة يستند الى الادراج التدريجي للدفاعات المضادة للصواريخ الباليستية عليه ان يبين لكل من الفريقينصنوف ومستويات الاسلحة الهجومية والدفاعية ، وكذلك الوسائل الملائمة للتدقيق . يجب عليه ان يحدد حدودا للانظمة الهجومية لمنع اي من الطرفين من الحصول على مقدرة اعلى تمكنه من اختراق الدفاع المعادي . يجب عليه ايضا ان يبين انواع النظم الدفاعية . لنشر الى ان لا احد حتى اليوم اوضح الطريقة التي يمكن بها تحرير اتفاقية كهذه حول السيطرة على الاسلحة(٥٩).

لماذا لم يستطيع احـد تحديد محتوى معاهـدة كهذه ؟ لانه لا الخبـراء الاميركيون ولا الخبراء السوفييت لايتوصلون الى تصور وسيلة للتقليل من القوات الهجومية وفي الوقت ذاته السماح بنشر النظـم الدفاعية معالضمانة لكل معسكر امكانية الحفاظ على هدفـه الاولوي الا وهو اقتناء قوةنووية للردع الفعـال ضد اي هجوم نووي معادي .

للتأمل فقط ، دعونا نتخيل ماذا تشبه اتفاقية من هذا القبيل ؟ . . .

فيالمادة الاولى ستتعهـد القوتان العظميان بالبدء بتقليص جوهـري في قواتهما النووية الاستراتيجية بنسبة خمسين بالمئـة وسيتـرك ذلـك لكـل قـوة عظمى ستة آلاف راس نووي . بالامكان تصور هذه التقليصات لكبح كـل محاولة لتوجيه ضربة اولى في حال نشوب ازمة ما .

في المـادة الثانية سيتعهد الفريقان بعـدم امتلاك نظام دفـاع استراتيجي له مقدرة للاعتراض اعلى من قيمة ما نسميها (س) . على هذه القيمة ان تكون منخفضة بشكل كاف كي لاتقلل من الفعالية الرادعـة للستة آلافراس نووي لدى كل من المعسكرين . بتعابير اخرى ، يجب على كل فريق انيتأكـد انه في حال وجه الفريق الآخر اليه ضربة اولى سيبقى له مقدرة كافيةلاختراق الدفاعات المعادية وممارسة الرد الانتقامي . حتى الآن ليس هناك اي اقتراح حـول طريقة تحديد القيمة «س».

لو اتفقنا حـول هذه القيمة ، على المادة الثالثـة ان تستند الى مميـزات التصور . بما اننا لانستطيع الاعتماد على الثقـة وحدها لضمان احتـرام الاتفاقيات يجب ان نحـدد لنظام الدفاع الفضائي السوفييتي مميزاتالتصور التي لن تسمح لهم اقتناء مقدرة اعتراضية بمستوى اعلى من القيمة «س». والحالة هذه ، بما اننا لن نستطيع ابدا ان نكون متاكدين من قدرات نظامنا الخاص بنا فبالتالي سيكون تحديد القيمة «س» أمرا مستحيلا .

لنفترض ان المعسكرين توصلا الى اتفاق حول مميزات كهذه ، حينذاك يجب ضمان اتباعها الفعلي . على المعاهدة ان تنص على اجراءات تفتيش جبرية ـ اكثر قسرا من تدقيق النظم الهجومية .

برأيي ، أن أتفاقا كهذا من غير الممكن اعداده مهمـا بدا النظـام قابلا للتحقيق تقنيا في مفهوم الابحاث حول مبادرة الدفاع الاستراتيجي وان كانت القوتـان

العظميان تعرفان في علاقاتهما حالة من الرضى تسمح لهما بتوقيع اتفاقية تقلص القوات الهجومية وتسمح بالانظمة الدفاعية ، فتحت وزن فرضية الامر الاسوأ المترافق مع الحذر المتبادل من الوقوع في موقف الدونية ، سوف لن يطول نقض اتفاقية كهذه .

من المؤكد ان المسؤولين الرئيسيين في ادارة ريغان يعرفون ان انتقالا مراقبا نحو حالة الدفاع لا يمكن تصوره في المستقبل المنظور ، لقد اعترف بول نيتز ان السوفييت لم يشجعوا ابدا هذا المفهوم (٦٠) .

ماهو اذاً المشروع الاحتياطي لدى ادارة ريغان ؟ بدون شك أنه مشروع التصرف الفردي . اذا لم يرض السوفييت بخطتنا للتحول معا نحو الحالة الدفاعية ـ التي لا نملكها حتى الآن والتي بكل تأكيد لن نتوصل الى اعدادها ـ سنلتجيء الى تنافس غير مراقب . بعد ان صرح الرئيس ريغان ان الولايات المتحدة لن تنشر نظما دفاعية قبل ان تتوصل الى اتفاقية تقضي باستبعاد الاسلحة الهجومية ، عاد فاستدرك قائلا الى بعض الصحفيين : من الواضح اننا لو (....) كنا نتملك نظام دفاع ولم نتوصل للحصول من السوفييت على اتفاقية تقضي باستبعاد الاسلحة النووية فلسوف نقدر حينذاك اننا بذلنا كل الجهود التي نستطيع بذلها ولسوف نبادر الى النشر (٦١) . في التقرير الذي قدمه للكونجرس للسنة المالية ١٩٨٧ ، صرح وزير الدفاع كاسبار واينبرغر : بالطبع ولا في اي حال من الاحوال ، سنعطي للسوفييت حق النقض (الفيتو) حول نشر انظمتنا الدفاعية المستقبلية (٦٢) . وحسب قول مدير مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، الجنرال ابراهامسون ان مساعدة الاتحاد السوفييتي سوف تسهل هذا التحول ولكنها ليست ضرورية او محتمة (٦٣).

ان تحولا من طرف واحد نحو الحالة الدفاعية سيكون له نتائج مفجعة .

ان اهم اتفاق في العصر النووي للسيطرة على الاسلحة الا وهو معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف هو اول من سيعاني من هذه النتائج . مع احياء السباق نحو الاسلحة الاستراتيجية الدفاعية ، سيقوم كل معسكر بتدعيم نظمه الهجومية ليمكن نفسه من مقدرة للردع . ان اتفاقية سولت ستكون مهددة هي بدورها . وسيكون من المستحيل بعد ذلك التوصل الى اتفاقيات للاعتدال في مجال الاسلحة الهجومية طالما لم يتوقف السباق نحو النظم الدفاعية وطالما لم تنقلب النزعة .

بدون اعتراض ، يمكننا اذاً ان نؤكد : ان مشروع حرب النجوم والسيطرة على الاسلحة متناقضة كليا .

يجب أن نضيف ان نشر نظم الدفاع من جانب واحد من قبل الولايات المتحدة لن يكون خطيرا فقط ولكنهلن يسمح لها بتدعيم امنها بشكل ملموس. وسوف يرد السوفييت بكل تاكيد بنصبدفاعاتاستراتيجية لها مقدرة تساوي على الاقل قدرة دفاعات الولايات المتحدة . مهما كان السيناريو فان هذه الدفاعات السوفييتية ستلغي الفوائد الامنية التي كنا نأمل جنيها من نشر انظمتنا الدفاعية .

بالملخص ،لاارى كيف يستطيع نشر نظام دفاع مضاد للصواريخالباليستية ان يدعم الردع .

ولكن فلنفترض للحظة ان هذا النشر توصل الى تدعيم الردع . هل يوجد طريق آخر للوصول الى الهدف الذي جرى وراءه هنري كيسنجر ؟ أي لمنع السوفييت من ان يمتلكوا ، اليوم كما في الغد ، مقدرة تمكنهم من توجيه الضربة الاولى . هل بالامكان ايجاد وسيلة غير مبادرة الدفاع الاستراتيجي تكون في الوقت ذاته اقل كلفة واكثر وثوقا ، وسيلة تجنب تغذية السباق للتسلح ؟.

تبعا للجنة الرئيس ريغان حول القوات الاستراتيجية التي يراسها الجنرال سكوكروفت ، فاننا حاليا لسنا مهددين من ضربة أولى سوفييتية طالما ان امكانية اصابة قواتنا الاستراتيجية ـ صواريخ منصوبة على الارض وتطلقها غواصات وقاذفات ـ عليها ان تقدر ككل لابشكل فردي (٦٤) بالاضافة الى ذلك ، ترى لجنة سكوكروفت انه بالامكان تدارك تهديد في المستقبلبشكل اقل كلفة بكثير واقل خطرا واكثر فعالية فيما يخص امتنا ، وذلك بتقليص النسبة بين عدد الرؤوس النووية السوفييتية ذات الدقة العالية وعدد الصواريخ الاميركية القابلة للاصابة المنصوبة على الارض بدلا من نشر اي نظام دفاع مضاد للصواريخ الباليستية . يمكن تحقيق هذا التقليص اما عن طريق المفاوضات مع الاتحاد السوفييتي واما باستبدال صواريخنا الثابتة القابلة للاصابة (مينتمان) بصواريخ متحركة (ميدجتمان : الرجل القزم) او بتضافر الاثنين معا . لقد عبر ميخائيل غورباتشوف سابقا عن ارادته بالتوجه في هذا الطريق شريطة انتقلص ، باجراءات مماثلة ، التهديد الذي يثقل كاهل السوفييت .

بعد ان نقضت فرضية الردع ، سوف أبحث الآن الحجج الاخرى التي تقدم أحيانا لتبرير الحاجة الى المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي .

لقد قيل مثلا اننا نحتاج الى دفاع استراتيجي محدود لاعتراض الصواريخ النووية الصغيرة المفترض ان تطلق من بلدان من العالم الثالث ومن مجموعات ارهابية ، او ايضا ، بشكل غير مقصود من قبل السوفييت . ولكن اذا نجحت بلدان صغيرة او مجموعات ثورية فعلا ، بامتلاك السلاح النووي ، فهناك امل كبير أن تستخدمه على شكل قنبلة تدس خلسة في حقيبة سفر من ان تقذفه بواسطة صاروخ باليستي بعيد المدى . ان أفضل طريقة لاستدراك التهديدات النووية القادمة من العالم الثالث ، ليست باقامة دفاع مضاد للصواريخ يحل محل السباق للتسلح بين القوتين العظميين ، ولكن باستمرار العمل مع الاتحاد السوفييتي ومع امم اخرى لمنع دول اخرى من امتلاك اسلحة نووية .

ان المظهر المستقر لدرع دفاعي ليس هو ايضا افضل حل لمشكلة اطلاق عرضية غير مقصودة . لقد اجتهدنا في تدارك الحوادث وعلينا ان نتابع مهمتنا بدعوة السوفييت بان يحذوا حذونا . بالاضافة الى ذلك ، تستطيع القوتان العظميان تجهيز صواريخهما باجهزة مسيرة تقوم بتجريد الصاروخ من رأسه النووي ويمنع تفجير شحناته في حال أطلق صاروخ عرضيا عن غير قصد .

هناك راي آخر في صالح دفاع غير مكتمل يقول ان هذا الدفاع سيحد من الخسائر التي سوف يتكبدها بلدنا في حال نشوب حرب نووية . ولكن الترسانة السوفييتية هي واسعة جدا لدرجة ان حتى دفاع فعال بنسبة ٩٥٪ ــ وهذا مالا يستطيع اي مسؤول ان يعد به ــ سيمكن حوالي خمسمائة راس نووي تطلقها صواريخ باليستية من اختراق مجالنا ، دون ان نتكلم عن القاذفات والصواريخ العابرة ، لقد صرح جيرارد سميث مفاوض الرئيس نيكسون حول اتفاقيات السيطرة على الاسلحة ، صرح قائلا : ليس هناك اي مسؤول رسمي يستطيع ان يؤكد انه بنظام من هذا النوع ستكون الحرب النووية من اي ناحية، مقبولة اكثر مما هي عليه اليوم . ان افضل طريقة لحماية بلدنا من الحرب النووية هي منع حدوث هذه الحرب (٦٥) .

واخيرا يقول البعض ان بامكان الولايات المتحدة ان تستخدم المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي للحصول على تقدم تقني والوصول الى التفوق النووي وهذا ما يتهمنا به السوفييت. لقد كتب جورج كيوورث المستشار العلمي السابق للرئيس ريغان أنه مع المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي ، انها ورقتنا الرابحة التي سوف نلعبها : الميزة التقنية(٦٦) . ان المدافعين عن وجهة نظر

كهـذه يجهلون قصة مابعد هيروشـيما ويحترمون أقـل من أي ، كفاءة النظـام السوفييتي في مساواتنا في مضمار الاسلحة وفي تلقيه التضحيات من شعبه .

يمثل اختراع القنبلة الذرية من قبل الولايات المتحدة ، يمثل ابرز خرق تقني في التاريخ العسكري ، ومع ذلك بينماكانت الحـرب تجتـاح الاتحاد السوفييتي وبينما كان الاتحاد السوفييتي يمتلك بنية تحتية تقنية أضعف بكثير من بنيتنا نحن ، فان الاتحاد السوفييتي قد نجح في ردح من الزمن قصـير جدا في انشاء ترسانة عسكرية اكسبتهقدرة ردعية صادقـة . كما اشرت الى ذلـك في الفصل الثالث ، فـان شبه كافـة الابـداعـات والاختراعـات التقنية في مجال الاسلحـة النووية قد اتت من الولايات المتحـدة : ولكـن نتج عن ذلك تآكل مستمر في الامن الاميركي . لاشيء يبرهن ان الاسلحـة الفضائية ستشذ عن القاعـدة .

ان كانت هذه هي الحقيقة ، لماذا يخشى السوفييت جـدا مبادرةالدفاع الاستراتيجي ؟ لانهم يخشون ان يؤمن لنا الدفاع الاستراتيجي الفائدة،وبالتالي يرون انفسهم ملزمين على التصرف . ولكـن ذلك سيتطلب منهم اتفاقـات باهظـة لايستطيعون تحملها وسينتهي بهم الى تقليص امنهم . انه الشيءذاته بالنسبة لنا اقبلنا بذلك ام لم نقبل .

بالمختصر ، ليس هناك ايءنظرية لصالح المبادرة الثانية للدفاعالاستراتيجي تقـدم حلا مرضيا للحـد من خطر نشوب حرب نووية في العقود القادمة لان هذه العقـود تقرن مابين اهداف فنية غير قابلة للتحقيق وبين سياسـة مرتكزة على مفاهيم اصبحت مثلا باطلة في هيروشيما . اضف الى ذلك انـه لايمكنها الا ان تكون تكلفة وان تحرض على تصعيد خطير في السباق نحـو التسـلح .

لندرس الآن الاقتـراح الاخير الذي يريد ان يبين من جديد الدور العسكري للاسلحـة النووية .

تركيز الخطط العملياتية واتفاقيات السيطرة على الاسلحة

على هذه المسلمة: الاسلحـة النووية غير قابلة للاستخدام .

في الفصل الاول ، لدى دراسة الاستراتيجية الحالية لدول حلفشمال الاطلسي المرتكزة على ردع اعتداء سوفييتي تقليدي بالتهديد ببـدء اللجوء

الى الاسلحة النووية ، صرحت ان لا احد قد اعد خطة لكي يكون هو البادىء باستخدام الاسلحة النووية ، هذه الخطة القادرة على اعطاء الميزة لدول حلف شمال الاطلسي .

يتزايد عدد القادة العسكريين والمدنيين الذين يوافقون رسميا على ذلك .

يرفض اللورد كارفر رئيس اركان الدفاع البريطاني من عام ١٩٧٣ الى عام ١٩٧٦ ، يرفض الاستراتيجية الرسمية لدول حلف شمال الاطلسي . انه يعارض تماما فكرة ان تلتجىء يوما ما ، دول حلف شمال الاطلسي الى الاسلحة النووية . كتب اللورد كارفر في صحيفة الساندي تايمز اللندنية في ٢١ شباط ١٩٨٢ :

على المستوى التعبوي ، كل تبادل نووي ، مهما كان محدودا ، سيؤدي حتما الى نتائج تكون على دول حلف شمال الاطلسي اخطر بكثير مما على دول حلف وارسو ، أكان ذلك في مستوى عدد الضحايا العسكريين والمدنيين أم في ضخامة الخسائر المادية (...)، لن يحدث ذلك الا في حال عدم رد الاتحاد السوفييتي مطلقا على الضربة الاولى التي توجهها اليه دول حلف شمال الاطلسي او ان رد فقط باعتداء محدود تماما . ان شن هجوم نووي على قاعدة فرضية كهذه يبدو لي عملا غير مسؤول وعملا اجراميا (٦٧). .

أما الاميرال غايلر القائد العام السابق للقوات الارضية والجوية والبحرية الاميركية في المحيط الهادىء فهو يوافق اللورد كارفر : لا يوجد أي شكل عاقل لاستخدام قواتنا النووية . الاستعمال العاقل الوحيد هو استخدام هذه الاسلحة لردع عدونا عن استعمال اسلحته (٦٨).

ويطور الجنرال ستابنهوف رئيس الاركان السابق للقوات الجوية الالمانية الغربية ، يطور وجهة نظر قريبة جدا من وجهة نظر الاميرال غايلر : انني اناصر الحفاظ على الاسلحة النووية كادوات كامنة واناصر منعها من ان تصبح اسلحة في ساحة المعركة . انني لا أعارض استخداما استراتيجيا لهذه الاسلحة ولكنني اعارض تماما استخدامها التعبوي على ارضنا (٦٩).

كما اشرت الى ذلك في الفصل الثاني ، فان وزير الخارجية السابق هنري كيسينجر ، في خطابه الذي القاه في بروكسيل عام ١٩٧٩ ، قد أكد

بوضوح أنـه لا يعتقد ان تتخذ الولايات المتحدة يومـا ما مبادرة توجيه الضربة الاولى الى الاتحاد السوفييتي :

لايجب على حلفائنا الاوروبيين ان يطلبوا منا باستمرار مضاعفـةالضمانات الاستراتيجية التي لانستطيع اعطاءها أياهم أو في حـال اعطيناهم اياهـا فاننـا لانريد ان ننفذ ونجازف هكذا بتدمير حضارتنا (٧٠).

اما ميلفين ليرد وزير الدفـاع في ادارة نيكسون فقد اكد بعزم انـه يناصر عالما تكون فيه الاسلحـة النووية منزوعـة وبذلك يقترب بوضوح تام مـن موقف اللورد كارفر والاميرال غايلر والجنرال ستاينهـوف فقد صرح : ان هذه الاسلحـة (....) غير مفيدة على الصعيد العسكري(٧١).

في اقتراحـه بتاريـخ آذار ١٩٨٣ لتطوير الدفاعات المضادة للصواريـخ البالستية ، طـرح الرئيس ريغان ضمنيـا مشكلة بقـاء التهديد بضربـة أولى نووية . وكما نذكر ، كان يؤكد ان علينا ان نهدف نحو وضع نظـام دفـاع لايمكن للضربات السوفييتية النووية ان تخترقـه ويكـون تأثيره فقطاضعاف قواتهم النووية الهجومية تماما . واضاف انه من صالحنا ان يمتلك السوفييت نظام دفاع مشابه .

وكان الرئيس يؤكـد ان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحـدة سيصـلان هما الاثنان الى استبعاد كامل للاسلحـة النووية . في هذه الحالة ، لن تستطيع دول حلف شمال الاطلسي الاعتماد ، بالطبع ، الا علـى قواتها التقليديـة لردع اعتداء سوفييتي .

ولقد تاكـد ان الرئيس هو ملزم بجانب عالم تكون فيه الاسلحة النوويـة منزوعـة ، عندما أعلن في ١٦ حزيران ١٩٨٣ قائلا : انني أصلي كي لايبقـى ذات يوم على الارض اي سلاح نووي (٧٢) . هذا هو الموقف الذي أكـده في خطابه امام الامة في ٢٦ شباط عـام ١٩٨٦ بهذه الكلمات : يجب ان يكـون هدفنا ردع ، وان لزم الامر ، صد اي اعتداء دون اللجـوء الى الاسلحـة النووية(٧٣).

ان كان هناك حجة من جانب الحفاظ على الاستراتيجية الحاليـة ، فعليها ان ترتكز على فكرة انها ستشارك في ردع اعتداء سوفييتي وان ذلك يستحـق خطر نشوب حرب نووية .

من الصعب جـدا تحديد مايمكن ان يردع اعتداء سوفييتيا . كي تتكون لنـا فكرة ، علينا ان نحاول ان نضع انفسنا مكان اولئك الذيـن سيتخذون قرار بدء الحرب ومن ثم ان نسأل انفسنا عن ماهية الاهداف التي يتبعونها لانفسهم ولاجـل الامة ، وعما يحبذون ومايخشـون . يجب علينا ايضـا ان نقيس قابليتهم لان يخاطروا ويخدعوا ويدعوا الآخـرين يخدعونهم . علينـا ايضا ان نكشف الفكرة التي يأخذونها عنا ـ عن عزمنا وعن وسائلنا الفعالة ، وان نجد كيف نقنعهم بحقيقة تهديداتنا كما بحقيقة وعودنا .

ولكـن ـ وهذا هو الشيء الاكثر صعوبة ـ علينا ان نثمن مجموعة هذه الثوابت في مفهوم ازمـة دولية حادة . مشكلتنا هي اقناع السوفييت بعـدم شن حرب لا اليوم فقط بل ايضا في المستقبل ، ان لسبب ما ـ مثـلا ثـورة يستحيل السيطرة عليها في اوروبا الشرقية او مجابهـة اميركية ـ سوفييتية في ايران او ايضا نزاع في الشرق الاوسط ـ سعوا الى ان يقامروا بكل شيء حتى يتداركوا مايعتبرونه حينذاك تهديدا خطيرا لامنهم .

في حال نشوب ازمة ، سيعدل تقدير المخاطر والمجازفـات بشكل ملحوظ مايبدو في اوقات اكثر هدوءا رهانا خطيرا جـدا ، يمكنه ان يعتبر حينذاك وببسـاطـة خطرا معقولا . سيكون ذلك الحال فيما لو تفاقمت الازمة جاعلـة الحرب اكثر فاكثر احتمالية . ان ميزة توجيه ضربة اولى مباغتة على المستوى العملياتي يمكنها حينذاك ان تمارس جاذبية متعاظمة .

كما اشرت الى ذلك ، ان اطلاق اسلحـة نووية استراتيجية على الارض السوفييتية سيؤدي بكل تأكيد الى رد من الطابع ذاته يكبد اوروبا كما الولايات المتحـدة اضرارا لاتطاق . سيكون ذلك بالفعـل عملا انتحاريا . وبالتالي يكون التهديد بشن الضربة الاولى قـد خسر كل مصداقية كوسيلة ردع هجـوم سوفييتي تقليدي . وبذلك لايمكن تنفيذ العقوبة القصوى المرتقبة بواسطة استراتيجية الرد التدريجي . لا يمكننا ان نبني ردعا قابلا للتصديق على عمل غير قابل للتصديق .

يعتبر بعض المراقبين البارزين في الولايـات المتحـدة وفي اوروبا ، انـه بالرغم مـن معقوليته . ان احتمال اجـراء انتقامي نـووي تعبوي على هجـوم يشنه حلف وارسو سيؤثر على تهديد يجعله اكثر فاكثر قابلية للتصديـق . انهم يعتقـدون انه باحتفاظ دول حلف شمال الاطلسي على اسلحـة ساحة المعركة بالقرب من خطوط الجبهـة وبالحفـاظ بشكل متواز علـى الخطط

والمذاهب الضرورية لتشغيل الاستراتيجية الموضوعة لاستخدام هذهالاسلحة، فانها أي دول حلف شمال الاطلسي تجعــل خطرا يرفرف فــوق بلدان حلف وارسو ، خطر لا يمكن لدول حلف وارسو تجاهله .

بمواجهــة احتمالية الحرب ، هم يقولون ، يجب على القادة السوفييت أن يتذكروا ان بامكان دول حلف شمال الاطلسي ان تضع مذهبها في العمــل وان تستخــدم الاسلحــة النووية الخاصــة بساحة المعركة مثيرة هــكذا تصعيدا يمكنه بسهولة ان يصبح غير قابل للمراقبة ويــؤدي الــى تبادل استراتيجي مدمر لكلا الارضين الاميركية والسوفييتية . هذا لايعني ان دول حلف شمال الاطلسي ستبحث في أمر شرعية تبادل استراتيجي ، كما يشرحون ، ولكن بالاحرى ان نفس ديناميكا الازمــة ستفرض تماما قرارا كهــذا او في أيــة حال مايخشاه القادة السوفييت .

كل درجة في التصعيد ستخلق وضعا جديدا يعــدل حساب المخاطــر والمكاسب . بعد ان تتجابه الفرق الاميركية والسوفييتية سيتغير جذريا تقدير خطر تصعيد النزاع . وعندما يستخدم السلاح النووي سيتحول تماما تقدير الهجمات النووية القادمة .

بالمختصر ، ان الذين يؤكــدون ان التهديد بضربة نووية اولى يهدف الى تدعيم مقدرة الردع لدى دول حلف شمال الاطلسي ، يعتقــدون انه، بالرغــم من اللاعقلانية الموضوعية لهذا الطراز من العمل ، فان الحفــاظ على التهديد يجبر الخبراء الحربيين الاستراتيجيين السوفييت على حســـاب حقائق ساحة المعركة ومخاطر التصعيد . تبعا لهم ، سيدرك السوفييــت هكذا خطــر رؤية نــزاع تقليدي يــؤدي الى اســتخدام اسلحة ســاحة المعركة وينشب نزاعا نوويا على كافــة المسرح سيمتد حتما الى ارض القوتين العظميين بالــذات .

كما اشرت الى ذلك في الفصل الثالث ، انها هذه الارادة بترسيخ الايمان بهذا الخطر الذي قــاد دول حلف شمال الاطلسي في كانــون الاول عــام ١٩٧٩ الى اتخاذ قرار نشــر الصواريخ الجديدة متوسطة المدى بيرشينغ ـ ٢ وصواريخ عابرة للقارات ذات شحنات نوويــة ، في أوروبا • ان الحجــة الرئيسية لتقليل هذا القرار كانت ان هذه الانظمة الجديدة تزود دول حلف شمال الاطلسي بمقدرة ضرب الارض السوفييتية من اوروبا . ان ضربة كهذه لن تقصر في شن هجــوم سوفييتي على الارض الاميركية يؤدي بدوره الى رد انتقــامي

أميركي على كافة الاراضي السوفييتية . اذاً ان نصب صواريخ بيرشينغ والصواريخ العابرة (كروز) يبين (المزاوجة)بين القوات الاستراتيجيةالمتمركزة في الولايات المتحدة والقوات المنتشرة في اوروبا . انه بذلك يهدىء المخاوف من ان يستطيع السوفييت استشفاف واقية النار في عملية التصعيد .مادام ينظر الى التصعيد على انه تدريجي ، فان المنطق يستمر في العملوستنثني دول حلف وارسو عن اجتياز المرحلة الاولى من الهجوم التقليدي كيلايجازف باثارة مجمل العملية .

ولكن ، وقد شرحت ذلك فيما مضى ، عيب هذا التحليل يكمن في ان رئيسا للولايات المتحدة قد يتردد في اطلاق صواريخ منصوبة على الارض الاوروبية او اسلحة نووية استراتيجية منصوبة في الولايات المتحدة ،على الارض السوفييتية .

اضف الى ذلك، كما اشرت الى ذلك سابقا ، يتزايد عددالمسؤولين السياسيين والعسكريين الغربيين الذين يعترفون ويقرون علانية اناستخدام الاسلحة النووية على الساحة الاوروبية سيؤدي الى دمار دول حلف شمال الاطلسي لا الى حمايتها والدفاع عنها .

وبالتالي ، من المستبعد ان تسمح دول حلف شمال الاطلسي باستخدام الاسلحة النووية ـ أكانت هذه الاسلحة تعبوية او استراتيجية ـ الا للرد على اعتداء نووي سوفييتي . تتزايد مشاطرة هذا التحليل وسوف تتزايد أكثر فأكثر : ان ماتحتفظ به دول حلف شمال الاطلسي على اساس انه قدرة ردعية محكوم عليه بالضعف والتضاؤل .

يجب ايضا حساب ثوابت اخرى . اكان التهديد بضربة اولى من قبل دول حلف شمال الاطلسي ، يشارك اولا يشارك في الردع فانه يمثل سيئات ومخاطر بالغة . انها اولاسياسة متنازع فيها ، انها اساس نقاشات طويلة اكان ذلك في حضن البلدان ذات الشأن او بين اعضاء الحلف ،ومن ثم انها تقلل من مستوى الجاهزية لدى دول حلف شمال الاطلسي فيما يخص الحرب التقليدية واخيرا ، كما اشرت الى ذلك ، انها تزيد من خطر نشوب حرب نووية .

ان الاستعداد للحرب النووية التعبوية يحد من عدة نواح مقدرة دول حلف شمال الاطلسي في الدفاع التقليدي . ان الاسلحة النووية اسلحة خاصة

تتطلب قواعـد امنية نوعية وتتطلب نوعا من الخفـة والرشاقـة في نشر الوحدات وتعديل الخطط العملياتية . ان العمليات في ساحة معركة نوويـة تختلف تماما عن عمليات حـرب تقليديـة . يتوجب علـى الخبراء الحربيين الاستراتيجيين في دول حلف شمال الاطلسي ان يأخذوا هذه الفوارق والاختلافات بعين الاعتبـار .

فضلا عن ذلك ، بما أن لاغلبية الناقلات النووية لدى دول حلف شمال الاطلسي عمل مزدوج فـان عددا معينا من الطـائرات وقطـع المدفعية عليه ان يخصص ، في حال الضرورة ، لهجمات نووية مبكرة مما يجعلها غير جاهزة لاطلاق اسلحـة تقليدية .

هناك مسألة اساسية ايضا ، انشاء الردع على تهديد دول حلف شمال الاطلسي النووي يصعـب من امكانيـة تجنيد الدعـم السياسي والمـالي اللازم للحفاظ على حجم ثابت من القوات التقليدية ، بالنسبة للآراء العامة كما لآراء الحكومات ، ان قـوة الردع الوحيدة الحقيقية هي القـوة النووية ، اننـا نفهم اذاً ترددهم وتحفظهم في تخصيص اموال حتى ولو كانت ضئيلة لتدعيم وتقويـة الوسائل التقليدية .

ان كان للتهديد النووي قيمة الردع فلانه يزيد من خطر اللجوء الى الاسلحة النووية في حالة نشوب حرب . ان نصب هذه الاسلحة فيما يسمى الحد المتقدم لمنطقة المعارك ، وتطور الخطط العملياتية المرتكزة على استخدامهـا المبكر ، كلها عوامل بـين عوامل كثيرة اخرى ، تزيـد من احتماليـة رؤيـة نـزاع ينشب في اوروبا ويتطور بسرعة الى حـرب نوويـة .

ان منظورا كهـذا يمكنه فعلا دفـع السوفييت الى اتخـاذ مبادرة الحـرب النوويـة . لو كانوا مقتنعين ان دول حلف شمال الاطلسي عندما تقرر الدخول في الحرب ، لن تترددبتنفيذ تهديدها النووي ــ اكان ذلك بسبب قرار متعمد او لان الوضع في ساحة المعركة لم يترك لها حلا آخر ــ فـان السوفييت لن يكـون لهم عمليـا اي سبب لعدم فتح النار النوويـة اولا .

اكرر ذلك ، لن يكون الوضع هكذا الا اذا ارتأوا ان الحرب وشيكـــة الوقوع وقـدروا احتمـالا كبيرا برؤيـة دول حلف شمال الاطلسي تضـع تهديداتها موضع التنفيذ . حينذاك سوف تتحرض دول حلف وارسو على

شن ضربات نووية مبكـرة على المخازن النووية والناقلات النووية والتجهيزات التموينية لدى دول حلف شمـال الاطلسي .

بالنسبة لقيمة الردع الذي تحتفظ بـه الاستراتيجية النوويـة لدول حلف شمال الاطلسي ، فان السعرالواجب دفعه هو بالتالي مرتفع جداً ، الانستطيع ان نؤمن مستوى مساويا للردع بكلفـة ادنى ؟ اعتقد شخصيا اننا نستطيـع ذلك . لتجنب المخاطر الهائلة التي يتعرض اليها الحلف اليوم باعتماده علـى تهديد نووي تتناقض مصداقيته ، تقترح دراسات حديثـة ووسائل تدعيم وتقوية القوات التقليدية بثمن معتـدل على الصعيـد العسكـري والسياسي والاقتصـادي .

تحديث القوات التقليديـة ؟ ...

حلٌ قابل للتحقيق سياسيا وماليا ؟ ...

في مقال في صحيفة (فورين افيرز = الشؤون الخارجية) في عام ١٩٨٢ صرح الجنرال روجرز القائد الاعلى للقوات الحليفة في اوروبا ، صرح انه مـن الممكن ، دون مصاريف طائلة ، تحديث القوات التقليديـة ، مما ، تبعا له ، سيسمح بالانتقـال من الاستراتيجية الحاليـة المرتكزة على الاستخدام المبكـر للاسلحة النوويـة الى استراتيجيـة (عـدم الاستخـدام المبكر للاسلحـة النووية (٧٤) . كـان الجنرال روجرز يقـدر الكلفة بحوالي واحـد بالمئـة سنويا أكثر من الثلاثـة بالمئـة للزيادة السنوية التي اتفق عليها اعضاء دول حلف شمال الاطلسي أثناء اجتماعهم في واشنطن عام ١٩٧٨ .

متـاور بارز في البنتاغون ، ويليام و . كوفمان(٧٥) ، بعد ان استعـاد اقتراح الجنرال روجرز بزيادة بنسبة اربعـة بالمئـة ميزانية دفاع دول‌حلف شـمال الاطلسي ، درس أفضل طريقـة لاستخدام هـذه الاموال لتحسين الدفاعات التقليدية لدى الحلف . بعد تحليل معمق ، استخلص انه بالامكان فعلاامتلاك قوة تقليدية قوية لدرجة تستطيع فيها ردع هجوم سوفييتي دون الحاجـة الى شهر التهديد النووي .

حديثا ، قام فريق عالمي للدراسـات(٧٦) هو ابضا بتحليل امكانيات دول حلف شمال الاطلسي بتقليص تبعيتها الحالية حيال الاستخدام المبكرللسـلاح

النووي . كانت لجنة تنظيم الدراسة حول الامن الاوروبي(ESECS) تضم بين اعضائها الآخرين الجنرال افدروجودباستر القائد الاعلى السابق للقوات الحليفة في اوروبا ، وضابطا المانيا الجنرال فرانس جوزف شولز القائد العام للقوات الحليفة في اوروبا ، وجنرال سلاح الجو السير ستيدمان الممثل العسكري السابق للمملكة المتحدة لدى دول حلف شمال الاطلسي.

تبعا لخلاصات هذا التقرير ، بالامكان تدعيم القوات التقليدية لدول حلف شمال الاطلسي جوهريا وبكلفة معتدلة ـ حوالي عشرين مليار دولار ممتدة على فترة تتراوح بين خمس وست سنوات ـ . لمجرد المقارنة ، نشير الى ان البرنامج الاميركي للصواريخبحر ـ ارض ترايدنت دي ـ ٥ (D - 5) يقدربسبعة عشر مليار دولار خلال الخمس سنوات القادمة .

تؤكد الدراسة حول الامن الاوروبيانه للحصول على مقدرة ردع فعالة، لاتحتاج القوات التقليدية لدى دول حلف شمال الاطلسي الى مساواة قدرات السوفييت . يكفي ان تكون قوية بشكل تقلق فيه بجدية الخبراء الحربيين الاستراتيجيين لدى دول حلف وارسو وتجعلهم يشكون في نجاح هجومهم .

لذلك يجب على القوات التقليدية لدى دول حلف شمال الاطلسي ان تكون قادرة على تحقيق اربع مهام :

* احتواء الهجوم الاساسي لدول حلف وارسو .

* اضعاف مقدرة العدو الجوية .

* منع قوات النسق الثاني وتعزيزات دول حلف وارسو من الاقتراب من خطوط الجبهة .

* اخلال نظام جهاز القيادة والسيطرة والاتصالات في دول حلف وارسو.

يصف التقرير بالتفصيل الطريقة التي يمكن لدول حلف شمال الاطلسي ان تصل بها الى هذه الاهداف الاربعة باستخدام التقنيات التي اخذتشكلها النهائي حديثا وبتنفيذ المهام باسلحة تقليدية ، هذه المهام التي كانت تتطلب في السابق اسلحة نووية . هذه الاختراعات التقنية وفي آن واحد تزيدمن دقة قصف الاسلحة التقليدية وتزيد بشكل مدهش قدرة معالجةالمعلومات العسكرية .

أشار السيناتور نون حديثا الى فعالية هذه التقنيات بهـذه العبارات : لدينا منذ الآن تقنيات جديدة تقليدية قادرة على احتواء هجوم يشنهالسوفييت وذلك بمنع قواتهم المهاجمة من تلقي تعزيزات في القوات من الخط الثاني .هذه الاسلحـة الجديدة (...) تستثمر التقـدم التقني المحقق في ثلاثـة مجالات. اولا الزيادة المحلوظـة في مقدرة تدمير الذخائر التقليدية الحديثة (...)؛ثانيا تقـدم علم الميكرو الكترونيك الذي يسرع جمع ومعالجـة وتوزيـع وادارة المعطيات المتعلقـة بحجم وطبيعة ومكان وتحرك الوحدات المعادية (...) ، وثالثا ازدياد مقدرة نقـل وتوجيه سريع لقوة كبيرة جـدا من النارالتقليديـة ضد تجمعات قوات معادية (٧٧) .

ان تشغيل كل من الوسائل المقترحـة لتدعيم القوات التقليدية لدى دول حلف شمال الاطلسي لايفرض اي ضغط مالي باهظ . لسوء الحظ ، لم تقبل اي دولة من دول حلف شمال الاطلسي ادراج اي من هذه المقترحات فيميزانيتها الدفاعية ، وذلك لانه لايوجـد اي اجماع حـول الدور العسكري للاسلحـة النووية بين القادة العسكريين والمدنيين في دول حلف شمال الاطلسي.

ولكن بامكاننا ان نلاحظ رغم ذلك تطورا بطيئا لكن ملموسا نحو حساب ثلاث نقاط :

* ان وضعت في طور الاستخدام فان الخطوط الحالية لدى دول حلف شمال الاطلسي للبدء باستخدام الاسلحة النووية ، تهدد اكثر بتدمير اوروبا بدلا من حمايتها والدفاع عنها .

* ان ما تحويه الاستراتيجية النووية لدى دول حلف شمال الاطلسي من قيمة ردعية يتعرض حاليا الى تآكل سريع يدفع ثمنه باهظا .

* ان قـوة ،وبالتالي ، مقدرة الردع لدى القوات التقليدية في دول حلف شمال الاطلسي ، بامكانهما ان تحسنا بشكل ملحـوظ في اطارضغوط سياسية ومالية عملية .

انني اقترح اذاً ان نرتكز على هـذه النقاط الثـلاث لنضع مبـدأ ينص على ان الاسلحة النووية ليست اسلحـة ـ انها لاتلعـب اي دور علـى الصعيد العسكري الا دور ردع العدو من استخدامها ـ وان نرتكز على هذه المسلمـة لاعداد خططنا العملياتية ، وميزانياتنا الدفاعية ، وبرامجنا في نشر الاسلحة وكذلك لاعداد مفاوضاتنا .

ان هدفنا الرئيسي يجب ان يكون التوصل الى حالة الردع المتبادل على ادنى مستوى من القوات ،مستوى ينسجم مع الاستقرار ، يتطلب ذلك قوات ليس بامكانها ان تصاب و قادرة على الرد الفعال على اي هجوم وتكبيد العدو اضرارا بالغة . ان كان على هذه القوات ان تبقى محدودة ، فمن الاساسي ايضا ان لاتهدد قوة الردع لدى العدو . سيسمح تضافر هذهالعوامل بالتوصل الى توازن مستقر يكون فيه خطر نشوب حرب نووية ضعيفا جدا.

وضعية الردع هذه لايجب ان تلتبس مع الوضعية الحالية للولاياتالمتحدة والاتحاد السوفييتي . كما اشرت الى ذلك ، ان الخمسة وعشرين الف راس نووي التي تمتلكها كل من هذه الامم ، لاتنتج من اي خطة ولكنها نتيجة التطبيق الطائش للاختراعات التقنية التي لاتنتهي ونتيجة الرفض المستمر بالاعتراف ان الشحنات النووية ليست بأي شيء اسلحة بالمعنى التقليدي للكلمة .

ان اتفق الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة حول المبدأ الذي ينص على ان ترساناتهما النووية المتبادلة لايجب ان تتجاوز المستوى المطلوب لردع اعتداء نووي معادي ، فكيف يمكننا ان نحدّد حجم وتكوين هذه القوة المقلصة ؟ ..

عندما درست اقتراح ميخائيل غورباتشوف لاستبعاد كافة الاسلحة النووية ، أشرت الى أنه ، ان كانت اتفاقية لنزع الاسلحة النووية مرجوة نظريا ، كان من غير الممكن استبعاد المخاوف من حجم الخسائر في حال خرق هذه الاتفاقية في مستقبل منظور ، غير انني اشرت الى انوسائل التدقيقالتقنية الحالية تسمح لنا تماما باحترام اتفاقية تحدد ترسانة كل من المعسكرين في عدد محدد من الرؤوس النووية . ان عدد الاسلحة التي تكفي لمنع محاولات للاخفاء ، سيكون مرتبطا بعدد الاسلحة التي ينوي الاتحاد السوفييتي انتاجها دون ان تتمكن دول حلف شمال الاطلسي من كشفها . حسب علمي، لم تقم اي دراسة حقا بتقدير هذا الرقم ولكنني اعتقد انه لايتجاوزبضع مئات ، ربما خمسمائة على الاكثر ومن المحتمل ان يكون العدد اقل منذلك.

يجب على حجم وتكوين قوة الردع ان تستجيب لهدف مزدوج : ان تكون هذه القوة مؤثرة فعليا وان تمنع من ان يعرض خرق غير مكتشف او مفاجيء لمعاهدات السيطرة على الاسلحة ، من ان يعرض للخطر هذا الردع . في هذه الحالة حيث تستبعد كل القواتالنووية التعبوية بالكامل وحيث لاتتجاوزالقوات الاستراتيجية الخمسمائة راس نووي ، بامكان الخمسين الف شحنة التي تتالف منها الترسانة الحالية ان تخفضالى الف فقط على الاكثر .

ان الارادة بتقليص عدد الرؤوس والقوات النووية المتبادلة في الولايـات المتحـدة والاتحاد السوفييتي الى حوالي المئة ، بامكانها ان تبدو وهما وخيالا. الا انني لدى اجراء ابحاثي لكتابة هذا الكتاب ، عملـت شيئا كنت اجهله . في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ كانت البحرية الاميركية قد اقترحت خطـة مشابهـة تتوقع قوة انتقامية لايمكن اصابتها تتألف من نحو اربعمائـة واربعة وستين راسا نوويا . لاستعادة عبارات البحرية ، سيحدد حجم هذه القوة ، فقط بشـكل يسمح لها بتنفيذ مهامها في الردع على احسن وجـه لا بالهـدف المغلوط الذي هو الكسب(٧٨) .

للتوصل الى تحديد القوات ، يجب على القوى النووية الاخرى مثل الصين وفرنسا وبريطانيا العظمى ، وعند الاقتضاء ، على دول اخرى ان تشارك في عملية تقليص الترسانات النووية بشكل لاتشوش اسلحتهم فيه على التـوازن الاستراتيجي .

تتطلب التعديلات المقترحـة بالنسبة للقوات الاستراتيجية والتعبويـة لدى الولايات المتحـدة والاتحاد السوفييتي ، مثلها مثل مبادرة الرئيس ريغان للدفاع الاستراتيجي ، تتطلب العمل على تغييرات اضافية في مستوى القوات التقليدية لدى دول حلف شمال الاطلسي ودول حلف وارسو ، أو بزيادة ملائمة للوسائل التقليدية لدى دول حلف شمال الاطلسي . وان بدا الامر ضروريـا بامكان هذه الزيادة ان تتحقق بكلفة مخفضة مقارنة مع ما سوف يكلفنا استمرار سياستنا الحالية .

عندما يتحدد موقفنا ، كيف نتوصل اليه ؟ بعض الاعمال لاتخص الا الولايات المتحدة وحلفاءها ، ويتطلب بعضها الآخر مساهمة الاتحاد السوفييتي . في الحالة الاولى يجب على القول المأثور الذي قاله الرئيس آيزنهاور ان يكون قاعدتنا الا وهو : احتياجاتنا هي احتياجاتنا . لو تخلصنا من بعض المفاهيم الباطلة بالنسبة لمقدرة المعركة فاننا سنجد ان قسما واسعا مما نمتلكه حاليا وأن مانبذل جهودنـا الجبارة للحصول عليه ، هو امـا فائض وامـا بكل بساطة ، خطر لنا مهما فعـل السوفييت . ان الاسلحـة النووية التعبوية في اوروبا(٧٩) مثال واضح على ذلك ، وعلى سياسة تقليص هذه القوات التي بدأتها ادارة ريغان ان تتسارع .

عندما سيصل السوفييت الى مستوانـا ، ستصبح برامج اخرى صعبـة جدا حقا ، خاصة في مجال الاسلحة المضادة للاقمار الصناعية المتطورة جـدا

والصواريخ العابرة بحر ـ ارض والصواريخ الباليستية بحر ـ ارض ذات الدقة العالية في الرمي . نحن فعلا متعلقون ومتوقفون على الاقمار الصناعية أكثر من السوفييت واننا قابلون أكثر للاصابة من هجمات تشنها الغواصات . ولكن كثيرا من هذه الاسلحة تشكل عملات ثمينة للتبادل بما انها تثقل على السوفييت تهديدا مساويا للتهديد الذي تثقله علينا ترسانتهم . علينا البدء بسرعة باعادة محورة المفاوضات حول السيطرة على الاسلحة بما ان لا شيء يمكنه ان يتم من جانب واحد . ان المفاوضات الجارية حاليا في جنيف تقدم لنا هذه الفرصة .

* * *

الفصل الخامس

جنيـــف

خطـوة نحو هدفنا طويل الامـد

تقدم مفاوضات جنيف مناسبة فريدة لخطو خطوة جبارة نحو اهدافنـا . بعد ان قلت وكررت ان مبادرة الدفاع الاستراتيجي الـذي لن يتخلى عنهـا الرئيس ريغان تمنع عملية السيطرة على الاسلحـة وتغذي السباق للتسلح، ربما سيتساءل القارىء ان كنت اذكر هنا شيئا مبهما . لا . مهما كان مدهشا ، فانه ليس بالامر المبهم ان عدنا الى الخطاب الجدير بالملاحظة الـذي القـاه في ٢٠ شباط ١٩٨٥ في فيلادلفيا ، بول نيتز مستشار ادارة ريغـان في شؤون السيطرة على الاسلحة(١). اذا اخذت ملاحظات نيتز بالحسبان فان الرئيس سيستطيع التفاوض في اتجاه الاهداف التي حددتها دون ان يتخلى عن برنامج البحث حـول الدفاع الاستراتيجي .

تبعا لبول نيتز ، يجب على الدفاعات الاستراتيجية ان تستطيع العمـل حتى في حال هجوم مباشر وان يكون تدعيمها اقـل كلفـة مـن تدعيم النظم الهجومية . هذان ، برأيـه ، هما الشرطان الواجب تنفيذهما قبل اي انتشار للقـوات .

كما راينا ، فان لاشيء يدعنا نامل بأن ينفذ هذان الشرطـان في المستقبل القريب . يشك نيتز في ذلك ويرى انه خلال الفترة الرئيسية التي تتناسب على الاقـل مع السنوات العشر القادمة ، لن ينشر هناك اي دفاع خلال هذه الفترة ، هو قال ، سنضع حـدا لعملية تآكل معاهـدة الصواريخ المضـادة للقذائف .

كان نيتز يتصور ان هذه الفترة الاولى ستتبعها فترتان أخريان . وهكذا في المرحلة الثانية ، سينشر شكل من المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي بالتوازي مع الاسلحة الهجومية شرط ان يكون الشرطان المذكوران سابقا قد نفذا . ستستمر هذه المرحلة على الارجح عدة عشرات من السنين على الاقل .

واخيرا ، ان ظهر ان المبادرة الاولى للدفاع الاستراتيجي قابلة للتحقيق فان المرحلة الثالثة ستسمح بنشر الدرع الكتيم وباستعداد الاسلحة الهجومية .

كما ذكرت في الفصل السابق ، اعترف نيتز ان المشكلة المطروحة من اعداد اتفاقية حول السيطرة على الاسلحة ، تضع حدا للاسلحة الهجومية وتسمح بالنظم الدفاعية خلال المرحلة الثانية ، اعترف ان هذه المشكلة بقيت دون حل . ولكن نيتز كان يقول ضمنيا ان هذه المشكلة ــ وكافة مشاكل نشر النظم الدفاعية ــ كانت موضوع مفاوضات للمستقبل لايجب عليه ان يكون عائقا في الوقت الحالي لابرام اتفاقية جديدة حول السيطرة على الاسلحة .

يعيدنا ذلك الى المرحلة الاولى التي تقدم لنا فرصة لايجب علينا ان نفوتها. لماذا نعطي الاولوية لمعاهدة الصواريخ المضادة للقذائف خلال هذه المرحلة ؟ لان هذه المعاهدة تفترض ان السباق نحو الاسلحة الهجومية سينتعش من جديد ، حتى قبل نشر هذه الاسلحة ، لدى ضبط الدفاعات الاستراتيجية . في حال افلاس المعاهدة ، لايمكننا ان نتقدم في طريق تقليص التهديد الهجومي . لذلك يجب علينا ان نمسك بهذه الفرصة المعطاة الينا مؤقتا وان نوطد معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف في نفس الوقت الذي نقوم فيه بمفاوضات حول القوات الهجومية الاستراتيجية .

تحرم هذه المعاهدة بعض انواع الرادارات وتحدد بشكل دقيق التجارب على مكونات انظمة الصواريخ المضادة للقذائف . والحالة هذه ، يكون هذان البلدان مهددين من قبل السوفييت الذين يقومون حاليا في كراسنويارسك في سيبيريا ببناء رادار ، وهذا يبدو خرقا للمعاهدة . على الصعيد العسكري ، لهذا الرادار اهمية ثانوية ولكنه يكتسب معنى سياسيا هاما جدا ويطرح مشكلة عليها ان تحل بشكل مرض للحكومة الاميركية .

وفي مستقبل قريب ، من قبلنا نحن الذين سنجد انفسنا في حالة فرق فكر ــ وربما حرف ــ المعاهدة حول تحديد التجارب ان تابعنا برنامجنا في البحث

بموجب توقعات مدير مبادرة الدفاع الاستراتيجي الجنرال ابراهامسون الذي أعلن في ١٥ آذار ١٩٨٥ ان قرارا اكيدا نسبيا سيتخذ حتى نهاية العقد وفي بداية التسعينات(٢). ان لم نقبل التخلي عن التجارب التي يتطلبها جدول زمني كهذا فسيكون لدى السوفييت اسباب تجعلهم يعتقدون اننا نستعد لنشر انظمة دفاعية . حينذاك سيطورون ردهم بسرعة وسوف نجد في جنيف تلاشي امكانية اتفاقية حول الاسلحة الهجومية .

تهدف المعاهدة اساسا الى اعطاء كل طرف الضمانة بأن الطرف المقابل لايعد نشرا مفاجئا لنظم دفاعية علينا ان نبين اننا نود احترام هذه البنود .

يجب علينا ان نفهم اليوم ان تصريحاتنا هي التي توجه السوفييت اكثر من افعالنا . انهم يسمعوننا نقول ان مبادرة الدفاع الاستراتيجي ليست فقط برنامج بحث . والحالة هذه ، لايمكنهم تفسير الاجراءات التي يروننا نتخذها الا كثمرة قرار ، غيرمصرح به رسميا بالغاءمعاهدة الصواريخ المضادة للقذائف، من جانب واحد عندما نرى ذلك مناسبا وبطريقة تضعهم في وضعية الدونية الاستراتيجية * . طالما سيكونون مقتنعين ، لن توقع اية اتفاقية جديدة للحد من الاسلحة الهجومية الاستراتيجية . يمكننا ان نحول تفسيراتهم بالسهر على ان لا تقدم اعتماداتنا المتعلقة بالميزانية والمرصودة لبرنامج بحث حول مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، وان لا تقوم بالسماح باعمال تنافي فكر معاهدةالصواريخ المضادة للقذائف المدعمة .

ان معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف الحالية ، لا تحرم الاسلحة المضادة للاقمار الصناعية . على هذه الفجوة ان تطمر بان يضم اليها تحريم ، يمكن التحقق منه ، للتجارب حول هذا الصنف من الاسلحة . وطالما انناتابعون للاقمار الصناعية اكثر من السوفييت فلدينا المصلحة الكاملة بتحريم كهذا .

ستسمح معاهدة مدعمة حول الصواريخ المضادة للقذائف ان تنقل مفاوضات جنيف الى الهدف الاساسي للسيطرة على الاسلحة الهجومية : تنمية متانة الردع بالغاء ، لدى الطرفين ، المخاوف من ان يمتلك العدو مقدرة تمكنه من توجيه ضربة اولى اومن ان يحاول اقتناء هذه المقدرة . بامكان هذه

---

* حتى التصريحات الاميركية بدأت تذهب في هذا الاتجاه . ففي عام ١٩٨٤ قال للجنرال ابراهامسون بكل وضوح : سوف نتصرف ونعمل رويدا رويدا(٣) .

المشكلة ان تحل بالتفاوض بواقعية . لن يكون ضروريا الاعتماد على نوايا العدو: اذ يتعلق الامر بالمقدرات المنظورة . ان تقليصات متبادلة وقابلة للتدقيق للنسبة بين عدد الرؤوس النووية ذات الدقة العالية في معسكر ما وعدد قاذفات الصواريخ القابلة للاصابة في المعسكر المقابل ، يمكنها الوصول حتى الى فقدان المصداقية بتهديد ضربة أولى . يمتلك الطرفان قدرة هائلة لدرجة انه يتوجب البدء بسرعة تقليص مكوناتها الاكثر تهديداً ، اي هذه التي تقف عقبة في وجه الاستقرار وفي وجه تقليل اكثر اهمية في مستوى القوات .

يجب ان يكون الهدف، التقليص الحتمي لعدد الرؤوس النووية بشكل نستعيد فيه الخشية من ضربة اولى . بسبب التباين بين القوات الاستراتيجية لدى المعسكرين ، سيكون من الصعب جداً وضع هذه العملية موضع العمل . غير انه من الممكن تخفيضها الى النصف . تستطيع الولايات المتحدة ، مثلا ، أن تطالب بشكل عاقل بتخفيض مهم في الرؤوس النووية السوفييتية التي تجهز بها الصواريخ المنصوبة على الارض والتي يفوق عددها بشكل واضح العدد الموجود في ترسانتنا ولكن بالمقابل يجب أن نكون مستعدين لتقليص قواتنا المتعلقة بالصواريخ متعددة الرؤوس العابرة للقارات التي تطلقها الغواصات . هذا المجال الذي نمتاز به نحن .

ان اتفاقية للسيطرة على الاسلحة طموحة بهذا القدر بامكانها أن تكون غير محتملة على الاطلاق في المفهوم الحالي . حتى أن كثيرا من المسؤولين الاميركيين يعتبرونها مستحيلة لا سيما انهم يدعون أن السوفييت لا يرجون جديا السيطرة على الاسلحة . ولكنهم لا يأخذون بعين الاعتبار أشارات أخرى تبين عكس ما يدعون .

خلال كل فترة السبعينات ، عبر القادة السوفييت بكل وضوح عن اهتمامهم بوضع حد للاسلحة ويشهد على ذلك انهم وقعوا ، من جهة ، اتفاقيات سولت التي تضع الحد الاقصى للترسانات الهجومية ، ومن جهة اخرى ، وقعوا معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف التي تفرض حدودا ضيقة على صنف كامل من الاسلحة .

بالرغم من الوقت القصير المنقضي منذ وصوله الى مركز الامين العام للحزب ، عبر ميخائيل غورباتشوف في عدة مناسبات عن ارادته الجادة بتخفيف سرعة السباق نحو التسلح على الصعيدين الكمي والنوعي وهذا ما تشير اليه مبادراته . لقد نادى الى اتفاقية حول التحريم الكامل للتجارب وقد فرض

من طرف واحد قرارا بتأجيل التجارب السوفييتية سنة كاملة بالرغم من ان الولايات المتحدة لم تخفف البتة برنامجها الخاص بهـا في هـــذا المضمار . لقد قدم اقتراحا حـول الصواريخ النووية متوسطة المـدى في أوروبـا · وأعـاد التاكيد عن ارادته بان يرى تطبيق تقليص مهم في انظمـة الصواريخ المضـادة للقذائف ، ولقد شاطرت هذا الراي ادارات جونسون ونيكسون وفورد وكارتر في السابق . ضاما صوته الى صوت الرئيس ريغان ، نـادى غوربـاتشوف بتقليص الترسانات النووية الى النصف وذلك في قمـــة جنيف في تشرين الثاني عام ١٩٨٥ ·

ليس هناك من شك ان هذه المبادرات تهدف خاصة الى التاثير ايجابيـا على الآراء العامة الغربية · ولكن هنـاك ما يدعو للاعتقاد بـأن السوفييت يريدون احراز التقدم عن طريق السيطرة على الاسلحة بخضوعهم لضغوط اقتصادية قوية ، انهم لا يستطيعون الا ابتغاء تقليص القسم من الموارد التي يخصصونها لسباق نحو التسلح لا فائدة منه مع العلم انهم سينفقون بدون شك كل ما يلزم ليحافظوا على مكانتهم .

ان اتهام المقترحات السوفييتية على انها دعاية لايخدم ابدا امننا في مجال الامـن . ان كان غورباتشوف يخادع فلنخرجه (فلنسد الدروب عليـه) ، وان كان صادقا سنستطيع بارادة سياسية حقيقية من جهتنا ان نحصل على توقيعه على اتفاقيات تستفيد منها القوتان العظميان وحلفاؤهما ·

ان كنا حقا نريد احراز التقدم نحو السيطرة على الاسلحة ، يجـب علينا ان نراجع مفهومنا الخاص عن التنافس بـين القوتين العظميين وعن فائـدة الاسلحـة النووية .

منذ فجر العصر النووي ، حاولت الولايات المتحدة دائما الحفاظ على قواتها النووية الاستراتيجية والتعبوية بمستوى (اعلى) ـ أو على الاقـل بمستوى يضمن لها التفوق في حال ضربة اولى . طالما اننا نستمر بهذا الهدف فسيكون من الصعب جدا التوصل الى اتفاقيات حول السيطرة على الاسلحة، هذه الاتفاقيات التي تضمن من جهة اخرى تحديد الترسانات واستقرارها . يعرف الرئيس ريغـان ذلك ويقولـه · اذاً أعددنا أثنـاء المفاوضات ، اقتراحاتنا على هذه القاعدة ، فان على ضرورة التقليص الجذري للترسانات النوويـة الاستراتيجية ان تفرض نفسها منطقيا .

الفصل السادس

رفض الكارثة النووية

لسنا ملزمين ان نعمل من النصف الثاني لقرن العصر النووي نسخة عن النصف الاول .

دعونا لن نتردد بأن نترك وراءنا وبعزم وتصميم هذه السنوات التي اتخذت خلالها قرارات كثيرة باعمال ارتجالية تشكل العالم الذي نعيش فيه الآن حيث توجد ، وجها الى وجه ، كتلتان بعداء سياسي دائم مهددتان دوما بمخاطر المجابهة العسكرية، تمتلكان استراتيجيات وترسانات نووية قادرة على تدمير حضارتهما عدة مرات وفي الوقت ذاته تدمير حضارة اكبر جزء من بقية العالم .

يجب نقل المناظرة والنقاش الى الساحة العامة ليتمكن مواطنو كل دول حلف شمال الاطلسي من المشاركة في المناقشات . بما ان هؤلاء المواطنين هم ضحايا محتملون لحرب نووية ، فعليهم مسؤولية اسماع صوتهم . بمقدورنا أن نضع حدا لخطر الكارثة بترسيخ أهداف على المدى البعيد تضم وتحدد برامجنا النووية في كل جوانبها : الاستراتيجية العسكرية ، صناعة الاسلحة ،انتشار القوات والمفلوضات حول السيطرة على الاسلحة . هذاهو الهدف الذي يجب علينا ترسيخه .

اسمحوا لي ان اكرر الخطوط العريضة لوضعنا النووي الحالي :

* ان الاستراتيجية العسكرية الحالية لدول حلف شمال الاطلسي تتوقع لجوءا مبكرا الى الاسلحة النووية كردانتقامي على اعتداء تقليدي يشنه السوفييت .

* ان الخطوط العملياتية لتطبيق هذه الاستراتيجية موجودة بين أيدي القادة العسكريين في المسرح .

* لقد نشر خمسة آلاف راس نووي وخزنت في البحر والارض وهي مستعدة لان تستخدم طبقا للخطط العملياتية هذه .

غير انه ليس هناك اي عقل بشري قد تخيل طريقة ليكون البادىء باستخدام اسلحة نووية ، طريقة تعود بالفائدة على الطرف الذي اتخذ هذه المبادرة بالبدء .

كما اشرت الى ذلك سابقا ، فان المسؤولين السياسيين والعسكريين يزداد عددهم يوما بعد يوم ، لايشاطرون هذا الرأي فحسب بل يعبرون عنه ويجاهرون به علنا . لقد أوضح اللورد كارفر رئيس الاركان السابق لدى الدفاع البريطاني (التصريح المذكور في الفصل الرابع): كل تبادل نووي مهما كان محدودا ، سيؤدي حتما الى نتائج تكون على دول حلف شمال الاطلسي اخطر بكثير مما على دول حلف وارسو (...). ان شن هجوم نووي (....) يبدو لي عملا غير مسؤول وعملا اجراميا .

ان الاغلبية العظمى للاميركيين لاتعرف ببساطة ان استراتيجية دول حلف شمال الاطلسي تنص على الاستخدام المبكر للاسلحة النووية في حال نشوب صراع مع السوفييت . ويعتقد ثمانون بالمئة منهم اننا سنستخدم هذه الاسلحة فقط اذا وجه الينا السوفييت ضربة اولى . سيدهشون حين يعلمون انهم مخطئون . ولكن عندما يعرفون ان القادة العسكريين انفسهم يعتقدون ان تطبيق استراتيجيتنا الحالية سيؤدي الى دمار حضارتنا ، حينئذ سيحل الخوف والهلع مكان الدهشة . انها الحقيقة الخالصة .

صحيح ان بعض (الخبراء) المدنيين يعتبرون ان الخسائر الناتجة عن تبادل نووي ستكون مقبولة .

* في خريف عام ١٩٨١ صرح امين مساعد ملحق بوزارة الدفاع قائلا: احفروا حفرة وغطوها ببابين ثم ضعوا فوقهما مترا من التراب (...) ان كانت هناك مجارف لكل الناس سيبدا كل واحد بهذا العمل (....) تكفي فترة تتراوح بين السنتين والاربع سنوات لاصلاح الاضرار(١).

* في نفس العام اكـد مدير وكالة السيطرة على الاسلحـة ونزع السلاح (ACDA) قائلا : بعد كل ماجرى لها ، لم تبق اليابان على قيد الحياة فحسب بل انها ازدهرت(٢).

* بعد عـدةاشهر ، صرح المدير التنفيذي للجنة الاستشارية العـامة للسيطرة على الاسلحـة ونزع السلاح قائلا : اعتقـد انه يمكن البقـاء بعـد حرب نووية (...). حرب نووية تكون مدمرة ولكنها تبقى في الاسـاس مسألة فيزيائية (....) بعـد ثلاثـة اشهر من القاء القنبلة ، عادت هيروشيما الى مزاولة اعمالهـا(٣).

وفي عام ١٩٨٠ ، صرح نائب الرئيس بوش انه بالامكان الخروج منتصرين من تبادل نووي شرط تأمين قدرة بقاء اجهزة القيادة والسيطرة وكذلك القدرة الصناعية ، وتأمين حماية نسبة معينة من السكان وقدرة تكبيد العدو نسبة أعلى من الخسـائر والاضرار*(....)(٤).

لقد عرفت اياما قرب فيها حدوث نزاع نووي : ان آراء كهذه هي بالنسبة لي غـير مفهومة على الاطلاق واعتقد انها ايضا مبهمة على اغلبيـة الشعب الاميركي . كان ذلك ايضا رأي ماك جورج بوندي حيث كتب :

يستطيع المحللون ان يقدروا مستوى الخسـائر المقبولة بعـدة عشرات من الملايين من الكائنات البشريـة . يستطيعـون ان يفترضوا ان خسـارة عشرات المدن الكبرى ستكون اختيارا واقعـيا لناس صحيحي العقـل . ولكنـهم يعيشون في عالم غير واقعي . أما في العالم الواقعـي للقـادة السياسـيين الواقعيين ـــ في الولايات المتحـدة كما في الاتحاد السوفييتي ـــ ان قرارا واحدا تطلق بموجبه قنبلة هيدروجينية واحـدة على مدينة واحدة فقط ، سيوصف مسبقا بانه خطأ فادح ، اما عشر قنابل تطلق على عشر مدن فستمثل كارثـة تاريخية ومنه قنبلة تطلق على مدينة فستكون غير قابلة للتصور والادراك(٥) .

---

* ان تصريحات كهذا التصريح اجتذبت تعليقات مناهضة لعدد من المشنعين . لذلك أصبحت اليوم اقل عددا . لكن سياسة البنتاغون من ناحية التخطيط الاستراتيجي وصناعة وامتلاك الاسلحـة تبقى مدارة من ارادة الحفاظ على السيطرة في كل من مراحل النزاع النووي والذي يتوقعون لـه ان يدوم اياما وحتى أسابيع قبل انتصار أحد المعسكرين .

المشكلة هي ان الملك عار والحذاء حاف • ان سياستنا النووية الحالية مفلسة .

ومع ذلك ، نحن اليوم على عتبة الانطلاق في تصعيد جديد من القرارات لايمكنها انتؤدي حتما الا الى مزيد من عدم الاستقرار والى خطر الكارثة المتزايد بالنسبة للبشرية جمعاء . بتأكيده على ضرورة قلب مجرى الاشياء - الاعتراف بان الاسلحةالنووية لاتستطيعان تستخدم عسكريا - كان للرئيس ريغان حدس صحيح . فالاستمرار كما في السابق سيكون عملا غير مسؤول على الاطلاق • وكما اشار الى ذلك الاساقفة الكاثوليك ورؤساء دينيون آخرون ان ذلك سيكون خطيئة روحية اخلاقية . كم من الوقتيلزمنا لنعرف ذلك ؟...

بينما اكتب هذه الاسطر ، تستمر التقارير الاولية حول نتائج حادثة المفاعل النووي السوفييتي في تشيرنوبيل ، تستمر في اقلاقها للراي العام العالمي .

في بولونيا ، تعرض اطفال ونساء حوامل الى التلوث باليود المشع الذي يتوضع بشكل أساسي في الغدة الدرقية . في السويد قسم كبير من السكانتعرض لاسقاطات اشعاعية ونتوقع زيادة طفيفة لكن محسوسة في عدد الوفيات من جراء السرطان خلال الخمس واربعين سنة القادمة . هناك عدد يتراوح بين خمسين الف ومئة الف مواطن سوفييتي معرضون لمشاكل مرضية على المدى البعيد(٦) • توجب اتلاف المحاصيل الزراعية الملوثة في عدة بلدان مجاورة • حتى في اوكرانيا تلفت محاصيل عدة آلاف من الهكتارات من الاراضي المزروعة . وفي منطقة الحادث هناك مساحة غير محددة بعد، من الاراضي الصالحة للزراعة ، لم تعد صالحة للاستثمار خلالسنوات عديدة .

ولكن كما اشار الى ذلك البروفسور ايفريت ميتدلسون ، مؤرخالعلوم فيجامعة هارفارد (الاشعاع الذي حصل من جراء حادثة مفاعل تشير نوبيل هو طفيف مقارنة مع الاشعاعات التي تعرضنا اليها حرب نووية(٧)) • الايمكننا ان ندع حادثة تشيرنوبيل تساعدنا على معرفة اوضح لفظاعة حرب نووية ولتسريع العملية التي ستسمح بتقليص خطر كارثة كهذه ؟..

اود ان اذكر بالمحاور الكبرى لتحليلي كي لايكون هناك اي التباس.

بعد ان امضيت سبع سنوات في منصب وزير الدفاع في الاهتمام بالمشاكل المثارة ببدء اول مفاعل نووي قبل ثلاثة واربعين عاما ، لااعتقد ان بامكاننا تجنب الخطر الفادح وغير المقبول لحرب ذرية طالما اننا لانعترف ان الاسلحة النووية لاتخدم اي هدف عسكري ـ غير هدف ردع العدو عن استخدامها ـ وطالما اننا لا ننطلق من هذه المسلمة لتحديد خططنا العملياتية وميزانياتنا الدفاعية ونشر اسلحتنا وتوجيه مفاوضاتنا .

هذه هي قناعتي اليوم وهي نفسها التي كانت في بداية الستينات .

في ذلك الوقت ، وخلال المحادثات الطويلة التى اجريتها على انفراد مع الرؤساء كنيدي وجونسون ، طلبت منهم بالحاح عدم اتخاذ المبادرة باستخدام الاسلحة النووية باي حال من الاحوال . واعتقد انهم اخذوا بتوصياتي.

لا اريد ان اؤكد ان كل رؤساء الولايات المتحدة سيتصرفون التصرف الذي تصرفه الرئيسان كنيدي وجونسون في مواقف مشابهة . لا استطيع الا ان ارجو ذلك . ولكن غايتي ان اشير انه اذا اراد التحالف ان يتوصل حول مفهوم للدور العسكري للاسلحة النووية ـ مسالة اساسية بالنسبة لسلام وأمن الغرب والشرق ـ توجب علينا الاجابة على الاسئلة التالية :

* هل بامكاننا ان نتصور طرقا يستخدم فيها السلاح النووي كرد انتقامي لهجوم سوفييتي تقليدي وتكون في مصلحة دول حلف شمال الاطلسي ؟....

* هل سيجازف اي رئيس كان للولايات المتحدة بالسماح بفتح النار النووية ؟...

* ان كنا لانستطيع ان نتصور استخداما للاسلحة النووية يكون في صالحنا وان كنا نعتقد ان رئيسا للولايات المتحدة لن يسمح ابدا باستخدامها فهل علينا ان نستمر بتقبل المخاطر المرتبطة بمفهوم اللجوء الى الاسلحة النووية منذ الساعات الاولى لنزاع بين الشرق والغرب والذي عليه تبني دول حلف شمال الاطلسي استراتيجيتها وخططها العملياتية ونشرها لرؤوسها النووية ؟....

* هل ستسمح القوات الجديدة التقليدية التي اوصى بها ، من بين آخرين ، الجنرال روجرز والبروفسور ويليام كوفمان ، ولجنة تنظيم دراسة

الامن الاوروبي ، بردع فعـال لاعتداء غير نووي يشنه الاتحاد السوفييتي؟.. ان كانت هذه هي الحال ، الا نبرهن عن عـدم مسؤوليتنـا باستمرارنا قبول استراتيجية دول حلف شمال الاطلسي الحالية التي تنمي خطر نشوب حرب نووية بدل من ان تخصص قسما ـ صغيرا نسبيا ـ من ميزانيتها لتوفـير الصيانة لهذه القوات التقليدية ؟....

* هل نحن من انصار عالم متحرر من الاسلحـة النووية ؟... اناجبنا بنعـم ، الا يتوجب علينا الاعتراف ان عالما كهـذا لم يعد له (قوة ردع نووية) لاستدراك هجـوم سوفييتي تقليدي ؟ وان كنا نستطيع الاستغناء عن هذه القوة ، لماذا لانفعـل ذلك منذ الآن ـ ونجتاز هكذا مرحلة مصيرية على طريق تكون فيه الاسلحـة النووية منزوعـة؟...

بالمختصر ، لتجنب الخطأ الذي سيؤدي بنا الى الكارثة ، اقترح ان نعتبر ان الدور العسكري للاسلحـة النووية يتحـدد بردع العدو عن استخدام هذه الاسلحـة ، حالما تتوصل دول الحلف الى اتفـاق ـ وذلـك متوقـع تدريجيا خلال الخمس او العشر سنوات القادمة ـ لبناء كل خططنا العملياتية وميزانياتنا الدفاعية وبرامجنا للصناعة ونشر الاسلحة وكذلك كل مفاوضاتنا حول الاسلحة ، لبنائها على هذه المسلمة .

أود ان اقترح تغييرا جذريا في الموقف بالنسبة للاستراتيجية النوويـة الحالية لدول حلف شمال الاطلسي ، واعلم تماما ان المواقف لن تتغير بسرعة لان جذورها متأصلة في جذر عميق جدا حيـال الاتحاد السوفييتي ، وفي اخطار في التقدير حيال قدرة الاسلحـة النووية على حمايتنا من اعتداء سوفييتي.

في الفصل الاول ، ذكرت ثلاث ازمات حصلت اثناء كوني وزيرا للدفـاع: **مشكلة برلين عام ١٩٦٢ ، نصب الصواريخ السوفييتية في كوبا عام ١٩٦٢، وحرب الشـرق الاوسط عـام ١٩٦٧** ، بذلك كنـت أود ان القي ضـوء شخصيا على احدى المواضيع الرئيسـية في هذا الكتاب : بامكان الاحداث ان تـدور نحو السيء ، وان يكون للاعمال نتائج غير متوقعـة ، وان تفسر الاشـارات خطأ وان تحصل اخطـاء في التقنيات. بامكان الازمات دائما ان تتحـول حتى اذا لم يكن احـد من العسكرين يريد الحرب .

هناك ثلاثـة احداث حديثـة ـ تفجير السـوفييت في الجو لطائرة البوينغ التابعـة للخطوط الجويـة الكورية والذي ادى الى مقتل ٢٦٩ من المدنيين،

انفجـار المركبــة الفضائية الاميركية تشــالنجر ، وحادثــة المفاعــل النووي في تشيرنوبيل ــ لاتقــوم الا بتأكيد هذه الفرضية وعليها ان تذكرنا بأننا غالبــا مانكون ضحايا معلومات خاطئة أو احكــام مغلوطة وأخطــاء بشــرية ٠ بالتأكيد ستحول هذه العوامل القرارات المتخــذة بشان استخدام الاسلحة النووية في حالة الازمة حيث تمارس حتما ضغوطات من كل الانواع ٠

كانت حادثة البوينغ الكورية مأساة كبيرة ٠ ولكن خطــأ مشابها قــد يؤدي الى اطلاق اسلحة نووية مما سيشكل كارثــة دون سابــق انــذار . لتجنب مثل هذه الكارثة ، يجب علينا ان نبعــد اكثر فاكثر احتمالية استخدام الاسلحة النووية . والحالة هذه ، نحن ناخذ اليوم اتجاها معاكسا تماما .

قدر خبير اميركي في شؤون الامن ان اتفاقية حــول الحد من الاسلحــة النووية غير مرتقبــة في المدىالقصير وقد اعلن مؤخرا انه والحالة هــذه ، يتوجب التوقــع بأن يصبح عــدد الرؤوس الاستراتيجية السوفييتية اكثر من الضعف لتصل الى مجموع تقريبي قدره اربعــة وعشرون الف راس .على الاقــل نصف هذه القوى مصوب الى الاهداف الاكثر سهولة في التدمير في اول نشوب النزاع وبذلك انهاتنمي المخاوف الاميركية حــول ضربة اولــى وتقلص الاستقرار في حال نشوب الازمة .

يتابع اغلبية الخبراء الغربيين في شؤون الامن ، يتابعــون تأكيدهــم ان الاسلحــة النووية والتهديد بالبدء باستخدامها ، تشكلالعناصر الاساسيــة لدفاعنا .انني لا اوافق ابدا هذا الراي ولكنني مع ذلك اعترف ان وحدة الحلف هي اساس قوتنا ، بالتالي يجب علينا ان نعرف ان تغييرات اساسية في الاستراتيجية النووية لن تكون ممكنة الا اذا دعمتها شــعوب الولايــات المتحدة وشعوب البلدان الاخرى في حلف شمال الاطلسي . علينا ان نفعل كل شيء ، منذ الآن، لنكسب هذا الدعم ، ان ذلك الدعــم هو احــد الاهداف الاولى لهذا الكتاب .

يجب علينــا ان نبــدأ بمناقشــة مفتوحة وصريحة بمناســبة المناظــرات العامة التي تنظمها كل دول حلف شمال الاطلســي حــول الاخطــار التــي يحتويها عالمنا المليء بالاسلحــة النووية ٠ يمكن ان يتبع هذه المناقشاتسلسلة من الاعمال الحكومية التي ، بعد عــدة سنوات ، ستؤدي الى اهدافجديدة على المدى الطويل تتعلق بالاستراتيجية وبالقوات. بامكان الاجراءات الاولى ان تشتمل على تبني اقتراح الجنرال روجرز بتدعيم القوات التقليديــة لدى

دول حلف شمال الاطلسي* ــ مما يسمح بالانتقال سريعا الى استراتيجيةعدم الاستخدام اولا ــ وبتسريع عملية تخفيض واعادة نشر الاسلحة العملياتية في أوروبا ، واعادة بناء مبادرة الدفاع الاستراتيجي بشكل تنحصر فيه هذه المبادرة فقط كبرنامج بحث ، والتفاوض مع السوفييت بهدف تدعيم معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف وفي الوقت ذاته التوصل الى تقليصات مهمة في الاسلحة الهجومية الاستراتيجية .

لقد ساعدت تشيرنوبيل على لفت الانتباه حول شرعية اهتمامات الدول غير المنحازة والدول المحايدة تجاه تصرف القوتين العظميين وحلفائهما . ليس هناك حاجة للتفكير بفرضية الشتاء النووي للاعتراف ان تبادلا نوويا بين الشرق والغرب سيؤدي الى اضرار فادحة في بقية بلدان العالم ، وبالتالي يمكننا ان نتوقع ان تطالب هذه الدول بأن يكون لها صوت في قرارات القوتين العظميين القابلة بالتأثير على خطر الحرب أي في حال السيطرة على الاسلحة وتعريف وتحديد الاستراتيجية النووية وفي تنمية القوات النووية .

يشعر مستشار جمهورية المانيا الفدرالية بنفسه مخولا لطلب تعويض من الاتحاد السوفييتي عن الخسائر التي تكبدتها بلاده من جراء حادثة تشيرنوبيل . ان كان هذا الطلب شرعيا فان حكومات الهند والبرازيل والسويد ، مثلا ، سيكون لها الحق ان تكون على علم بالاخطار التي تعرضها عليها الاسلحة النووية لدى القوتين العظميين وكذلك ان تكون على علم بالاجراءات التي تنوي القوتان العظميان اتخاذها للحد من هذه المخاطر .

تمثل مفاوضات جنيف حول السيطرة على الاسلحة ، مناسبة تاريخية لتغيير الاتجاه وللقيام بالخطوة الاولى نحو الاهداف بعيدة المدى التي اقترحتها. يمكننا ان نرمي الاساسات التي تخولنا الدخول في القرن الحادي والعشرين باستراتيجية نووية مختلفة تماما مبنية لا على القدرة في المعركة بل على الامن المتبادل وبترسانات قوات نووية مقلصة تماما ــ **حوالي الف سلاح** على الاكثر **بدلا من خمسين الف** في الوقت الحالي ــ مقللين كثيرا خطر دمار حضارتنا .

---

* بكثافة سكانية تفوق بـ ٦٥٪ كثافة سكان دول حلف وارسو وبانتاج قومي خام يفوق بـ ٢٠٠٪ ، سيكون لدى دول حلف شمال الأطلسي كل الوسائل السياسية والمالية لتدعيم قواتها التقليدية ان كان هذا الاجراء يسمح بتقليص خطر الحرب النووية .

لايصال اهدافنا الى المدى البعيد ، يجب على عدة مواضيع ان توجه تصرفاتنا ومواقفنا وسياساتنا على مدى هذه المفاوضات .

على كل معسكر ان يوافق على عدم السماح ابدا مرة اخرى بالتوصل الى تفوق مهم . فان محاولات التوصل هذه ليست عقيمة فحسب بل انها خطيرة .

يجب استبعاد الاسباب القادرة على اثارة كل من المعسكرين لامتلاك مقدرة توجيه ضربة أولى ـ أكان الجهد المبذول حقيقيا أم مفترضا ـ . يجب ان يكون الهدف توازنا مستقرا بادنى مستوى ممكن .

على تقدمنا التقني ان يستغل لتدعيم امننا ولكن دون ان يهدد ثبات الردع. ان مراقبة الفضاء ومعالجة المعطيات التي تشكل قسما مهما من برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، هي امثلة عن التقنيات القادرة على المشاركة في تدقيق احترام المعاهدات .

يليق ان لاننسى التحذير الذي اطلقه ونستون تشرتشل : يوشكالعصر الحجري على العودة ذات يوم على اجنحة العلم اللامعة . يجب علينا ان نتخلص من مبدأ الحتمية الذي ينص على الاعتقاد انه مهما كان الخطر الذي تشكله ، فان التقنيات الجديدة لايمكن الالتفاف حولها وتشويهها ، ان الابحاث المخبرية لايمكنها ان تحدد باتفاقيات قابلة للتدقيق ولكن التقنية توفرادوات تزداد قوة يمكنها (أي هذه الادوات) ان تستخدم لكبح ضبط الاسلحة ولمنع انتشارها . ليس هناك الا غياب الارادة السياسية الذي مثلا ، يضع حاجزا أمام اتفاقية قابلة للتدقيق حول تحريم نشر الصواريخ الباليستية الاكثر خطورة اذ قبل نشرها ، انها تحتاج الى تجارب عدة في الجو ، الامر الذي يؤدي الى كشفها .

يليق ايضا تهدئة مخاوف المعسكرين الشرعية : خشية السوفييت تجاه تقنيتنا وخشيتنا من استحواذهم على السر . بالامكان ان تتكون هنا مناسبة لعقد اتفاقية حيث يرضى السوفييت بعمليات تدقيق اوسع مقابل ان يقوم الاميركيون بالحد من تطبيق مخترعاتهم . ان انهاء قانون السر السوفييتي لن يكون الا لصالح المعسكرين حتى لو لم يفهم الكريملن ذلك بعد . كل ذلك مثل الاعتدال التقني حتى لو كان ذلك يخالف ارادة الولايات المتحدة .

سلسلة من الاجراءات بدت لنا عقلانية في زمانها ، ادت بنا الى هذا الوضع من المجابهة الخطيرة وغير العقلانية . نستطيع ان نتدارك الامر .

على البرنامج المعرف بخطوط عريضة في هذا الكتاب ، برأيي ، ان يسمح بتشغيل هذا المدرج ، ولكن ان كانت مقترحاتي مقبولة ام لا ، يمكننا بالتأكيد ان نتفق حول نقطة : علينا ان نعد اتفاقا واجماعا قوميا حول استراتيجيةطويلة الاجل للنصف الثاني من قرن العصر النووي ـ استراتيجية تقلص المخاطر غير المقبولة التي نجابهها اليوم ، استراتيجية ستبدأ بترميم الثقة في المستقبل .

ما يمكن ان يكون واجبنا سوى تأمين بقاء حضارتنا ؟ ....

* * *

الملاحق

في الحادي عشر من تشرين الاول عام ١٩٨٦ ، بينما كانت اول طبعة من هذا الكتاب تنزل الى الاسواق ، كان الرئيس رونالد ريغان والامين العام ميخائيل غورباتشوف يجتمعان في ريكيافيك في آيسلاندا . ان المناقشات التي دارت حول السيطرة على الاسلحة اثناء هذه القمة الاميركية ــ السوفييتية كانت ذات اهمية لم يسبقها مثيل منذ الحرب العالمية الثانية . كانت نسخة كتابي المكتوبة بخط يدي قد ارسلت للطبع قبل هذا الاجتماع باربعة اشهر قبل ان تظهر اية اشارة عن لقاء مهم كهذا . والحالة هذه ، ان هذا النص كما نشر في طبعته الاولى يضع الاساسات النظرية لمناقشات ريكيافيك ويصف المحاور الكبرى لاتفاقية السيطرة على الاسلحة الذي في صالح الطرفين ان يتوصلا اليها ، يبين (اي النص) اسباب اخفاق هذه القمة ويطرح الاجراءات التي يليق اتخاذها اليوم لاعادة الاميركيين والسوفييت الى طاولة المفاوضات .

ان اهم نقطة اتفق عليها رئيسا الدولتين مؤقتا في ريكيافيك تتعلق بتخفيض الى النصف ، القوات النووية الهجومية الاستراتيجية ، وهذا ما يعيد عدد القذائف النووية التي يقتنيها المعسكران من **اثني عشر الفا** حاليا الى **ستة آلاف** تقريبا .

سيطبق هذا التقليص تدريجيا على مدى خمس سنوات .

تصاحبت هذه الاتفاقية المؤقتة على (مرحلة اولى) بتخفيض القوات الاستراتيجية الهجومية ، تصاحبت مع اتفاقية حول تخفيض القوات النووية متوسطة المدى في اوروبا ومع مناقشات حول تخفيضات جديدة للقوات الاستراتيجية على مدى عشر سنوات . وقد طرحت ايضا مسالة احتمال استبعاد تكامل لكل الاسلحة النووية . ولقد ناقش رئيسا الدولتين ايضا امكانية تمديد المفاوضات حتى تتمكن بقية الدول النووية بالاشتراك فيها وللتفكير

باجراءات تؤمن توازنا افضل بين القوات التقليدية لدى دول حلف وارسو ودول حلف شمال الاطلسي في حال تقليص عملي كامل للاسلحة النووية .

ولكن في النهاية ، كانت مبادرة الدفاع الاستراتيجي حجر عثرة بين مفاوضي ريكيافيك .

كان الرئيس ريغان يريد ان يسمح للولايات المتحدة وخلال السنوات العشر القادمة ، بقيادة برنامج بحث وتطوير وتجارب حول النظم المضادة للصواريخ القاذفة . بعد هذه الفترة وبعد تدمير وابطال كافة الصواريخ النووية الاستراتيجية الهجومية لدى المعسكرين ، سيسمح للولايات المتحدة بنشر نظام مبادرة الدفاع الاستراتيجي . اما ميخائيل غورباتشوف فقد رد مقترحا تقييد مبادرة الدفاع الاستراتيجي ولمدة خمس سنوات في ابحاث (مخبرية بحتة) . وقال ريغان في نفسه : لماذا يعارض غورباتشوف تطوير ونشر هذه الدفاعات ؟ وقال غورباتشوف في نفسه : لماذا يرغب ريغان بنشر دفاعات بغياب انظمة هجومية ؟ . . .

اشار الرئيس ان برايه ، الدفاعات المضادة للصواريخ البالستية ضرورية حتى بعد استبعاد القوات النووية الهجومية وذلك لمنع خرق الاتفاقيات .

لكن ميخائيل غورباتشوف مقتنع ان الولايات المتحدة اليوم في مجال تقنية مبادرة الدفاع الاستراتيجي ويخشى من ان يسمح برنامج غير مراقب في التطوير والتجارب ، ان يسمح للولايات المتحدة بزيادة تقدمها في المستقبل . هو يرى ويتوقع انه في الوقت الذي سيرونه مناسبا ــ ربما بعد ست او سبع سنوات ــ ستلغي الولايات المتحدة من جانب واحد معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف مثقلين هكذا تهديدا قويا على الاتحاد السوفييتي . لماذا يكون اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية مهددا ؟ لانه سيكون لدى الولايات المتحدة حينذاك ستة آلاف راس نووي استراتيجي هجومي تستطيع ان تطلقها على السوفييت لتدمر قسما جوهريا من الستة آلاف قذيفة لدى خصمها تاركة لنفسها القدرة على تدمير اغلبية قذائفه المتبقية ان هو حاول ، خلال ضربة انتقامية ، اختراق الدرع الدفاعي الاميركي . في هذه الشروط يعتقد السوفييت ان الولايات المتحدة لن تترك له الخيار الا بين الابتزاز السياسي والدمار العسكري .

والحالة هذه ، انني مقتنع ان ليس هذا هو هدف الرئيس ريغان . يخشى السوفييت شيئا لاينوي الرئيس القيام به على الاطلاق . ولكن من وجهة نظرهم

نفهم انهم قلقون من ذلك . والواقع انه ان كانت الادوار معكوسة وان تصرفوا كما نتصرف حاليا ، لكننا نحن قلقين كما هم قلقون اليوم .

هل بامكاننا اذاً الخروج من هذا المازق ؟ هل بامكاننا ان نوفق بين حلم الرئيس ريغان ـ تجربة القدرة التقنية لنظام دفاع مضاد للصواريخ ـ وبين خشية ميخائيل غورباتشوف من رؤية الولايات المتحدة تمتلك قدرة تمكنها من توجيه الضربة الاولى ؟ اي نوع من الاتفاق ممكن اليوم ؟ .

اولا ، يجب على الولايات المتحدة ان تقبل الفكرة القائلة انه لن يكون هناك تحديد للاسلحة النووية الهجومية دون تحديد في القوات الدفاعية مثل هذا التحديد الذي تراه اليوم معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف . كانت هذه هي المسلمة التي طفت على مجمل مفاوضات سولت .

كانت اتفاقيات سولت مبادرة اميركية . في تشرين الاول عام ١٩٦٦ اقترح الرئيس جونسون وانا شخصيا ، اقترحنا على السوفييت البدء بتحديد وتقييد القوات الاستراتيجية . ثم في عام ١٩٦٧ امضينا يوما كاملا في غلاسكو في ولاية نيوجرسي لمحاولة اقناع الكسي كوسيغين ان تطوير الدفاعات الاستراتيجية من كلا الطرفين سيغذي السباق للتسلح وسيزيد من خطر نشوب الحرب ، بينما سيسمح لنا ايصال الاسلحة الى حدها السقفي اولا تحديد ثم بتقليص الترسانات الهجومية . بعد خمس سنوات ، أثناء مفاوضات سولت ـ ١ انتهى الرئيس نيكسون الى الحصول على موافقة السوفييت على هذا الاقتراح .

انني اكرر اذا ، يجب اولا ان نحمي حرفية معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف فبدون هذه الحماية وهذا الاقتراح سيكون من المستحيل علينا الشروع فقط بعملية تخفيض عدد الاسلحة .

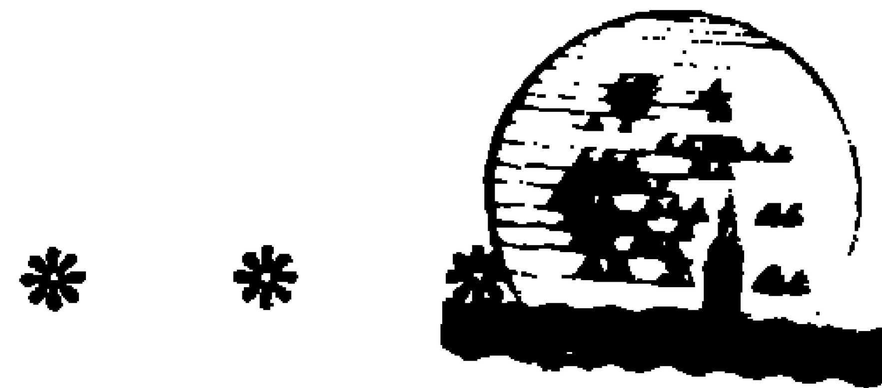
ولكن صيانة معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف لاتعني ان على الولايات المتحدة قبول الطلب السوفييتي الذي ينص على ان تقتصر مبادرة الدفاع الاستراتيجي على ابحاث مخبرية بحتة . تستطيع الولايات المتحدة الاستمرار، كما اقترح الرئيس ريغان في تجربة المقدرة التقنية للانظمة الدفاعية ، ولكنها لاتستطيع المباشرة دون رقابة بتطوير وتجربة هذه الانظمة وهذا ما سيؤدي الى خرق واضح للمعاهدة . وكما ذكرت ، سيغذي هذا الخرق المخاوف السوفييتية من رؤيتنا ننشر دفاعا استراتيجيا في الوقت الذي نراه مناسبا ، هذه المرة بخرق واضح لمعاهدة الصواريخ المضادة للقذائف .

بالنسبة للادارات الحالية والقادمة ، لا استطيع الاصرار على اهمية عدم الانفصالية بين تحديد القوات النووية الهجومية وتحديد الانظمة الدفاعية .

ان قبلنا قيادة برنامج الدفاع الاستراتيجي طبقا لنصوص معاهدةالصواريخ المضادة للقذائف في تفسيرها الدارج ، فان بلمكان الطرفين المباشرة بمفاوضات حول تقليص القوات الهجومية مشابه للتقليص الذي تم اقتراحه في ريكيافيك بالنسبة للمرحلة الاولى . من اللائق التوصل الى تقليص جوهري بنسبة خمسين بالمئة ، يحدد السقف الجديد بستة آلاف قذيفة نووية لدى كل معسكر . سيكون من المهم جدا ان تعين ايضا الحدود النوعية لبعض انظمة الاسلحة مثل تلك المنصوبة على الارض او التي تطلقها الغواصات بشكل يدعم فيه ما يسمى الاستقرار في حالة الازمة .

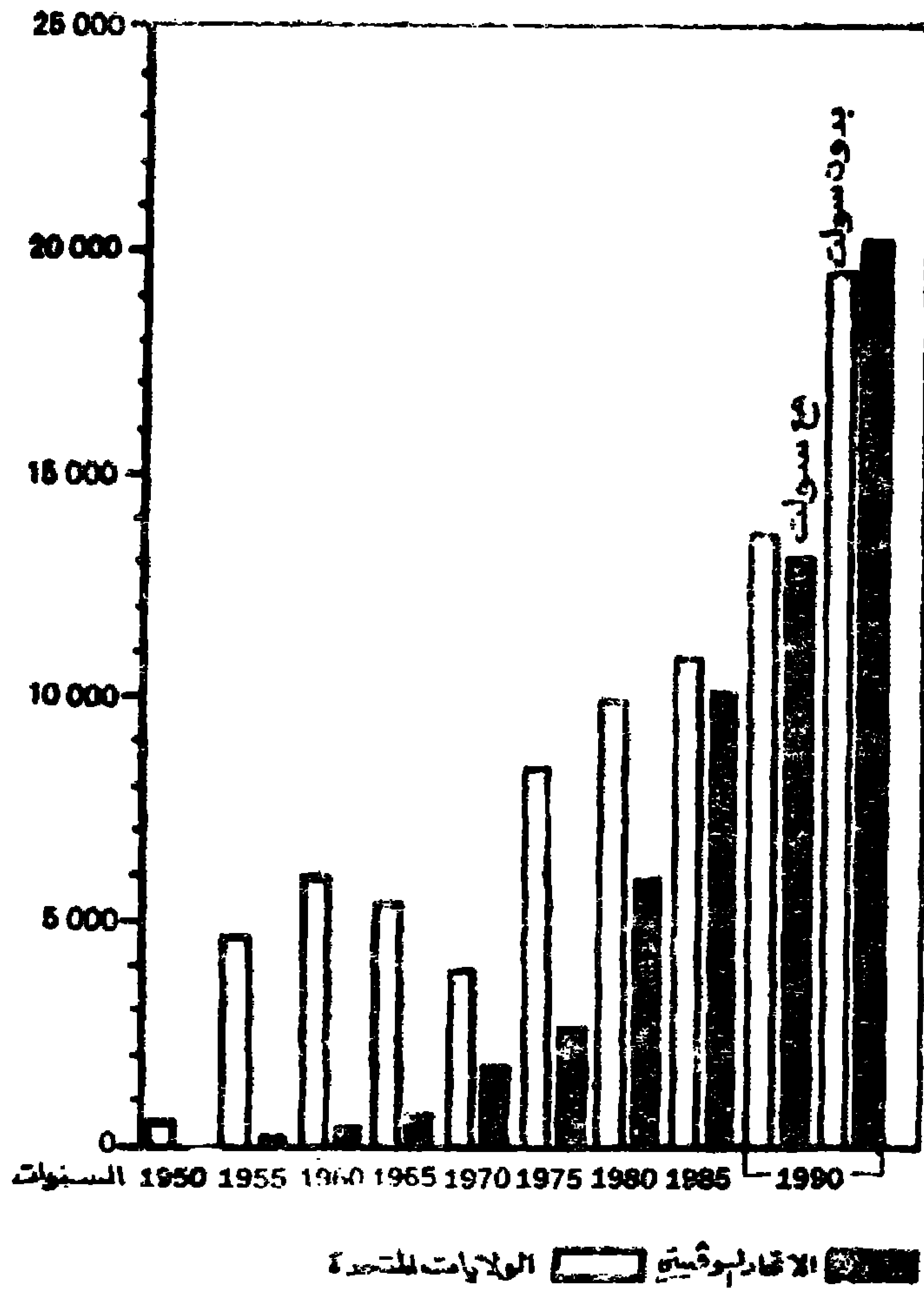
يجب ان يكون هدفنا تهدئة ، وان امكن ، ازالة الخوف لدى كل من المعسكرين برؤية خصمه ينجح في التوصل الى مقدرة تمكنه من توجيه الضربة الاولى .

ان الحدس الذي قاد ريغان وغورباتشوف الى الرغبة بتغيير الاتجاه هو حدس صحيح . على هذه المسائل ان تناقش ايضا بشدة خلال سنوات طويلة حتى بعد نهاية ولاية الرئيس ريغان ، ولكن متابعة التصعيد في السباق للتسلح ستكون عملا غير مسؤول ، على قاعدة الاقتراحات المطروحة في ريكيافيك نستطيع ويجب علينا ان نبحث عن حل قاطع يضع نهاية لهذا السباق .

* * 

ملحــــق

الملحق الأول :
الأسلحة النووية الاستراتيجية لدى الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية .
عدد الأسلحة (بالآلاف) .



يتعلق هذا الخط البياني بالرؤوس الاستراتيجية التي تتجهز بها الصواريخ الباليستية والصواريخ العابرة للقارات وكذلك القاذفات طويلة المدى ، يبين هذا الرسم انه اذا كان ازدياد الرؤوس قد بقي ثابتا لدي الترسانتين حتى السبعينيات فانه بالمقابل قد تسارع بشدة بعد تزويد الصواريخ الاميركية والسوفييتية بالقذائف متعددة الرؤوس .

السباق نحو التحديث التقني

1945-49	1950-54	1955-59	1960-64	1965-69	1970-74	1975-79	1980-84

القنبلة الذرية
1945
1949

القاذفة العابرة للقارات
1948
1955

القاذفة النفاثة
1951
1954

القنبلة الهيدروجينية
1952
1953

الصواريخ القاذفة العابرة للقارات
1958
1957

اقمار الاستطلاع التصويري
1960
1962

صاروخ بحر ارض
1960
1964

الصواريخ القاذفة العابرة للقارات ذات الوقود الصلب
1962
1966

الصواريخ المضادة للقذائف
1974
1966

التجربة الاولى للاسلحة المضادة للاقمار الصناعية
(النووية 1963)
(المرة) 1984
(المدارية) 1968

الصواريخ القاذفة متعددة الرؤوس
1970
1975

الاتحاد السوفييتي — الولايات المتحدة

يدل كل خط على تاريخ اول تجربة او اول نشر لكل تحديث تكنولوجي عسكري يقوم به كلمن القوتين العظميين . وكما يشير هذا الخط البياني بأن كل تحديث في معسكر يلحقه مباشرة تحديث مماثل في المعسكر المقابل .

الملحق الثالث

الترسانات النووية لدى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي (عام ١٩٨٥)

	صواريخ أو طائرات		رؤوس نـوويـة	
	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفييتي	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفييتي
أسلحة بعيدة ومتوسطة المدى				
ـ الصواريخ الباليستية العابرة للقارات	١٠٢٣	١٣٩٨	٢١٢٦	٦٤٢٠
ـ الصواريخ متوسطة المدى (الصواريخ الباليستية والعابرة للقارات المنصوبة على الارض)	٢٣٦	٥١٤	٢٣٦	١٤٣٥
ـ الصواريخ الباليستية بحر ـ أرض	٦٩٠	٩٦٧	٥٧٢٨	٢٨٨٧
ـ الطائرات القاذفة بعيدة المدى	٢٩٧	٣٠٠	٣٣٣٤	٦٠٠
المجموع	**٢٢٤٦**	**٣١٧٩**	**١١٤٢٤**	**١١٣٤٢**
أسلحة أخرى :				
ـ قذائف لقطع المدفعية			٢٤٠٠	٩٠٠
ـ شحنات مضادة للغواصات			٢٠٠٠	٦٠٠
ـ شحنات للصواريخ العابرة للقارات المضادة للسفن			∴	١٠٠٠
ـ شحنات للصواريخ الباليستية التعبوية			٣٠٠	١٦٠٠
ـ شحنات للصواريخ المضادة للطائرات			٢٠٠	٣٠٠
ـ شحنات للصواريخ المضادة للقذائف			∴	٣٢
ـ ألغام ذرية تدميرية			٦٠٠	بعض منها
ـ قنابل غير استراتيجية			٤٠٠٠	٤٠٠٠
مجموع الرؤوس النووية*			٢٠٩٢٤	١٩٧٧٤

* هذه الارقام لا تتضمن الرؤوس النووية المخزنة غير المنشورة .

مصادر الملحق الثالث

* بالنسبة للاسلحة الاستراتيجية :

ــ وزارة الدفاع الاميركية (القوة العسكرية السوفييتية ، ١٩٨٤) واشنطن العاصمة GPO ١٩٨٤ ، صفحة ٢٤ ، ٢٦ .

ــ وزارة الدفاع الاميركية (تقرير وزير الدفاع كاسبار واينبرغر الى الكونجرس ١٩٨٦) واشنطن العاصمة ، GPO ١٩٨٥ البيان II - E 4 الملحق ج .

* بالنسبة للقوات الاميركية ، اننا نفترض عشرة رؤوس نووية على كل صاورخ بوسيدون وثمانية رؤوس نووية على كل صاروخ ترايدنت ــ I وثمان قنابل وصواريخ هجومية قصيرة المدى على مجمل طائرات ٢٥٤ ب ــ ٥٢ H/G وست على كل من طائرات ال ٥٦ FB - ١١١ ، واثني عشر صاروخ عابر (كروز) جو ــ ارض على كل من الطائرات القاذفة ب ٥٢ G التسعين .

* بالنسبة للقوات السوفييتية ، اننا نفترض اربعة رؤوس نووية على كل صاروخ س‌س ــ ١٧ ، وعشرة رؤوس نووية على كل صاروخ س‌س ــ ١٨ ، وستة رؤوس نووية على كل صاروخ س‌س ــ ١٩ ، وسبعة رؤوس نووية على كل صاروخ س‌س‌ن ــ ١٨ ، وتسعة رؤوس نووية على كل صاروخ س‌س‌ن ــ ٢٠ . لاتتضمن هذه الارقام الطائرات القاذفة السوفييتية المخصصة للقوات الجوية البحرية واننا نفترض وسطيا قنبلتين و / أو صاروخين هجوميين في كل طائرة قاذفة ، على اساس مستند لجنة مجلس الشيوخ الاميركي حول القوات المسلحة ، وزارة الدفاع ترخيصات التخصيص لـ اف واي ١٩٨٥ : هيرنيفز ، المؤتمر الثامن والتسعون ، الدورة الثانية ، الاول من شباط عام ١٩٨٤ ، الصفحة ١٢٤ .

* بالنسبة للصواريخ متوسطة المدى : اتحاد مراقبة الاسلحة من معطيات حكومة الولايات المتحــدة .

* بالنسبة لبقية الاسلحة النووية : الهيئة المكلفة بكتاب معطيات الاسلحة النووية (اسلحة العالم ونزع السلاح ، الكتاب السنوي SIPRI عام ١٩٨٥) لندن ، تايلور وفرانسيس ١٩٨٥ .

* جدول معد انطلاقا من الرسم البياني لوثيقة هارولد فيفسون ، ريتشارد اولمان وفرانك فون هيبل (تقليص الترسانة النوويــة الاميركية والسوفييتية) (نشرة العلماء الذريين ، آب ١٩٨٥ ، الصفحة ١٤٦) .

* * *

الملحق الرابع

تطور قوات الصواريخ النووية الاستراتيجية والطائرات القاذفة لدى الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٩٠

	١٩٤٥	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥
الرؤوس النووية :					
● الولايات المتحدة الأمريكية :					
ـ صواريخ				٦٨	١٠٥٠
ـ قنابل وصواريخ عابرة جو ـ أرض	٢	٤٥٠	٤٧٥٠	٦٠٠٠	٤٥٠٠
المجموع	٢	٤٥٠	٤٧٥٠	٦٠٦٨	٥٥٥٠
● اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية :					
ـ صواريخ				بعض منها	٢٢٥
ـ قنابل وصواريخ عابرة جو ـ أرض			٢٠٤	٣٠٠	٣٧٥
المجموع			٣٠٤	٣٠٠	٦٠٠
القاذفات :					
● الولايات المتحدة الأمريكية :					
ـ طائرات قاذفة		بعض منها	٤٠٠	٦٠٠	٦٠٠
ـ صواريخ باليستية عابرة للقارات				٢٠	٨٥٠
ـ صواريخ باليستية بحر ـ أرض				٤٨	٤٠٠
ـ صواريخ عابرة جو ـ أرض					
● اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية :					
ـ طائرات قاذفة			بعض منها	١٥٠	٢٥٠
ـ صواريخ باليستية عابرة للقارات				بعض منها	٢٠٠
ـ صواريخ باليستية بحر ـ أرض				١٥	٢٥
ـ صواريخ عابرة جو ـ أرض					

تابـع ـ الملحق الرابع

تطور قوات الصواريخ النووية الاستراتيجية والطائرات القاذفة لدى الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريا الاشتراكية السوفييتية من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٩٠

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠آ*	١٩٩٠ب*
الرؤوس النووية :						
● **الولايات المتحدة الأميركية :**						
ـ صـــواريـــخ	١٨٠٠	٦١٠٠	٧٣٠٠	٧٩٠٠	٨٢٤٠	١٠٥٨٠
ـ قنــابل وصــواريــخ عابـرة جـو ـ أرض	٢٢٠٠	٢٤٠٠	٢٨٠٠	٣٣٠٠	٥٣٧٦	٨١٩٦
المجمــوع	٤٠٠٠	٨٥٠٠	١٠١٠٠	١١٢٠٠	١٣٦١٦	١٨٧٧٦
● **اتحادالجمهورياتالاشتراكية السوفييتيــة :**						
ـ صـــواريـــخ	١٦٠٠	٢٥٠٠	٥٥٠٠	٩٣٠٠	١٠٨٩٢	١٦٨٨٦
ـ قنــابل وصــواريــخ عابـرة جـو ـ أرض	٢٠٠	٣٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٢٤٠٠	٣٤٤٠
المجمــوع	١٨٠٠	٢٨٠٠	٦٠٠٠	٩٩٠٠	١٣٢٩٢	٢٠٣٢٦
القــاذفـــات :						
● **الولايات المتحدة الأميركية :**						
ـ طـائرات قاذفـــة	٥٥٠	٤٠٠	٣٤٠	٢٦٣	٣١٩	٤٢٨
ـ صواريخ باليستيــة عابـرة للقـــارات	١٠٥٤	١٠٥٤	١٠٥٠	١٠٢٨	١٠٠٠	١١٦٠
ـ صواريخباليستيةبحرـأرض	٦٥٦	٦٥٦	٦٥٦	٦٤٨	٦٤٠	٧٨٤
ـ صواريخ عابرة جو ـ أرض				١٠٨٠	١٧٦٠	٢٦٤٨
● **اتحادالجمهورياتالاشتراكية السوفييتيــة :**						
ـ طـائرات قاذفـــة	١٤٥	١٣٥	١٥٦	١٦٠	٢٢٥	٣٢٨
ـ صواريخ باليستيــة عابـرة للقـــارات	١٣٠٠	١٥٢٧	١٣٩٨	١٣٩٨	١٣٩٨	١٩٥٤
ـ صواريخباليستيةبحرـأرض	٣٠٠	٧٨٤	١٠٢٨	٩٢٤	٩٤٨	٩٧٤
ـ صواريخ عابرة جو ـ أرض				٢٠٠	١٣٨٠	١٧٧٢

لايتضمن هذا الجدول الصواريخ متوسطة المدى والقوات المحمولة بحرا والمتعلقة بالطائرات القاذفة العملياتية . كما انـه لا يتضمن الطائرة القاذفـة السوفييتية باك فاير .

* يفترض العمود الاول المتعلق بعام ١٩٩٠ ، ان تطور القوات الاميركيـة والسوفييتيـة محـدد بمعاهدات سولت ـ ٢ . اما العمود الثاني فيفترض تحديثا متسارعا دون تحديد من معاهدات سولت ، سولـت .

مصــادر الجـدول الرابــع

الميــــزان العسكــري ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ ، المعهــد الدولي للــدراســات الاستراتيجيــة (IISS)

DOD التقرير السنوي لــ 82 F 7 لوزارةالدفــاع الاميركيــة JCS بيــان F 7 ٨٦ .

استخرجت معطيــات عام ١٩٩٠ من تقرير مكتب بحوث الكونجرس رقم ٨٤ ــ ١٧٤ ف ، ٥ تشرين الاول عام ١٩٨٤ .

نظـام الدفـاع متعدد الطبقات ومسار صاروخ قاذف

الملحق الخامس

ملاحظة تقنية حول نظام الدفاع الاستراتيجي

منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما ، تطبق الولايات المتحدة برامج بحث تهدف الى ضبط وسائل لتدمير الصواريخ السوفييتية قبل ان تصل هذه الصواريخ الى اهدافها . ان اول نظام للدفاع تخيلوه فيمنتصف الستينات كان يتوقع نسف القذائف الهجومية المعادية خلال المرحلةالاخيرة منطيرانها. ان مبادرة الدفاع الاستراتيجي هي برنامج بحث واسع يهدف الى تنمية هذه المقدرة بشكل تدمر فيه الصواريخ الباليستية التي يطلقها العدو في كل مراحلطيرانها .

كما ذكرت ذلك في الفصل الرابع ، اشار الرئيس ريغان ووزير الدفاع كاسباروانبرغر عدة مرات انمبادرة الدفاع الاستراتيجي كان هدفها وضع نظام قادر على حماية كاملة لسكان الولايات المتحدة . غير ان مدراء البرنامج التقنيين يعترفون عادة ان كتامة كاملة للدفاع ــ ان اصبحت ممكنة ذات يوم ــ لا تستطيع ان تشكل هدفا واقعيا قبلاربعين أو خمسين عاما على الاقل . بالتالي ، تدور الابحاث الحالية حول نظام ، وحتى ان لم يكن كتيما تماما ، سيكون فعالا بشكل كاف لتأمين حماية جزئية لسكاننا في المدن . سيكون من الابسط ضبط دفاع عن الاهداف المدعمة مثل مخازن الصواريخ ومراكز

---

* يقدم هذا الملحق للانسان الجاهل الذي يهتم بهذه الامور ، عرضا مختصرا عن تقنية الدفاع المضاد للصواريخ الباليستية المقترحة في اطار مبادرة الدفاع الاستراتيجي . لم يصل هذا البرنامج بعد الى المرحلة التي تحكم نهائيا عن امكانية تحقيقه تقنيا . غير أن كل الامكانيات التي يقدمها هذا النظام بدات بأن تكون مجال تعليقات وشروحات قدمها أغلبية الخبراء الذين يستحق ذكرهم باختصار . بما انني شخصيا لست لا عالما ولا مهندسا ، فقد كتبت هذا العرض منطلقا من المواد المذكورة في الملاحظات التابعة للملحق الخامس .

القيادة ، ولكن ادارة ريغان قد صرحت عدة مرات ان ذلك ليس هو هدف مبادرة الـــدفــاع الاستراتيجي .

في مفهومهــا الحالــي ، تتصــور مبــادرة الدفاع الاستراتيجي نظــاما مضــادا للصواريخ مؤلفا من اربع الى سبع طبقات . الهدف هــو كشف واعتــراض الصواريخ الباليستية على طول مسارها منذ اطلاقها من المخازن والغواصات السوفييتية حتى وصولها الى اهدافها في الولايات المتحدة وفي اوروبا الغربية.

يتألف مسار الصاروخ من اربع مراحل ، اول مرحلة هي **مرحلة الدفــع :** بسبب حمولة الصواريخ الحالية ، يستغرق الدفع من ثلاث الى خمس دقائق. المرحلة الثانية التي تستغرق بين دقيقتين وعشر دقائق هي **مرحلة مابعد الدفع :** تنفصل عربة نشر القذائف أو (الباص) عن صاروخ الدفع ويستعد لاطلاق قذائفــه ـ التي تكون عديدة في حال القذائف متعــددة الرؤوســ ـ وكذلك يستعد للاختراق أو للتضليل . في المرحلة التالية المسماة مرحلة منتصف الطريق أو المرحلــة القــاذفة ، تتتــابع القذائف او الوســائل المضــللة (المضــللات) مســارهــا بشكل مستقل فوق الغلاف الجوي . تدوم هــذه المرحلة بين خمسة عشرة الى عشرين دقيقــة بالنسبة الصواريــخ الباليستية العابرة للقــارات المنصوبــة على الارض وبين خمس وعشرين دقيقة بالنسبة للصواريخ بحر ـ ارض . واخيرا المرحلة الاخيرة التي تستغرق حوالي الدقيقة الواحدة وهي **مرحلة الدخول في الغلاف الجوي** نحو الهدف .

ان التقنيات التي نفــكر باقتنائها ذات يوم ، هــل ستسمح لنا ببناء وبتشغيل نظام فعال يدمر الصواريخ وحمولاتها النووية في كل مراحل طيرانها ؟ ..

ان تقدير الحلول التقنية العديدة لنظام دفاع مضاد للصواريخ الباليستية يتطلب بالطبع تاملا تقنيا معمقا جداً ، ولكن انصار المشروع وكذلك مناهضيه يجتمعون بالاعتراف ان انشاء وصيانة نظام من هذا النوع سيشكل المهمـــة التقنية الاكثر تعقيداً التي لم يتعهدها انسان قط قبل الآن .

لتشغيل نظام دفاع مضاد للصواريخ ، من الضروري ضبط عدد كبير مــن الانظمة المساعدة ، وعلى هذه الاخيرة ان تتمكن من الكشف سريعا عن هجوم سوفييتي وان تتتبع كل الصواريخ وكل شحناتها النووية في كل مراحل طيرانها وتمييزها عن المضللات وتدميرها . على انظمة القيادة والسيطرة في مبادرة الدفاع الاستراتيجي ان تكون قادرة على تنسيق القرارات التي يتخذهـــا الانسان

والحواسب الآلية ، والحالة هذه ، بما انه ليس للانسان مباشرة وسائل تدمير الصواريخ المهاجمة ، فعلى الحواسب الآلية ان تؤمن (ادارة المعركة) وتنسيق كافة درجات المعركة ومستوياتها .

ستكون مكونات مهمة جدا للنظام متمركزة في الفضاء ٠ علينا اذاً بناء مئات حتى آلاف من الاقمار الصناعية وان نضبط مصادر الطاقة الضرورية لتغذيتها وان ندفعها الى الفضاء الخارجي . سنكون ايضا بحاجة لبناء آلاف الاجهزة المتحسسة (الرادارات) والمعترضات الاضافية للصواريخ المنصوبة في البحر والجو والارض .

ولكن هذا العرض لا يكفي لعرض ضخامة المهمة المتوجب امامها . لقد قورنت مبادرة الدفاع الاستراتيجي بالتحدي الذى اطلقه الرئيس كنيدي بتسيير انسان على القمر . لكن فرقا في الحجم يفصل هذين العملين : اذ ان القمر لن يرد على سير الانسان على سطحه .. بالمقابل ، اشار الاتحاد السوفييتي انه سيرد بضراوة على محاولة من قبلنا تهدف الى جعل ترسانية الصاروخية عاجزة وانه سيعمل كل ما في وسعه لابادة واحتواء او مهاجمة نظم الدفاع الاستراتيجي لدينا مباشرة .

ان الجنرال ابراهامسون مدير المنظمة المكلفة بمشروع مبادرة الدفاع الاستراتيجي قد اعترف ان الخبراء الحربيين الاستراتيجيين السوفييت سوف يردون على مبادرة الدفاع الاستراتيجي بمحاولة احباط النظام للوصول الى هدفه ، على مبادرة الدفاع الاستراتيجي بالتالي ان تجابه بفعالية الاجراءات المضادة الحالية والمستقبلية . لقد بدا جيمس ابراهامسون واضحا حول هذه النقطة :ان المناسبات العديدة لتدمير الصواريخ المهاجمة والتي تقدمها هذه الهندسة متعددة الطبقات ، تجعلنا نأمل نسبة من الكتامة مرتفعة جداً بالنسبة لنظام الدفاع حتى لو رد العدو باظهار قواته الهجومية .

ولكنه سيكون عملا جبارا ان نجعل نظام الدفاع الاستراتيجي غير قابل للاصابة من الاجراءات المضادة السوفييتية . بالطبع سيكون رد السوفييت الاول هو زيادة عدد الصواريخ والقذائف المحمولة بهذه الصواريخ . انهم يمتلكون الأن اكثر من الفي وثلاثمائة صاروخ باليستي بعيد المدى مجهزة بحوالي تسعة آلاف وخمسمائة قذيفة . ولكننا لا نستطيع ان نجزم ان تبقى ترسانتهم كما هي على حالها. بعدم وجود تحديد للاسلحة، مثلا ، فان السوفييت يستطيعون ان يضعوا حتى ثلاثين قذيفة على كل واحد من صواريخ س س ـ ١٨ الثلاثمائة وثمانية ، هذه الصواريخ التي لاتحمل اليوم

الا عشر قذائف . يقدر خبراء منظمة مبادرة الدفاع الاستراتيجي ان باستطاعة السوفييت نشر ما بين ثلاثين الف الى اربعين الف قذيفة للصواريخ الباليستية حتى نهاية هذا القرن .

ان الزيادة العددية للترسانة السوفييتية لاتشكل الا اول اجراء مضاد مرتقب . هناك وسائل اقل كلفة لاحباط نظام دفاع استراتيجي . يجهد السوفييت كما يجهد الاميركيون حاليا لضبط عدة انواع من الادوات المساعدة للاحتراق وذلك لتسمح لصواريخها بالوصول الى اهدافها بسهولة اكثر . كلما استعرضنا التقنيات المتصورة في اطار مبادرة الدفاع الاستراتيجي، سوف اذكر بعض الاجراءات المضادة لاحباطها .

تبعا لما قاله الجنرال ابراهامسون ، ان الطبقة (الاكثر اهمية)في نظام الدفاع الاستراتيجي هي مرحلة اعتراض الصواريخ في مرحلتها الدفعية. السبب واضح : في هذه المرحلة تكون ترسانة الصواريخ السوفييتية اكثر تعرضا للاصابة . تكون صواريخ الدفع اكثر سهولة للكشف والملاحقة من الباصات أو القذائف لانها تصدر اشعاعات قوية تحت الحمراء . هذه الصواريخ بكونها ايضا اكبر حجما واقل صلابة فيكون بالتالي تدميرها اكثر سهولة من ناحية اخرى . بما أن بامكان كل صاروخ ان يحمل عدة قذائف ومساعدات على الاختراق فانه خلال المرحلة الدفعية يمكن تدمير اكبر عدد من الاسلحة المعادية بأقل عدد من الرمايات .

ولكن هناك سؤال اساسي يطرح : اين تنشر انظمة الدفاع ضد الاسلحة في المرحلة الدفعية ؟ هناك حلان : اما وضعها على صواريخ في الفضاء الخارجي او قذفها الى الفضاء من غواصات حالما يشن الهجوم . ولكن يبدوان لاحد من هذين الحلين قابل للتحقيق بسبب الاجراءات المضادة التي لن يحجم العدو عن اتخاذها .

كما اشارة لجنة فليتشر في تقريرها عام ١٩٨٣ ، هذه اللجنة المكلفة من قبل الرئيس ريغان لتقدير امكانية تنفيذ المشروع ، ستكون قدرة البقاء مشكلة خطيرة بالنسبة للمكونات المتمركزة في الفضاء . ان الاقمار الصناعية التي تحمل رادارات ومعترضات ستكون قابلة للاصابة من هجوم اسلحة سوفييتية مضادة للاقمار الصناعية تتضمن الغاما فضائية نووية واسلحة مسيرة آليا واسلحة تعمل باشعة اللايزر . بالفعل وكما اشار الى ذلك مسؤولون

في ادارة ريغان ، فان التقنيات المستخدمة للاسلحة المضادة للقذائف بالامكان ان ينتج عنها اسلحة هائلة مضادة للاقمار الصناعية . اضف الى ذلك ، بما انها تتحرك ضمن مدارات معينة فان الاقمار الصناعية تكون اهدافا اكثر سهولة من الصواريخ . وقد صرح مدير قسم تحليل النظم في مخابر « سانديا » عام ١٩٨٥ : يبدو لي الدفاع ضد الاسلحة في مرحلة الدفع مستبعدا تماما لسوء الحظ (...) تظهر كل دراساتنا انه من الصعب جدا تامين قدرة بقاء المكونات المتمركزة في الفضاء . بسبب الاهمية الرئيسيةالتي تضفيها فعالية هذه الدرجة الاولى من الدفاع على النتيجة الاجمالية لمجمل نظام مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، يكفي ان يفتح العدو ثغرة في هذه الطبقة الاولى كي يؤذي بخطورة مجمل الدرع الدفاعي .

للتصدي لتهديد الاسلحة السوفييتية المضادة للاقمار الصناعية،يجب علينا اعداد (اجراءات مضادة ــ مضادة) بامكاننا مثلا ان ندعم اقمارنا الصناعية ضد الغارات المعادية ولكن هذه التدعيم سزيد من وزن هذه الاقمار وبالتالي سيزيد من كلفة اطلاقها الى الفضاء . من جهة ثانية، سوف تضر الالغام النووية الفضائية السوفييتية باقمارنا الصناعية، أكانت مدعمة أم لا . بامكاننا زيادة عددها ومحاولة تمويهها ، او تزويدها بمقدرة تمكنها من المحاورة لتفلت من النار المعادية . ولكن اجراءات كهذهتجعلنا ندخل في لعبة لانهاية لها ومكلفة ، لعبة القط والفار مع السوفييت.بامكاننا ايضا ان نستخدم وسائلنا المضادة للصواريخ لمهاجمة الاقمار الصناعية السوفييتية . والحالة هذه ، لن تزداد احتياجاتنا للاسلحة والوسائل الالكترونية لادارة المعركة فحسب ، بل سينتج عن ذلك خطر ضسبة مبكرة في الفضاء : بالفعل ، ان كانت الحرب لامفر منها فكل الافادة ستعود على الذيسيبدؤها أولا .

ينص الحل الثاني حول المرحلة الدفعية على نشر اسلحة مقذوفة على الصواريخ التي تحملها الغواصات والمنصوبة على الارض . ولكن اغلبية الاسلحة المتصورة للاعتراض في هذه المرحلة ستكون ثقيلة جدا للقذف. المرشح الوحيد الممكن لمهمة كهذه هو اللايزر باشعة اكس الذي هو جزء من الاسلحة المسماة ذات الطاقة الموجهة . هذه الاسلحة هي اما : اشعة لايزر واما حزمات جزيئية تصدر على التوالي اشعاعات لها نفس طول الموجة او ذرات عقيمة (محايدة) كهربائيا .

يستخدم اللايزر باشعة اكس كمصدر ضخ اشعة اكس التي اصدرها

انفجار نووي فيبئرها * الى حزمة هائلة من اطاقة الموجهة . في حال اطلق السوفييت صواريخهم فستقذف مئات من هذه الاسلحة . ولدى دخولها في الفضاء الخارجي فسوف تطارد الصواريخ المعادية . ان انفجار القنابل الذرية سيبث باتجاه صاروخ الدفع اشعة اكس يولد ارتطامها موجة صدمة تؤدي الى تدمير الصاروخ.

للوصول بوقت مناسب الى الصواريخ السوفييتية في الفضاء بغية تدميرها، يجب اطلاق اللايزر تقريبا في نفس وقت اطلاق الصواريخ المعادية . ان عملية كهذه لايمكنها اذاً ان تنتج عن قرار بشري بل يجب ان تبدأ بأمر للرمي يصدره الحاسب الآلي

بالاضافة الى ذلك ، هناك اجراء مضاد واحد ـ يبدو انه قابل للتحقيق تماما ـ يكفي لاحباط اللايزر باشعة اكس نهائيا . يستطيع السوفييت بالفعل ان يضبطوا صواريخ دفع ذات وقود سريع تسقط الباص قبل الدقائق الثلاث المطلوبة في الصواريخ الحالية ، لقد اشارت لجنة فليتشر ان هذا الدافع ذا الاحتراق السريع سيسمح للصاروخ بان يغطي مرحلته الدفعية خلال دقيقة واحدة وذلك حتى قبل ان يغادر الغلاف الجوي . والحالة هذه ، في هذه الشروط ، لن يكون هناك الوقت الكافي للاسلحة المقذوفة للوصول الى اهدافها فحسب بل ان اشعة اكس لن تستطيع وبكل بساطة ، ان تخترق الغلاف الجوي .

حتى في حال التقليل من مدة مرحلة الدفع ، فان اللايزر باشعة اكس سوف يطرح بعض المشكلات . للتأكد من الوصول الى الصواريخ السوفييتية في مرحلة الدفع ، يجب اطلاق الصواريخ اما من غواصات تقوم بمهام الدورية بالقرب من السواحل السوفييتية حيث تكون معرضة للاصابة من هجوم معاد ، او من اراضي بلدان مجاورة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية مثل تركيا او الصين اللتين ربما لن توافقا على اتفاقيات من هذا القبيل. وبما ان الارض كروية الشكل فليس هناك امكانية لاستخدام قواعد اطلاق اخرى : اذ فقط عندما يطلق من جوار حقول المخازن السوفييتية ،يستطيع اللايزر باشعة اكس ان يتزود بخط رمي سالك تماما للوصول الى صواريخ الدفع .

---

* (من البؤرة) .

اعلن البنتاغون ان ضبط صاروخ دفع باحتراق سريع يقوم به السوفييت ـ مشروع قابل للتحقيق دون تعديل في وزن ودقة الصواريخ ـ سيلقي الشكوك حول فعالية اللايزر باشعة اكس في الدفاع في مرحلةالدفع.

هذه الثغرات عن مفهوم اللايزر ، اجبرت المسؤولين في مبادرة الدفاع الاستراتيجي على وضع آمالهم بخصوص الاعتراض في مرحلة الدفع ، في الانظمة المتمركزة في الفضاء بالرغم من قابليتها للاصابة . افضل حل واحد هو سلاح بطاقة حركية . يتعلق الامر هنا باداة ترمي بسرعة كبيرة جدا قذيفة (قنبلة او صاروخ) تأتي مباشرة لتصطدم بالصاروخ او القذيفة المعادية . تستعيد العربة ذات الطاقة الحركية تقنيات اقل غرابة من بقية مفاهيم مبادرة الدفاع الاستراتيجي . نفكر بنشر حوالي خمسة آلاف من هذه الصواريخ ذات المحرقات الكيمائية على عدة آلاف من الاقمار الصناعية .

ان كان عدد كبير كهذا من الاقمار الصناعية ضروريا فذلك لاخفاء مانسميه مشكلة التغيبية الذي يمكن تفسيره باختصار كما يلي: بسبب سرعتها النسبية ومداها المحدود ، من الواجب وضع الصواريخ ذات الطاقة الحركية في مدار منخفض حتى تصل في الوقت المناسب الى صواريخ الدفع السوفييتية . والحالة هذه ، في مدار منخفض ، تدور آلة حول الارض بسرعة تفوق سرعة دوران الارض على محورها . اذاً من غير الممكن ابقاء الصواريخ دائما فوق مواقع اطلاق الصواريخ السوفييتية . يتوجب بالتالي تشغيل عدد مهم من الاقمار الصناعية بشكل تكون فيه صواريخها في اي وقت ضمن مدى الصواريخ السوفييتية .

ان صواريخ الدفع ذات الاحتراق السريع التي ستحبط اللايزر باشعة اكس على اساس اسلحة المرحلة الدفعية ، ستطرح هي ايضا مشاكل خطيرة على الآلات ذات الطاقة الحركية . كما اشرت الى ذلك سابقا ، تستطيع هذه الصواريخ ان تنهي مرحلتها الدفعية في الجو . هذا وفي الجو تكاد المركبات الحركية ان تكون غير دقيقة اذ ان قوة السحب الهودينامي (المتعلق بالديناميكا الهوائية) ستتدخل في موجهاتها الذاتية . ان الآلات الحركية التي هي دائما ابطأ من اسلحة اللايزر او الاسلحة الاخرى ذات الطاقة الموجهة ، ستصادف صعوبات تصل الى عدد كاف من صواريخ الدفع حتى من النوع الموجود حاليا ، قبل احتراقها .

لقد صرح هارولد براون وزير الدفاع السابق ان مبدأ المركبة ذات الطاقة الحركية ليس واحداً بسبب الاجراءات المضادة التي ستعترضه بشكل فعال . مع العلم ان هذه الآلة قد اقترحت كمكون اساسي للدفاع ضد الصواريخ لافي مرحلة الدفع فحسب بل ايضا خلال او في نهاية مسارها الا ان انصاره يتوافقون على القول ان وزنه يجب ان يقلل بشكل كبير كي يعيش هذا النظام .

ان التصورات في المستقبل لاسلحة اخرى ذات طاقة حركية مازالت غير اكيدة ، مثلا ، المدافع الكهرمغناطيسية التي ترمي بسرعة كبيرة جدا قذائف صغيرة مسيرة ، تحتاج الى كميات هائلة من الطاقة وبالتالي الى صعوبات كبيرة لوضع عدد كاف من مصادر الطاقة في الفضاء . اذا يجابه هذا البرنامج مشاكل تقنية هامة .

بعد مدة قصيرة من الادعاء انه واحد ، اصبح اللايزر الكيميائي المتمركز في الفضاء ، وهو سلاح آخر ذو طاقة موجهة ، اصبح في الصف الثاني في برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي . مثل اللايزر باشعة اكس ، يهاجم اللايزر الكيميائي غلاف صاروخ الدفع باشعاع مضيء مبأر*. ولكن بما انه ليس له قدرة اللايزر باشعة اكس لاصدار حرارة كافية لتدمير الصاروخ، فان الاشعاع الذي يبث على بعد حوالي ستة آلاف كيلو متر من هدفه عليه ان يبقى مبأرا خلال عدة ثوان على نفس النقطة في صاروخ يتحرك بسرعة ستة عشر الف كيلو متر في الساعة . ي عام ١٩٨٣، شرح جنرال في فرقة جوية تابعة للقوات الجوية الاميركية ، شرح امام الكونجرس المبدأ التالي ليصف المهمة الواجب تنفيذها : انه كما لو كنا نريد ان نرسل كرة بيسبول من النصب التذكاري في واشنطن الى قمة بناء الامبايرستيت في نيويورك وان ندعها ثابتة في الهواء حتى نصل الى هناك . وبما انني تقني، فان كل ذلك يثير لدي بعض الشكوك .

ان اللايزر المتمركز في الفضاء سوف يصطدم بنفس مشكلة الغيبية التي تواجه مركبات الطاقة الحركية . بما انه اذا وضع في مدار مرتفع، فان حزم اللايزر لن تكون قوية لدرجة تصل فيها الى الاهداف المسدد اليها . بما ان وحدها الاقمار الصناعية (المتوقفة ـ الجاثمة) فوق الصواريخ في لحظة الهجوم ، تكون قادرة على الرد ، فيتوجب على كل من هذه

---

* (من البؤرة) .

الاقمار ان تكـون له القدرة على تدمير عـدد كبير من صواريخ الدفـع وان تكـون مجهـزة بالتالي بقدرة فائقـة . ولكـن ذلك يتطلب ان يطلق الـى الفضاء انظمة ثقيلة للغايـة للتغذيـة بالطاقـة .

هناك نوع آخر من اللايزر ، اللايزر ذو الالكترونيات الحرة والذييكون على الارض والذي يتصوره المسؤولون في مبادرة الدفاع الاستراتيجيكمفهوم اكثر قابليـة للحياة للاعتراض اثناء مرحلـتي الدفـع وما بعـد الدفـع . سيرسل هذا اللايزر حزمة عبر الجو حتى الفضاء الخارجي حيث ستنعكس على مرايا ضخمة موضوعـة في المدار . وبعـد انعكاسها ستذهب هذه الحزم لتضرب صواريخ وقذائف المعتدي .

ان وضع اللايزر على الارض يبعـد مشكلة التغذيـة بالطاقـة فيالفضاء ولكـن اللايزر ذا الالكترونات الحرة يطرح سلسلة اخرى من المشاكل ، اولا يجب عليه ان يكون اقـوى من اللايزر الموجـود حاليا بعشرة آلاف مرة ، ومـن ثـم يجب التأكـد ان تظـل اشعـة اللايزر مبـأره علـى مـدى مسـارهـا عبر الجو حتى الفضاءالخارجي . ان تحقق تقـدم في هذا المجال فستبقى المشكلة بعيدة من أن تحل . وبما ان الغيوم ستحجز الاشعة فربما يكـون ضروريا مضاعفـة محطـات اللايزر وتوزيعها بشكل يوجـد فيه ، في حـال الهجـوم ، عـدد كاف من هذه المحطـات في سماء خالية من الغيوم.واخيرا ستواجه المرايـا المتمركزة في الفضـاء نفس مشكلة الغيبية التي تواجـــه المعترضات المنصوبة في الفضاء .

اضف الى ذلك انه بالامكان ضبط عـدة اجراءات مضادة للتقليـلمن فعالية اللايزر ذي الالكترونات الحرة واللايزر المسمى لايزر بصري (مثـل اللايزر الكيميائي) . بامكان السوفييت مثلا ان يستخدموا قاذفـات تـدور باستمرار على نفسها مما سيمنع تبئير حزمات اللايزر البصرية عدة ثوانعلى نفس النقطة مـن غلافهـا وبالتالي سيكون تدميرهـا مستحيلا . يستطيـع السوفييت كذلك تغليف كل صاروخ بمادة خاصـة تتبخر لدى امتصاصها الحرارة ولكنها تدع القاذفـة سليمة . علاوة على ذلك ، تشكل القاذفـات ذات الاحتراق السريع مشاكل كبيرة للايزر البصري .

ولكن المشكلة الاكثر تعقيدا هي مشكلة المرايا المنصوبة في الفضاء اذ انهـا قابلة للاصابة اكثر من محطات اللايزر المطلقـة في المدار والمتصورة هيايضا في اطار مبادرة الدفاع الاستراتيجي . يجب على هذه المرايا ان تكون اكبـر

بثلاث الى اربع مرات من أي مرآة اخرى صنعت حتى الآن ، اضف الى ذلك ان بامكان اي قذائف صغيرة يطلقها العدو ان تكسر هذه المرايا .

بالاضافــة الى المعترضات في مراحل الدفــع ومابعد الدفع ، تتصور مبادرة الدفاع الاستراتيجي ثلاثــة او اربعــة انواع من الصواريخ حركيــة الطاقــة وسريعــة جــدا تطلــق مــن الارض لاعتــراض القــذائــف في **مرحلة منتصف الطريق** وفي **المرحلة النهائية** . بالنسبة لمرحلة منتصف الطريق يتجه الاهتمام خاصة نحــو نظام يشار اليه باسم (برادوسكيل) الذي يطبق تقنيات التوجيــه بالاشعــة تحت الحمــراء والتوجيــه بارادار . هناك نــوع اخــر من السلاح يدمر الصواريخ تماما قبل دخولها الى الغلاف الجوي بينما هناك نوعان آخران يدمرانها بعــد دخولهــا الغلاف الجوي . اما الانظمــة المستخــدمــة في المرحلة النهائية فسوف تستعمل التوجيه بالاشعــة تحت الحمراء .

بما ان المنطقة التي يحميها كل صاروخ ستكون صغيرة نسبيــا ، فسوف يتطلب دفاع استراتيجي فعال انشاء عدة آلاف من مواقــع الصواريخالمنصوبة على الارض في الولايات المتحدة كما في اوروبا . وسيتطلب انشاؤها مساحــة واسعة جدا من الاراضي خاصة في بلدان اوروبــا الغربيــة المتمتعــة بكثافة سكانية واسعة التي عليها ان تجابه ترسانة من الصواريخ الباليستية قصيرة المدى والتي يكون صعبا جدا تدميرها في المراحل الاولى من مسارهــا .

بالاضافة الى ذلك ، ستجابه الدفــاعات النهائية اجراءات مضادة معادية قوية عندما يتعلق الامر بحماية الاهداف المدنيــة القابلة للاصابة من القدرة الهائلة التدميرية للاسلحة النووية . يستطيــع السوفييت مثلا ان يجهزوا قذائفهم بشكل تنفجر فيه حالما تكتشف او تصطدم بمعترضاتنــا . تنفجر في الجو وذلك بقدرة كافية للقضاء على السكان في المدن . انهم يستطيعون ان يضبطوا قذيفة قابلة للمناورة MARV مزودة باجنحة صغيرة او بحيزوم (مقدمة) مصمم خاصة للسماح لهذه القذيفة بالانحراف نحو هدف آخر غير هدفه الاساسي والافلات هكذا مــن الدفــاعات المعادية . لتحدي القذائف المناورة ، ربما يتوجب علينــا تسليح صواريخنــا الحركيــة بشحنات نووية تستطيــع قدرتهــا التفجيرية تدميرها دون اصطدام جبهي . وهكذا ربما ستتطلــب المرحلة النهائية في النظام الدفاعي لمبادرة الدفاع الاستراتيجي ، تفجير مئات من الشحنات النووية الاميركية مباشرة فــــوق اراضينــا .

رغما عن المصاعب العديدة التي تثيرها هذه التقنيــات المختلفــة لتدمير

الصواريخ ، لا تمثل هذه المهمة الا احد مظاهر التحدي التقني التي ستجابهه مبادرة الدفـاع الاستراتيجي . قبل ان نتمكن من تدمير الاسلحة السوفييتية يجب علينـا ان نتبعها على طول مسارها وتمييز القذائف الحقيقيـة بـين المضللات الاخرى التي يلقيها الباص . كما في حال انظمـة الدمار ، فان كـل تقنيـة في المطاردة والتمييز ستواجه اجراءا مضادا فعـالا .

ربمـا ستتشكل الطبقة الاولـى من نظام الكشف في مبـادرة الدفـاع الاستراتيجي ، من قرابة عشرة اقمـار صناعية تدور في مدارهـا تبعا لحركة دوران الارض على نفسهـا وتكـون قـادرة على كشف الاشعاعات تحت الحمراء التي تبعثها صواريخ الدفع السوفييتية . سينبه نظـام المراقبة والمطـاردة هذا في المرحلة الدفعيـة ، سينبه بالهجوم الدرجة التاليـة من المتحسسات (الرادارات) اي نظـام المراقبة والمطاردة في الفضـاء (SSTS) المنشـور على حوالي مئة الى مئتي قمر صناعي تدور في مدار منخفض . ولكن اقامـة السوفييت لمخازن وهميـة للصواريخ ولصواريخ مموهة قادرة على تقليـد اشعاعات ما تحت الحمراء التي تصدرها الصواريخ الحقيقيـة ، ستؤدي الى تعقيد مهمتنـا في التعرف على الصواريخ المهاجمة . ستطـارد نظم المراقبـة والمطاردة في الفضاء ، الصواريخ والقذائف المعـادية من مرحلة دفعهـا حتى مرحلتها القذفية . في نهاية هذه المرحلة الاخيرة ، بالامكـان تحسين قـدرة الكشف وذلك بنظـام بصري محمول جوا يتألف من اسطول طائرات مجهزة بكاشفـات تعمل بالاشعة تحت الحمـراء .

ولكن انفجار القنابل النوويـة السوفييتيـة في الفضـاء يجعـل كشف الاشعاعات ما تحت الحمراء عمليـة صعبة ، اذ توشك هذه الانفجارات بتعطيل الرادارات او ببث اشعاعات تحت الحمراء تضلل الرادارات . يركـز حاليـا التقنيون في مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، القسـم الاكبر مـن جهودهـم لتدعيـم وتقويـة الرادارات لحمايتهـا مـن الانفجـارات ولجعلـها تقـوم بمهمـة الكشف فـي محيط نـووي .

على اية حال ، وكما اعترف المسؤولون في مبادرة الدفاع الاستراتيجي بان قراءة الاشارات تحت الحمراء التي ماتزال (القراءة) تسمى كشف سلبي لن تكفي للتعرف على القذائف خلال كامل فترة المرحلة القذفية . تصور القذائف اشعاعات تحت الحمراء اقل بكثير من صواريخ الدفع ويكـون كشفها صعبا جداً في ظلمـة الفضـاء . لكـن الكشف السلبي سيكون شبـه مستحيـل اذا اراد

السوفييت التصدي له واعاقته بتجيهز صواريخهم برؤوس نووية اضافية وبعدد كبير من الاشياء المساعدة على الاختراق .

كما اشرت الى ذلك مسبقا ، تستطيع الصواريخ السوفييتية الاكثر وزنا ان تحمل حتى ثلاثين راسا نوويا . يقدر مكتب تثمين التكنولوجيا في الكونجرس الاميركي ان باستطاعة السوفييت ان ينشروا على صواريخهم حوالي عشر مضللات في كل قذيفة . ربما تكون هذه المضللات محركات دائرية الشكل او قطعا معدنية او بلاستيكية . في المرحلة القذفية يجب على الرادارات بالتالي ان تكتشف مئات الآلاف من المحركات . وان اطلاق مساعدات اخرى على الاختراق مثل قطع من الشرائط المعدنية المضادة للرادار او غيوم رذاذية ، سوف يزيد في تعقيد دفاع مبادرة الدفاع الاستراتيجي . سيكون كشف القذائف في فراغ الفضاء الكوني صعبا جدا اذ بسبب غياب السحب الهودينامي ، سوف تتقدم القذائف الحقيقية وغير الحقيقية في مسارات شبه متماثلة ، ويستطيع السوفييت ان يموهوا قذائفهم بشكل مضللات دائرية الشكل .

تضبط لجنة مشروع مبادرة الدفاع الاستراتيجي حاليا تقنية تسمى (كشف تفاعلي) تشغل حزما من الطاقة لتنشىء اختلافات يمكن ملاحظتها بين القذائف والمضللات ستؤدي احتكاكات خفيفة يقوم بها اللايزر ذو الالكترونات الحرة ـ يمكن استخدامها ايضا لتدمير الصواريخ ـ الى اهتزازات تختلف في القذائف والمضللات .

هناك نوع آخر من السلاح ذي الطاقة الموجهة ، حزم الجزيئات المحايدة التي فكر في وقت ما باستخدامها كسلاح دمار والتي استبعدت بعد ذلك . تعود هذه الحزم اليوم لتنال الافضلية لدى لجنة مشروع مبادرة الدفاع الاستراتيجي كتقنية للكشف التفاعلي . ينص هذا النظام على ارسال تيارات من ذرات الهيدروجين الحيادية تقذفها اداة خاصة على شكل حزم ضيقة في الكشف الفعال ستشع هذه الاشعاعات على القذائف والمضللات فتصدر القذائف اشعاعا تعريفيا .

ليس صدفة ان لم يحتفظوا بالحزم الجزيئية كأدوات تدمير : انها تثير فعلا مشاكل جمة تهدد بجعلها عديمة الفعالية كانظمة كشف . يتوجب انشاء مسرعات (أدوات قذف ذرات الهيدروجين) ضخمة وكبيرة الحجم

تكون احتياجاتها الكهربائية ضخمة جدا على اقمار صناعية فضائية قابلة للاصابة .

لقد اقترح الفنيون ايضا استخدام الرذاذ والقذائف الصغيرة التي تحتك مع بعضها لتمييز القذائف من المضللات ، يبقى ان نثبت ان الكشف التفاعلي هو مفهوم قابل لان يحيا .

ستكون مطاردة القذائف في المرحلة النهائية مهمة اقل تعقيدا بما ان قوة السحب الهوديناميي ستسهل التمييز بين القذائف الحقيقية والمضللات ولكن ان كان نظام الكشف والتمييز في المرحلة القذفية غير فعال تماما ، سيكون عدد القذائف التي نجحت باجتياز هذا الحاجز كبيرا جدا لدرجة لاتستطيع فيها رادارات المرحلة النهائية ان تجابهه . من ناحية اخرى يستطيع السوفييت تدمير رادارات مبادرة الدفاع الاستراتيجي القابلة للاصابة والمنصوبة على الارض وذلك بواسطة هجمات تشنها الصواريخ العابرة بحر - ارض التي تطير على ارتفاع منخفض ، والصواريخ الباليستية منخفضة المسار او حتى الصواريخ الباليستية الاولى ذات المسار الطبيعي التي نجحت باختراق الدفاع . وان لم تدمر مباشرة ، فان هذه الرادارات سوف يضللها انفجار الشحنات النووية . لقد كانت قابلية اصابة هذه الرادارات الحجة الاولوية ضد نظم الدفاع النهائي على الارض المسماة (سانتينيل) و (سفغارد) التي انشأتها الولايات المتحدة في منتصف الستينيات .

تنص مهمة اخرى اساسية لمبادرة الدفاع الاستراتيجي على وضع نظم لادارة المعركة وكذلك تنظيم قيادة وسيطرة قادرتين على تسيير آلاف الاسلحة نحو عشرات الآلاف من الاهداف والمضللات في برهة زمنية قصيرة جدا وفي محيط نووي - انفجار الشحنات النووية السوفييتية في الجو وفي الفضاء الخارجي - على كل رتبة دفاعية ان تعلم الرتبة التالية عن مدى نجاحها في اعتراض وعن عدد القذائف التي تتابع طريقها باتجاه ارضنا . ان السرعة الفائقة في مجرى العمليات وخاصة في مرحلة الدفع ، لن تدع على الاطلاق مجالا للتدخل البشري لانه كما قال عضو في لجنة فليتشر : ليس للانسان مكان في هذه الحلقة . وحدها تقدمات مصيرية في الذكاء الاصطناعي ستسمح بان يعهد للحاسب الآلي بالمهام المحجوزة اساسا للانسان .

تبعا للجنة فليتشر ان ضبط وتطوير معطيات منطقية معلوماتية متخصصة سيشكل مهمة تتجاوز بتعقيدها وصعوبتها كل المهام التي استكملت في مجال انتاج مثل هذه المعطيات المدنية او العسكرية . بعد عامين ونصف من الابحاث

حـول مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، اعاد البنتاغـون التاكيد في ايـار ١٩٨٦ ان المعطيات المنطقية لادارة المعركـة والتي عليها ان تتطور لصالح مبادرةالدفاع الاستراتيجي توشك ان تكون اعقـد معطيات . حتى الآن ، توصلت دراسات مبادرة الدفاع الاستراتيجي الى الاستنتاج ان حوالي عشرة الى مئة مليون خط شيفرة تلزم لهذه العملية .

واخـيرا وكمـا اشـارت لجنـة فليتشر ، فان هذه المعطيـات المنطقيـة بالغـة التعقيد ــ مثل كافة نظام مبادرة الدفاع الاستراتيجي ــ لايمكنها ان تجرب بشكل تام خارج نطـاق حرب نووية حقيقية . وعليها ايضا بالتالي ان تعمل بفعالية من اللمسة الاولى .

ان تغذيـة السلحـة بالطاقـة الكهربائيـة ونقلهـا الى الفضـاء هما مشكلتـان اخريان تعرضت لهما عـدة مرات .

لقد اعترف الجنرال ابراهامسـون قائلا : ان عددا كبيرا من انظمة مبادرة الدفاع الاستراتيجي في مدارها ستكون اسلحة مستهلكة كبـيرة للطاقـة . لتوفير الطاقـة بشكل كاف الى النظـام ، يتوجب على الولايات المتحـدة ان تنتج وربما ان ترسل الى الفضاء عـددا لم تصل اليه حتى الآن من مصـادر الطاقـة . ان اثقـل مفاعـل نقـل حتى اليوم ــ في اطار برنامج سكايلاب ــ له قدرة ١٢ كيلو واط . ولكـن تغذيـة نظم مبادرة الدفاع الاستراتيجي ستتطلب قدرات تتراوح مابين عشرة آلاف ومليون كيلو واط . تقوم الولايات المتحـدة حاليا وفي اطار برنامج اس بي ــ ١٠٠ بصنع مفاعـل نووي بقدرة ثلاثمائـة كيلو واط سيكون مركزه الفضاء .

حتى لو كان باستطاعتنا ان نصنع مصادر طاقـة كافية ، الا انه سيكون من المستحيل ان ننشر في الفضاء المفاعـلات وعناصر النظام الاخرى بكلفـة معقـولة . بصدد الاطلاق ، لن تقتصر احتياجات مبادرة الدفاع الاستراتيجي على نشرها فقط ، بل يجب فعـلا تأمين الصيانة الدورية للانظمة والمرايـا المنصوبة في الفضاء وكذلك يتوجـب تحديثها لمواجـهة الاجـراءات المضادة الحديثـة السوفييتية .

من جهـة اخرى ، يتوجب تخفيض كلفـة النقـل بشـكل ملحـوظ مقارنة مع مستوى الكلفـة الحالي . حسبما جاء في مستند للبنتاغـون بتاريخ ايار ١٩٨٦ ، فان مبادرة الدفاع الاستراتيجي تتطلب ان يطلق الى مدار ارضي

منخفض من عشرة الى مئة مليون كيلو غرام وبكلفـة حاليا تتراوح بين الفـي وستة آلاف دولار للكيلو غرام الواحـد ، فان كلفـة النقل الى الفضاء فقط ستكون مجاورة للستين مليارا من الدولارات .

ان الوضع الحالي للبرنامج الفضائي الاميركي يجعلنا نفكر انه من الصعب جـدا التوصل الى تخفيض في كلفـة الاطلاق الى الفضاء خلال العقـود القادمة. ان مأساة المركبة الفضائية تشالنجر والاخفاقات المتتابعـة للصواريخ تيتـان ودلتا تجعلنا نخشى مشاكل طويلة الامد بالنسبة للبرامج الفضائية الخاصـة بوكالة الفضاء الاميركية (ناساNASA) والقوات الجوية الاميركية . تظهـر هذه الحوادث ايضا ضخامة الكلفـة والاخطار التي يمثلها برنامج اطلاق آلاف الشحنات النووية العسكرية .

يجب على مأساة المركبة الفضائية الاميركية ـ وكذلك على كارثة المفاعل النووي في تشيرنوبيل في الاتحاد السوفييتي ـ أن تذكرنا بامكانيـة الخطأ البشري وبخطورة الاتكال على التكنولوجيا لتامين امننا على المدى البعيد وكما اشرت الى ذلك ، من المستحيل تجريب نظـام مبادرة الدفاع الاستراتيجي. ربما تخطىء راداراته بتفسير حادثـة مفاعـل نووي او أي ظاهرة اخرى على الارض . على انها بدايـة لهجـوم بالصواريخ وبذلك تطلق المعترضات .بامكان بعض الاسلحـة ايضا ان تدمر اقمارا صناعية سوفييتية وبذلك تنشب بشـكل غير ارادي حرب بين القوتين العظميين . او ايضا بامكان هذا النظام ان يخفق تماما في حال هجوم نووي حقيقي .

اخـيراً ، يـليـق ان نـذكـر ان مبـادرة الـدفـاع الستراتيجـي لاتقتـرح نظام دفاع الا ضد ناقلة نووية واحدة وهي الصاروخ الباليستي . لن يحمينا درع واق فعـال من هجـوم نووي سوفييتي تشنه القاذفـات او الصواريخ العابرة جو ـ ارض وبحر ـ ارض . وان وضع دفاعات ضد ناقلات كتلـك ، سيزيـد ايضا من الصعوبات التنكولوجية ومن الكلفـة . حتى في هذه الحال ستبقى مدننا قابلة للاصابة من هجـوم نووي على شكل قنبلة تدس سرا او على شكل شحنة متفجرة كبيرة توضع على متن باخرة تجارية سوفييتية راسية في احـد مرافئنا .

تشبه الافلام الخيالية عن حرب النجوم ، تشبه رقصات جوية انيقة . تنطلق الصواريخ من مخازنها لتصادف حزمات رفيعة من الطاقة التي تبثها اقمار صناعية تسبح في الفضاء . وبعد ذلك تجيء اشعة اخرى مضيئة لتصطدم

باشكال مخروطية مرتفعة من الاسفل محدثـة اهتزازات خفيفة . وتدور مرايا ببطء عاكسـة اشعة تأتيها من الارض وترتفع صواريخ فـوق المحيطات وتطير الطائرات نحو السماء وهي تطارد اجهزة طيارة اخرى وتدور صـواريخ نحو نفسها مرتفعـة في السماء لتنزل بعد ذلك وهي تنسلب برفق بينما تصعـد صواريخ اخرى لملاقاتها .

ماينساه المشاهـد احيانا هو ان مايعرض عليه هكذا ليس رقصةسماوية بل حربا نووية حقيقية ، حربا ستنزل بالارض الموت والدمار حتـى لو كانت مبادرة الدفاع الاستراتيجي فعالة .

لايعني هذا انه لا يجب متابعـة الابحاث الخاصـة بالانظمـة المضـادة للصواريخ القاذفة . الاستمرار واجب . ولن تكون النتيجة ولامد طويـل سوى تسريع في السباق نحو التسلح .

* * *

المصطلحــــات

مساعدات على الاختراق :

ادوات تستخدمها انظمة الدفاعات الهجومية مثل الصواريخ الباليستية والطائرات القاذفة لتنمي بواسطتها خطها باختراق الدفاعات المعادية ، غالبا ماتصمم بشكل لتبدو على انها او على العكس ، لتحجب طائرة او شحنةنووية لصاروخ باليستي حتى تخدع الرادارات المعادية و / او تحويل الرمي الدفاعي المضاد للطائرات او المضاد للصواريخ .

سلاح مضاد للاقمار الصناعية :

سلاح مصمم لتدمير اقمار العدو الصناعية او لتشوش على عملها .

سلاح نـووي :

القذيفة النووية وناقلتهـا . بامكانه ان يكون قصير المـدى (عملياتي أو خاص بساحة المعركة) أو متوسط المدى او طويل المدى (استراتيجي).

سلاح نووي استراتيجي :

سلاح منصوب في الولايات المتحـدة ، في الاتحاد السوفييتي أو في البحر وهو قادر على ضرب اهداف واقعة في الاراضي المعادية .

سلاح نووي عملياتي /فيالمسرح/في ساحة المعركة (ANT) :

سلاح يكون مداه اقـل من خمسة آلاف وخمسمائة كيلو مترا . هنـاك مجموعتان : المجموعة بعيدة المدى (اكثر من الف كيلومتر) والمجموعة قصيرة ومتوسطـة المدى (حتى مائتي كيلو متر).

هجـوم مضاد للقوات :

هجوم يشن على مقدرة العدو العسكرية ·

شريط التكافؤ :

فاصل بين مستويات القوات النووية وصنوف الاسلحـة النووية،لايملك داخله أي من المعسكرين امكانيات قابلة للاستخدام عسكريا ·

امكانية مؤكـدة في التدمير :

امكانية تحمل ضربة نووية معادية مع الاحتفاظ بمقدرة رد انتقامي بهجوم يكبد العدو اضرارا بالغة .

شحنة نووية :

انظر : راس نووي .

القيادة والسيطرة :

منظومة تضم منشآت وملاك وخطط استخدام واجهزة الحصول علىمعالجة ونقل المعلومات الضرورية لادارة العمليات العسكرية .

دفاع مضاد للصواريخ (BMD) :

انظر : صاروخ مضاد للصواريخ الباليستية .

الضربة الثانية :

هجوم نووي انتقامي للرد على ضربة نووية استراتيجية يشنها العدو .

تعهد مدعوم :

سياسة تهدف الى انشاء ، بين الشرق والغرب ، روابط طويلة الامد على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي .

قوة انتقام غير قابلة للاصابة :

ترسانة نووية ومنظومة قيادة وسيطرة قادرة على تحمل ضربة نووية وشن ضربة انتقامية قادرة على تكبيد العـدو أضرارا بالغة · أنظر : امكانية مؤكـدة في التدمير .

قوات المسرح النووية :

قوات نووية متمركزة في منطقة حيث ستستخدم هناك . انها تضم القوات النووية قصيرة ومتوسطة المدى . أنها تدل عادة على القوات النووية المتمركزة في اوروبا .

الضرب اولا :

انظر : الضربة الاولى .

الضرب ثانيا :

انظر : الضربة الثانية .

ضربة مبكرة :

ضربة او هجوم يشن لاستدراك هجوم نووي معادي .

حرب النجوم :

تسمية تنسب الى مبادرة الدفاع الاستراتيجي .

مبادرة الدفاع الاستراتيجي (IDS) :

برنامج واسع للبحث والتطوير والتجارب حول اعتراض الصواريخ الباليستية الاستراتيجية في كل مراحل طيرانها .

المبادرة الاولى للدفاع الاستراتيجي (IDS-I) :

مبادرة الدفاع الاستراتيجي كما وصفها اساسا الرئيس ريغان . انها تتصور انشاء درع لا يمكن اختراقه فوق اراضي الولايات المتحدة وذلك لحماية السكان . وهكذا ستأتي النظم الدفاعية لتحل محل القوات الهجومية .

المبادرة الثانية للدفاع الاستراتيجي (IDS-II) :

بديل عن مبادرة الدفاع الاستراتيجي دافع عنه اغلب المسؤولين الاميركيين والخبراء الخارجيين وهو يتصور دفاعا اكثر تحديدا . يحمي الاهداف العسكرية ويؤمن حماية جزئية للسكان . وهكذا ستنضم النظم الدفاعية الى القوات الهجومية .

المضللات :

انظر : مساعدات على الاختراق .

MARV :

قذيفة قابلة للمناورة .

MIRV :

انظر : قذائف متعددة موجهة بشكل منفصل نحو هدفها .

صواريخ مضادة للصواريخ الباليستية (ABM) :

نظام السلاح المكلف باعتراض وتدمير الصواريخ القاذفة .

صاروخ باليستي :

كل صاروخ بعد مرحلته الدفعية ، يتبع مسارا قذفيا يكون اكبر قسم له خارج الغلاف الجوي . ميزته انه لايدفع خلال اكبر قسم من طيرانه .

صاروخ باليستي عابر للقارات (ICBM) :

صاروخ باليستي منصوب على الارض وله مدى يفوق خمسة آلاف وخمسمائة كيلو متر .

صاروخ باليستي ـ بحر ـ ارض (SLBM) :

صاروخ باليستي ـ يطلق من غواصة .

صاروخ باليستي ـ متوسط المدى (MRBM) :

صاروخ باليستي مداه بين الف والفين وخمسمائة كيلو متر .

صاروخ باليستي بمدى فوق المتوسط (IRBM) :

صاروخ قاذف يكون مداه بين الفين وخمسمائة وخمسة آلاف وخمسمائة كيلو متر .

صاروخ عابر (كروز) :

صاروخ بدفع ذاتي مسير وغير مأهول ، يستخدم قوة الدفع الهودينامية في اكبر قسم من مساره . مسار الطيران لصاروخ عابر هو في الغلاف الجوي للارض . انه صاروخ يصعب كشفه بالرادار ، يمكنه ان يسلح بقذائف نووية او تقليدية او كيميائية وان يطلق من طائرة او غواصة او قطعة حربية بحرية او من قاعدة ارضية .

صاروخ عابر جو ـ ارض (ALCM) :

صاروخ عابر يطلق من طائرة .

صاروخ ميدجتمان = الرجل القزم :

صاروخ قاذف منصوب على الارض ، متحرك ، ذو قذيفة واحدة ، يضبط حاليا في الولايات المتحدة .

صاروخ مينتمان :

الصاروخ الرئيسي القاذف العابر للقارات (TCBM) لدى الولايات المتحدة. هناك اربعمائة وخمسون صاروخ مينتمان ـ (III) بقذيفة واحدة وخمسمائة وخمسون صاروخ مينتمان ـ (III) بثلاث قذائف هي في طور النشر حاليا (يتوقع ان يتم استبدال خمسين صاروخ مينتملن ـ (III) بصواريخ ام اكس ـ (MX) .

صاروخ ام اكس (MX) :

صاروخ باليستي منصوب على الارض ، ثابت ، يحمل عشر قذائف نووية مستقلة الاهداف . تتوقع الولايات المتحدة نشر خمسين صاروخ ام اكس في مخازن صواريخ مينتمان .

صاروخ بيرشينغ ـ (II) :

صاروخ باليستي متوسط المدى ، عالي الدقة ، منشور في اوروبا .

ذخيرة للتدمير النووي :

تدعي أيضا : لغم نووي • أنه سلاح نووي متفجر يوضع تحت الارض او تحت الماء .

قذيفة :

قسم من الصاروخ الباليستي يحمل الشحنة أو الشحنات النووية · القذيفة مخصصة للدخول في الغلاف الجوي للارض اثناء المرحلة النهائية من مسار الصاروخ .

قذائف متعددة مسيرة بشكل منفصل نحو هدفها (MIRV) :

قذيفة في صاروخ باليستي تستطيع شحناتها او رؤوسها المتعددة ان تسير بشكل مستقل نحو اهداف منفصلة عن بعضها البعض .

التكافؤ النووي :

توازن القوات النووية حيث يرتدع كل معسكر عن اتخاذ المبادرة باستخدامها .

الاستخدام الاول :

ان يكون اي من المعسكرين البادىء باللجوء الى الاسلحة النووية .

الضربة الاولى :

سأستخدم هذه العبارة في هذا الكتاب بمعنى (أول ضربة مجردة للسلاح) · هجوم نووي على نطاق واسع هدفه تدمير القوات الانتقامية لدى العدو وترك ترسانة غير كافية لديه لتكبيد المعتدي اضرارا جوهرية .

الإنتقام المكثف :

استراتيجية تتوقع هجوما نوويا ضخما جدا كرد على هجوم معاد وقد تبنت دول حلف شمال الاطلسي هذا المبدأ عام ١٩٥٦ على انه مذهب رسمي.

العتبة النووية :

المستوى الذي تستخدم فيه القوات النووية اولا . ان الجهود الهادفة لتقليص التبعية بالنسبة الى السلاح النووي هي محاولات (لرفع العتبة النووية) .

الاستقرار في حال الازمة :

اقتناع يتقاسمه المعسكران في حال نشوب ازمة من ان لا احد منهما يستطيع كسب ميزة مصيرية باستخدامه اولا للاسلحة النووية . يتطلب هذا

الاستقرار ان يمتلك كل معسكر قوات انتقامية كافية تتمتع بامكانية في البقاء. انه يخفف من خطر الضربة المبكرة .

راس نووي :

القسم المتفجر من السلاح النووي .

معاهدة الصواريخ المضادة للقذائف :

تدعى هذه المعاهدة رسميا : المعاهدة بين الولايات المتحدة الاميركية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية حول تحديد النظم المضادة للصواريخ الباليستية ، لقد وقعت هذه المعاهدة عام ١٩٧٢ وقدصادق عليها مجلس الشيوخ الاميركي . انها تحرم على كل طرف نشر نظم الصواريخ المضادة للقذائف أو نشر مكوناتها في أرضه . في عام ١٩٧٤ أكملت المعاهدة ببروتوكول يحدد لكل طرف نشر الصواريخ المضادة للقذائف في منطقة واحدة .

معاهدة سولت ـ ٢ :

تدعى هذه المعاهدة رسميا : المعاهدة بين الولايات المتحدة الاميركية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية الهجومية ، لقد وقعت هذه المعاهدة عام ١٩٧٩ ولكن مجلس الشيوخ الاميركي لم يصادق عليها ، انها تعين سقفا للقوات الاستراتيجية الاميركية والسوفييتية وقد الغت الولايات المتحدة هذه المعاهدة عام ١٩٨٦ .

القاذف او القاذفة :

عربة قادرة على حمل شحنة متفجرة نحو هدف معين . تدل العبارة على الصواريخ الباليستية والصواريخ العابرة للقارات والطائرات وسبطانات المدفعية .

* * *

ملاحظـــات

الفصل الاول ـ خطر نشوب حرب نووية :

١ ـ رسالة بتاريـخ ٢ آب ١٩٣٩ ، أعيـد نشرهـا في كتاب أوتوناتان وهاينز نوردن ، Einstein on Peace ، نيويورك ، سايمون أندشاستر ، ١٩٦٠ ، الصفحات ٢٩٤ ـ ٢٩٦ .

٢ ـ Buisness Week (Tough Talk from NATO ' General Rogers) ٢٢ تموز ١٩٨٥ ، صفحة ١٢٢ د ، روبرت هاتشنسون .
«NATO Ministers can't Abdicate CW Decision, Says SACEVIR» Jane's Defence Weekly ٢٧ نيسان ١٩٨٥ صفحة ٧١٩ .

٣ ـ بربارا و . توفمان The Guns of August ، نيويورك ، بانتـام ، ١٩٦٢ ، صفحة ٩١ .

الفصل الثاني ـ النصف الاول من قرن العصر النووي :

١ ـ يمثل تاريـخ ممتـاز لمذهب دول حلف شمـال الاطلسي ، فيمـا يخص دور الاسلحة النووية في كتاب ج. مايكل ليدج .

Theater Nuclear Weapons and the NATO Strategy of flexible Response,

سانتامونيكـا ، كاليفورنيـا ، رانـد كوربوريشن ، النشـرة رقـم ٢٩٦٤٠ FF ٨٠ نيسان ١٩٨٣ . بالنسبة لهذا الفصل استلهمت أيضا من مقال ديفيد ن. سوارتزز بعنوان : « A Historical Perspective » منشورات جون ستاينبرونر وليون سيفال .

Alliance Security : NATO and the No-First-Use Question
واشنطن العاصمة ، معهد بروكينغز ، ١٩٨٣ ، الصفحات ٥ ـ ٢١ ٠

٢ ـ جورج س٠ ويلسون « Preparingfor long Nuclear war is waste of Funds , general Jones says »
صحيفة واشنطن بوست
١٩ حزيران ١٩٨٢ ٠

٣ ـ جون فوستر دالاس « The Evolution of Foreign Policy » وزارة الخارجية النشرة الثلاثين . رقم ٧٦١ ، ٢٥ كانون الاول ١٩٥٤، ص ١٠٨ ٠

٤ ـ كلمة في معهد Royal United Services اللندني ، ذكرت في كتاب ي٠ أوسكود : The entengling Alliance شيكاغو ، جامعة شيكاغو بريس ، ١٩٦٢ ، صفحة ١١٠ ٠

٥ ـ « Tough Talk from NATO's General Rogers » Business Week
« NATO Ministers can't Abdicate CW Decision, Says SACER »
٢٢ تموز ١٩٨٥ ، صفحة ١٢٢ د٠ ، روبرت هوتشنسون ، ٢٧ نيسان ١٩٨٥ ، صفحة ٧١٩ ٠

٦ ـ Public Agenda Foundation Voter Option On Nuclear Arms Policy : A Briefing Book for the 1984 Election,
نيويورك Public Agenda Foundation ، ١٩٨٤ ، صفحة ٣٤ ٠

٧ ـ يرتكز جزء واسع من هذا القسم على مقال غير منشور لجيمس م٠ ماك كونيل « The Shift in Miliitary Development from Nuclear to Conventional » .

٨ ـ انظر ، مثلا ، ريتشارد هـ٠ بايبس Why the Soviet Union Think It Could fight Win a Nuclear War, Commentary .
تموز ١٩٧٧ ، صفحة ٢١ ٠

٩ ـ U . S Arms Control And Disarmament Agency (ACDA) Documents on Disarmament,
١٩٨٢ ، واشنطن العاصمة ، ١٩٨٦ GPO ، صفحة ٣٥٠ ٠

١٠- ديمتري أوستينوف ، (اننا نخدم البلد وقضية الشيوعية) ، صحيفة الازفستيا ، ٢٧ أيار ١٩٨٢ .

١١- بالنسبة لهذا القسم لقد استقيت من عمل لجمعية مراقبة الاسلحة ، Arms Control And National Security واشنطن العاصمة Arms Control Association ١٩٨٣ ومن مقالات لويليام كوفمان « Nuclear Deterence in Central Europe » ولليون ف. سيفال NO First Use AND NATO 'S Nuclear Posture في كتاب ستاينبرونر وسيفال Alliance Security .

١٢- هنري كيسينجر «NATO Defence and the Soviet Threat» Survival تشرين الثاني - كانون الاول ١٩٧٩ ، صفحة ٢٦٦ ، (خطاب بروكسل) .

١٣- جمعية مراقبة الاسلحة Arms Control and National Security ويليام آ. أركين ، توماس ب. كوشران ، وملتون م. هوينغ . « Resource Paper on the U . S Nuclear Arsenal » آب - ايلول ١٩٨٤ ، صفحة ١٠ Bulletin of The Atomic Scientists

١٤ NATO Facts and Figures ، الطبعة العاشرة ، بروكسل ، مكتب معلومات دول حلف شمال الاطلسي ، ١٩٨١ ، الصفحات ١٥٣ - ١٥٤ .

١٥- North Atlantic Assembly's Special Committee on Nuclear Weapens In Europe, تقرير مقدم من لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ Weapons in Europe الاميركي ، المؤتمر الثامن والتسعون واشنطن العاصمة . GPO ١٩٨٣ ، صفحة ٧ .

١٦- يتوجب وجود سلاح نووي عملياتي بقوة مئة كيلو طن لتدمير حوالي خمسين الى مئة عربة مصفحة (مثلا دبابات) بتشكيل مبعثر ، أي ما يساوي فيلقاً . ان سلاحاً كهذا سيدمر كلياً الممتلكات والناس في قطر ٣٫٥ كم (منطقة تبلغ مساحتها أربعين كيلو مترا مربعا تقريبا) . في بلد ما من أوربا الغربية ، تضم منطقة بهذه المساحةربما قريتين أو ثلاثقرى أو مدن فيها آلاف السكان . من جهة أخرى ، وتبعا لطبيعة السلاح المستخدم وارتفاع الانفجار ، فان الاسقاطات الاشعاعية ربما ستصيب منطقة أوسع بكثير . للتصدي لنشر قوات مدرعة في أوروبا ، تلزم عدة مئات من الاسلحة النووية التعبوية من هذا الطراز . انظر : سيمور ، ج. ديتشمان . بولدر ،كولورادو

New Technology and Military Power ويست فيوبريس ، ١٩٧٩ ، صفحـة ١٢ .

١٧ـ هيلموت شميـت Defence or Ritaliation ; ، نيويورك ، برايفـر ، ١٩٦٢ ، صفحة ١٠١ ، ان تعليق شميت ونتائج التمرين مذكورة في كتـاب جيفري ريكود U.S. Nuclear Weapon in Europe واشنطـن العاصمـة ، معهد بروكينغز ، ١٩٧٤ ، الصفحات ١٠ـ١١ . How much is enough

١٨ـ آلان س. انتهوفن و ك. واين سميث How Much is enough نيويـورك هاربر أندرو ، ١٩٧١ ، صفحة ١٢٨ .

١٩ـ General and Complete Disarmement : a Comprehensive Study on Nuclear Weapons:Report of the Secretary General,Fall 1980 نيويورك الامم المتحدة ، ١٩٨١ ، مواضيع مختلفة .

٢٠ـ يرتكز هذا المقطع على عرض لنائب الاميرال جون م.ي ، في بيتر سبورغ ، فلوريدا ، ١٧ كانون الاول ١٩٨١ .

٢١ـ سولـي زوكرمـان Nuclear Illusion and Reality نيويـورك ، فايكينغ ، ١٩٨٢ ، الصفحات ١٠ ـ ٧١ .

الفصل الثالث : الخرافات النووية

١ ـ انظر ، مثلا ، Public Agenda Foundation Voter Option on Nuclear Arms Policy : A briefing Book for the 1984 Election نيويورك Public Agenda Foundation ، ١٩٨٤ صفحة ٢٤ .
ل.هـ. غيلب «Poll Finds Doubt on U.S. Strategy on the Russians» نيويورك تايمز ، ١٥ نيسان ١٩٨٣ .

٢ ـ جين كـيرك باتريـك « The Russian Advantage » واشنطن بوست ، ٥ كانون الثاني ١٩٨٦ .

٣ ـ المؤتمر الصحفي للرئيس بتاريخ ١٧ ايلول ١٩٨٥ In Weekly Compila-

tion of Presedential Documents واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٨٥،
صفحة ١١٠٦ ٠

٤ ـ بول هـ٠ نيتز ، «Is SALT II a Fair Deal to the United States ; »
١٦ أيار ١٩٧٩ المذكور في منشورات تشارلز تايرولر ٠
Alerting America : The Paper of the Committee on the Present Danger .
واشنطن العاصمة
Pergamon - Brassey'S International Defene Publishers
١٩٨٥ ، صفحة ١٦٠ ٠

٥ ـ سام نون «How to make the Summit productive» واشنطن
بوست ٢ تشرين الاول ١٩٨٥ ٠

٦ ـ بالنسبة للمصادر ، انظر الملحق الثالث ٠

٧ ـ كاسبار واينبرغر ، وزير الدفاع الاميركي
خطاب ألقاه أمام : « Strategic Defense and American Strategy philadelphia World Affairs Council » .
في ٣ تشرين الاول ١٩٨٥ ٠

٨ ـ شهادة لورنس ك٠ جيرشوين ، ضابط الاستخبارات القومية للبرامج الاستراتيجية ، وكالة الاستخبارات المركزية السي‌آي‌اي ، بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٨٥ أمام :

Subcommittee on Strategic and Theater Nuclear Forces
التابعة لـ Committee on armed forces وأمام Subcommittee on Defense
التابعة لـ Committee on appropriations الكونجرس الاميركي
مجلس الشيوخ
Committee on armed Forces and Committee on appropriations
Soviet Strategic Force Developments
واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٨٥ ، صفحة ١٧ ٠

٩ ـ ليون ف٠ سيغال « Warning to the Freeze » , Foreign Policy,
٤٨ ، خريف ١٩٨٢ ، صفحة ٦١ ٠

١٠ـ شهادة بتاريخ ١١ أيـار ١٩٨٢ ـ الكونجرس الاميركي ، مجلس الشيوخ ،
Committee on armed Services, Nomination of General John
Vessay to be chairman , joint chiefs of Staff
المذكورة في النيويورك تايمز الصادرة بتاريخ ١٢ أيار ١٩٨٢ .

١١ـ شهادة امام Senate Committee On Armed Services بتاريخ ٥ شباط
١٩٨٦ ـ في اجابة خطية على أسئلة اللجنة ، أعلـن رؤساء أركـان كافـة
الاسلحة : لا أحد منا يتبادل مع السوفييت الترسانة النووية الاستراتيجية
لدى الولايات المتحدة . انظر U.S Congress, Senate Committee
On Armed Services , MX Missile Basing System and Relating Issues,
واشنطن العاصمة ، GPO ١٩٨٣ ، صفحة ٢٢٦ .

١٢ـ « Report of the President's Commission on Strategic Forces »
نيسان ١٩٨٣ ، الصفحات ٧ ـ ٨ .

١٣ـ ستوارت آلسوب Our New Strategy:The alternatives to total War
ساتردي ايفنينغ بوست ، ١ كانون الاول ١٩٦٢ ، الصفحات ١٣ ـ ١٨ .

١٤ـ ٤ نيسان ١٩٧٧ «What is the Soviet Union up to?» مذكور في روبـرت
شـير With enough thovels : Reagan , Bush and Nuclear War,
نيويورك ، راندوم هاوس ، ١٩٨٢ ، الصفحات ١٥ ، ٣٧ ـ ٣٨ .

١٥ـ مذكرة الى الرئيس بخصوص دراسة
« Responding to Soviet Violations Policy (RSVP) Study »
١٣ تشرين الثاني ١٩٨٥ ، صفحة ١٠ .

١٦ـ جلسة أسئلة وأجوبة مـع الصحفيين بتاريـخ ١٦ تشريـن الاول ١٩٨١ ،
صفحة ٩٥٧ in Weekly Compilation

١٧ـ لتحليل أكثر تفصيلا ، انظر مقالي بول نيتز :
« Deterring our Deterrent , » Foreign Policy ,
رقم ٢٥ ، شتاء ١٩٧٦ ـ ٧٧ ،
«Assuring
Strategic Stability in on Era of Detente» , Foreign Affairs.
كانون الثاني ١٩٧٦ ، الصفحات ٢٠٧ ـ ٢٣٢ .

١٨ـ « Report of the president's Commission on strategic Forces »
الصفحـات ٧ ـ ٨ ٠

١٩ـ « Navy Says Foreseeable Threat to Submarines Defence Daily
١٥ آذار ١٩٨٥ ، صفحة ٨٥ ٠

٢٠ـ مذكـور في ريمونـد ل٠ غارتهـوف Detente and Confrontation
واشنطن العاصمة ، معهد بروكينغز ، ١٩٨٥ ، صفحة ٧٦٩ ٠

٢١ـ دوسكو دودر « Soviets Blast Reagan Plan to Build MX » واشنطن
بوست، ٤ تشرين الاول ١٩٨١ ، مذكور في شير With Enough Shovels
صفحة ٧٨ ٠

٢٢ـ يوري أندروبوف ، حديث في صحيفة البرافدا بتاريخ ٢٧ آذار ١٩٨٣، المؤتمر
الصحفي في سفارة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في واشنطن
العاصمة ٠

٢٣ـ مذكرة وزير الدفـاع روبـرت س٠ مكنمـارا للرئيـس جـون ف٠ كنيـدي
«Recommended F7 1964-F7 1968 Strategic Retialation Forces»
٢١ تشرين الثاني ١٩٦٢ ، صفحة ٦ ٠

٢٤ـ خطاب الى الامة بتاريخ٢٢تشرين الثاني١٩٨٢ In Weekly Compilation
صفحة ١٥٠٨ ٠

٢٥ـ خطاب الى الامـة بتاريـخ ٢٣ آذار ١٩٨٣ In Weekly Compilation
صفحة ٤٤٣ ٠

٢٦ـ جـورج آ كيـودرث ، « The Case of Strategic Defence : An
Option For a World Disarmed», Issues in Science and Technology.
خريف ١٩٨٤ ، صفحة ٤٤ ٠ ر٠ جيفري سميـث
« The search For Nuclear Sanctuary »
مجلة سيانس ٢٢١،الاول من تموز ١٩٨٣ ، ٣٢ ٠

٢٧ـ شهادة بتاريخ ١٨ آذار ١٩٨٣ U.S Congress , House , Armed
Services Committee , Departement of Energy National Security

and Military Application of Nuclear Energy Act of 1984.

واشنطن العاصمة ، ١٩٨٣ ، الصفحات ٢٨ ، ٣٣ ٠

٢٨ـ بالنسبة للمصدر ، انظر : الملحق الثاني ٠

٢٩ـ مقدمة آفيريل هاريمان في كتاب ادوارد م٠ كنيدي ومارك هاتفيلد، (Freeze) نيويورك ، بانتام ، ١٩٨٢ ٠

٣٠ـ لتحليل أكثر تفصيلا : غلين ت٠ سبورغ
Kennedy , Khrushchev , And the Test Ban
بيركيلي ، جامعة كاليفورنيا بريس ، ١٩٨١ ٠

٣١ـ نفس المرجع السابق،صفحة ٢٨٨ Doubletalk : The story of Salt I

٣٢ـ جيرارد سميث ، غاردن سيتي ، نيويورك، دابل داي، ١٩٨٠ ، صفحة١٦٩ ٠

٣٣ـ اجتماع صحفي في كانون الاول ١٩٧٤ ٠

٣٤ـ فريد هيات « Perle ' s Distrust Shapes U.S Policy » واشنطن بوست ، ٢ كانون الثاني ١٩٨٥ ٠

٣٥ـ لتحليل أكثر تفصيلا ، انظر «The President's Unclassified Report
Of Noncompliance With Arms Control Agreement »
Arms Control Association Countdown on SALT II
٢٣ كانون الاول ١٩٨٥ ٠
واشنطن العاصمة Arms Control Association ١٩٨٥ ،
توماس ك٠ لونغ ستريت ، جون ي٠ بايك وجون ب٠ راين لاند ،
«The impact of U.S and Soviet Ballistic Missile Defense Program
on the ABM Treaty . »
National Campaign to save the ABM Treaty. آذار ١٩٨٥ ٠

٣٦ـ حديث مع روبرت شير ، ربيع عام ١٩٨١ مذكور في شير ، ص ٣٨
With Enough Shovels

٣٧- شهادة بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٨٥ U.S Congress, Senate, Committee- On Armed Services, Soviet Treaty Violations, واشنطن العاصمة GPO ١٩٨٥ صفحة ٤٤ . ان المندوب الاميركي الحالي للجنة الاستشارية الدائمة ، السفير ريتشارد هـ. ايلليس ، استخلص الى القول أن السوفييت كانوا يحترمون بنود معاهدات سولت ، وذلك في تصريح سري أمام الـ : House Intelligence Committee بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٥ ، انظر الى رولاندتن ايفانز وروبرت نوفاك « SALT Soltage » صحيفة الواشنطن بوست ، ١٨ كانون الاول ١٩٨٥ .

٣٨- Arms Control Association, Countdown on SALT II صفحة ٢ .

٣٩- شهادة بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٨٣ U.S. Congress,House,Committee On Armed Services, Department of Defence Authorization of Appropriation for Fisical Year 1984 واشنطن العاصمة ، GPO ١٩٨٣ ، صفحة ١٥٦ .

٤٠- وزارة الخارجية الاميركية ، وزارة الدفاع الاميركية والوكالة الاميركية للسيطرة على الاسلحة ونزع السلاح (ACDA) ، مستند معلومات كرد على فيلم The SALT Syndrome حزيران ١٩٨٠ .

٤١- دراسة Responding to Soviet Violation Policy (RSPV) Study صفحة ٩ .

٤٢- لتحليل أكثر تفصيلا، أنظر والتر بينكوس Agencies split on Response to Possible ABM Treaty Violation صحيفة واشنطن بوست ، ١٩ كانون الاول ١٩٨٥ : سيدني ن. كريبيل ومايكل كريبون « Making Better Use of the Standing Consultive Commission » International Security 10 رقم ٢ ، خريف عام ١٩٨٥ ، الصفحات : ١٨٣ - ١٩٩ .

٤٣- « Regan Statement on Arms Accord » صحيفة النيويورك تايمز ، ١١ حزيران ١٩٨٥ .

٤٤- « President ' s Commission on strategic Forces,Second Report » ٢١ آذار ١٩٨٤ ، صفحة ٧ .

٤٥ـ كاسبار واينبرغر ، عرض أمام الـ Hous Budget Committee ٢٠ آذار ١٩٨١ ، مذكور في شير With Enough Shovels الصفحات ١٦٢ ـ ١٦٣ .

٤٦ـ « Perle ' s Distrust Shapes U.S Policy »

٤٧ـ مناظرة مع الرئيس كارتر في ٢٨ تشرين الاول ١٩٨٠ .
Public Papers of the President : Administration of Jimmy Carter, 1980 واشنطن العاصمة ، ١٩٨١ ، صفحة ٢٤٨٩ .

الفصل الرابع : النصف الثاني من القرن

١ ـ والتربينكوس
« Funds Sought forr Expansion of Nuclear Arms Production »
صحيفة واشنطن بوست ، ٨ نيسان ١٩٨٦ .

٢ ـ ويليام ج. برود
« U.S Researches Forces Big Rise in Nuclear Tests »
صحيفة النيويورك تايمز ، ٢١ نيسان ١٩٨٦ .

٣ ـ Aspen Institute International Group Managing East-West Conflict : Aframework for Sustained Engagement
Aspen Institute for Humanistic Studies نيويورك ، ١٩٨٤ .

٤ ـ كلمة لجورج ف. كيتان « A Proposal for International Disarmament واشنطن العاصمة ، ١٩ أيار ١٩٨١ ، أعيد نشرها من قبل الـ Institute For Wold Order

٥ ـ سفارة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في واشنطن العاصمة « A Statement by Mikhail Gorbachev » اعلان بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٨٦ .

٦ ـ انظر مثلا ، « Soviet Statement Submitted During the Bilateral Talks With The United States, June 27 , 1961 »

الصفحات ١٩٩ ــ ٢١٣ ،

United States Declaration Submitted To The General Assembly:
, A Program For General and Complete Disarmament In peacful
World September 25 , 1961
الصفحات ٤٧٥ ــ ٤٨٢ ــ كلاهما في ACDA Documents On Disarmament
واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٦٢ ٠

٧ ــ الخطاب الافتتاحي بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٥
In Weekly Compilation Of Presidential Documents
واشنطن العاصمة ، ١٩٨٥ ، صفحة ٦٩ ٠

٨ ــ الخطاب الافتتاحي بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٧ In Weekly Compilation
صفحة ٣ ٠

٩ ــ جورج ج٠ فيالكا وفريديريك كيمب: U.S. Welcomes Soviet Arms Plan, but Dismisses Part as Propaganda
صحيفة الوول ستريت ،
١٧ كانون الثاني ١٩٨٦ ٠

١٠ــ خطاب الى الامة بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٨٣ ، In Weekly Compilation
الصفحات ٤٤٧ ــ ٤٤٨ ٠

١١ــ اعلان أمام نادي الفضاء الوطني، ٢٩ آذار ١٩٨٥ In Weekly Compilation
صفحة ١٨٠ ٠

١٢ــ ملاحظات قيلت خلال عشاء منظم لجمع التبرعات لصالح حزب كاليفورنيا
الجمهوري في لوس أنجلوس، في ٢٢ آب ١٩٨٥، In Weekly Compilation
صفحة ٩٩٦ ٠

١٣ــ خطاب بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٥ ، In Weekly Compilation
صفحة ١٤٢٧ ٠

١٤ــ ر٠ جيفري سميث Stars War Chief takes Aim at Criticts
سيانس، ١٠ آب ١٩٨٤، ص ٦٠٠ U.S Congress,Hous Committee on
شهادة بتاريخ ٩ أيار ١٩٨٤
Appropriations , Department of Defence Authorization for
Appropriation for Fiscal Year 1986 .
واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٨٥ ، صفحة ٧٣٢ ٠

١٥– مذكور في ريتشارد ل· غاروين « Space Defence - The Impossible Dream. » NATO'S Sixteen Nations نيسان ١٩٨٦ ، الصفحات ٢٢–٢٣ ·

١٦– شهادة بتاريخ ٢١ شباط ١٩٨٥ U.S Congress, Senate, Committee On Armed Services, Department of Defence Authorization for Appropriation for Fiscal Year 1986,
واشنطن العاصمة GPO ١٩٨٥ ، صفحة ٣٥١٥ ·

١٧– جون س· تومیه « The Case for Ballistic Missile Defence » Daedalus صيف عام ١٩٨٥ ، صفحة ٢٣٣ ·

١٨– شهادة بتاريخ ٨ آذار ١٩٨٤ U.S Congress, Senate, Committee on Armed Services, Departmen of Defence Authorization for Appropriation for Fiscal Year 1985,
واشنطن العاصمة GPO ١٩٨٤ ،صفحة ٢٩٢٥ ·

١٩– شهادة بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٣ U.S Congress Committee on Armed Services, Hearing on H.R. 3073 : People protection Act,
واشنطن العاصمة GPO ١٩٨٤ ، الصفحات ٢١ – ٢٢ – ٢٦ ·

٢٠– أدرجت في تقرير السيناتور لاري بريسلر في جلسة ٢٥ نيسان ١٩٨٤
U.S Congress,senate, Committee on Foreign Relations, Strategic Defence and Anti-Satellite Weapons,
واشنطن العاصمة GPO ، ١٩٨٤ ، صفحة ٦٧ ·

٢١– كلمة جيمس ر· شليسينجر In National Security Issues Symposium 1984:Space National Security and C 31; October 25 and 26, 1984
مستند M 85-3 Mitre الصفحات ٥٦ – ٦١ ·

هارولد براون « the Strategic Defense Initiative : Defensive Systems and The Strategic Debate »

مقال منشور من قبل الـ Foreign Policy Institute, School of Advanced International Studies, Jhon Hopkins University

١٤ كانون الاول ١٩٨٤ ، صفحة ١٤ ·

يتضمن تقدير هارولد براون كلفة الدفاع الجوي والدفاع المدني بينما لا يتعرض شليسينجر الا الى النظم المضادة للصواريخ الباليستية ·

٢٢ـ هارولد براون ، شهادة أمام الـ Senate Appropriation Committe
١٠ نيسان ١٩٨٦ ، نقل اختزالي للجنة مجلس الشيوخ ، مذكور في
ريتشارد ل٠ غاروين وجون بايك « History and Current Debate »
Bulletin of the Atomic Scientists أيار ١٩٨٤،صفحة ٤٥ ٠

٢٣ـ خطاب أسبوعي بالراديو الى الامة بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٩٨٥ ،
تعليقات للـ American Legion ، ٤ أيلول ١٩٨٤
In Weekly Compilation صفحة ١٢٢٣ ٠

٢٤ـ كلمة جيمس ر٠ شليسينجر
In National Security Issues Symposium 1984;
Space and National Security, and C 31; October 25 and 26, 1984
مستند M 85-3 Mitre صفحة ٥٧ »

٢٥ـ هارولد براون The Strategic Defense Initiative الصفحات
٣ ، ٦ ٠

٢٦ـ هنري آ٠ كيسينجر
« Should We Try to Defend Against Russia's Missiles
صحيفة الواشنطن بوست ، ٢٣ ايلول ١٩٨٤ ٠

٢٧ـ زبيغنيو بريجنسكي ، روبرت جاسترو ، ماكس م٠ كامبلمان
« Defense In Space is not Stars Wars » صحيفة النيويورك تايمز ،
٢٧ كانون الثاني ١٩٨٥ ٠

٢٨ـ شهادة بتاريخ ١٩ آذار ١٩٨٥ U.S. Congress, House, Committee on
Armed Services, Hearings on H.R. 1872
واشنطن العاصمة، GPO ١٩٨٥ ، صفحة ٣٥١ ٠

٢٩ـ The President's Strategic Defense Initiative مستند
البيت الابيض ، كانون الثاني ١٩٨٥ ، صفحة ٣ ٠

٣٠ـ شهادة بتاريخ الاول من آذار ١٩٨٥
U.S. Congress, Senate, Committee on
Armed Serveces, Department of Defense Authorization for

Appropriation for Fiscal Year 1986
واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٨٥ ، صفحة ٣٦٢٩ .

٣١- وزارة الخارجية الاميركية The Straregic Defence Initiative,
التقرير الخاص رقم ١٢٩ ، حزيران ١٩٨٥ ، صفحة ٣٠٧ . حسب تقارير الصحافة ، هذا المستند هو نسخة غير سرية من الامر رقم ١٧٢ حول الامن القومي بتاريخ ٣٠ أيار ١٩٨٥ .

٣٢- بول هـ. نيتز ،
« U.S. Strategic Force Structures : The Challenge ahead »

كلمة ألقيت أثناء مؤتمر النظم الاستراتيجية للـ
American Institute of Aeronautics and Astronautics
في مونتري (كاليفورنيا) ، في ٤ شباط ١٩٨٦ . وزارة الخارجيةالاميركية ، Current Policy رقم ٧٩٤ ، صفحة ١ .

٣٣- خطاب للامة بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٨٣ ، In Weekly Compilation
صفحة ٤٤٦ .

٣٤- حديث مع ممثلي الـ Baltimore Sun ١٢ آذار ١٩٨٦ .
In Weekly Compilation صفحة ٣٤٧ .

٣٥- تعليقات بمناسبة جلسة أسئلة وأجوبة أثناء عشاء منظم من قبل الـ Los Angeles World Affairs Council بتاريخ ٣١ آذار ١٩٨٣ .
صفحة ٤٨٠ . In Weekly Compilation

٣٦- تعليقات على البرنامج التلفزيوني في محطة « Meet the Press », NBC
بتاريخ ٢٧ آذار ١٩٨٣ ، نقل ، صفحة ١٠ .

٣٧- حديث مع صحفيين سوفييت في البيت الابيض ، في ٣١ تشرين الاول١٩٨٥،
صفحة ١٣٤٩ . In Weekly Compilation

٣٨- « Document On : Memorandum OP-36C/Jm 18 March 19 »
ملحق لمقال ديفيد آلان روزنبرغ ، « A Smoking' Radiating Ruin At The End Of Two Hours», International Security,
خريف عام ١٩٨١ ، صفحة ٢٧ .

٣٩ـ مذكرة وزير الدفاع روبرت س· مكنمارا للرئيس كنيـدي
« Recommended F 71964-F 71968 Strategic Retaliation Forces »
بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٢ ، صفحة ٦ ·

٤٠ـ شهادة بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٨١ U.S Congress, Senate,
Committee on Armed Services, Nomination Of Casper W. Weinberger
to be Secretary of Defence
واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٨١ ، صفحة ٢٠ ·

٤١ـ جلسة من الاسئلة والاجوبة مـع صحفيـين في البيت الابيض بتاريـخ ١٦
تشرين الاول ١٩٨١ صفحة ٩٥٧ In Weekly Compilation

٤٢ـ شهادة بتاريخ ٧ أيـار ١٩٨٥ U.S Congress, Senate, Committee
On Armed Services, Soviet Treaty Violations
واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٨٥ ، صفحة ٩ ·

٤٣ـ جيرالوف · سيب « Officials Say Regan is ready to spend Billions
Researching Oasers, Weapons of 21 st Century War ».
صحيفة وول ستريت ، ٧ كانون الاول ١٩٨٣ ·

«Maintaining Defence Despite Soviet Disinformation »
حديث نشر في الواشنطن تايمز بتاريخ ١٣ أيار ١٩٨٥ ·

٤٥ـ كاسبار واينبرغر « Morality Demands the SDI as only Alter
native to U.S Soviet Suicide Pact » New York Tribune
٢ كانون الثاني ١٩٨٦ ·

Public Papers of the Presidents : Harry S.Truman 1950
واشنطن العاصمة ، GPO ، ١٩٦٥ ، صفحة ٧٢٧ ؛
دوايـت د· أيزنهـاور Mandate for change 1953-56 نيويـورك ،
سينييت ، ١٩٦٣ ، صفحـة ٢٣٠ ، ريتشارد نيكسون ، RN ، نيويورك ،
غروسيت أند دونلاب ، ١٩٧٨ ، الصفحات ٣٩٣ ـ ٤١٤ ، و·هـ·ر· هالدمان
The Ends of Power, نيويورك ، Times Books ١٩٧٨، الصفحات
٨٢ـ٨٣،جيمي كارتر Keeping Faith : Memories of a President
نيويورك ، بانتام ، ١٩٨٢ ، صفحة ٤٨٣ ·

٤٧ــ انظر ملاحظات وزير الدفــاع كاسبار واينبرغر خــلال الطاولــة المستديــرة الالمانية ـ الاميركية في بون بتاريخ ٥ كانون الاول ١٩٨٥ المذكورة في وزارة الدفاع ، Selected Statements كانون الاول ١٩٨٥ ، صفحة ٦ .
شهادة ابراهامسون بتاريخ ٧ أيــار ١٩٨٥ U.S Congress, House,
Committee on Appropriatons, Department of Defence
Appropriatios for Fiscal Year 1986,
واشنطــن العاصمــة ، GPO ١٩٨٥ ، صفحة ٦٤٠ .

٤٨ــ ذكر في شارلز موهــر
« Star Wars in Strategy : The Russian Response »
صحيفة النيويورك تايمز ، ١٧ كانون الاول ١٩٨٥ .

٤٩ــ شهادة بتاريخ الاول من شباط ١٩٨٤ U.S Congress, Senate,
Committee on Armed Services, Department of Defence
Authorization for Appropriations for Fiscal Year 1986
واشنطن العاصمة . GPO ، ١٩٨٤ ، صفحة ٨٩ . .

٥٠ــ خطاب قومي متلفز بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٨٥ مذكــور في
Office of Technologie Assesement, Ballistic Missile Technologie
واشنطن العاصمة . GPO ، ١٩٨٥ ، صفحة ٣١٤ .

٥١ــ مؤتمر صحفــي في جنيف بتاريــخ ٢١ تشريــن الثاني ١٩٨٥ ـ السفــارة السوفييتية في واشنطن العاصمة . « Michail Gorbachev's Press
Conference ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٥ ، صفحة ٨ .

٥٢ــ مذكرة للرئيس « Responding to Soviet Violation Policy
(RSVP) « Weinberger urges buildup over Soviet Violation »
صحيفة الواشنطن بوست ، ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٥ .

٥٣ــ شهادة بتاريخ ٤ شباط ١٩٨٥ U.S. Congress, SenateCommittee
on Armed Services, Department of Defense Authorisation for
Appropriation for Fiscal Year 1986
واشنطن العاصمة . ، ١٩٨٥ ، صفحة ٩١ .

٥٤ــ براون « Is SDI Technologie Fiscable » Foreign Affaires
أميركا والعالم ١٩٨٥ ، صفحة ٤٥٠

٥٥- تصريح ملخص ، مذكور في التصريح الخطي لجيمس س٠ فليتشر ، الرئيس، المقدم في ٨ آذار ١٩٨٤ الـى Senate Armed Services Committee
U.S. Congress, Senate Committee on Armed Services Department of Defense Authorisation for Appropriation for Fiscal Year 1986
واشنطـن العاصمـة . ١٩٨٤ ،

٥٦- نيتز « SDI Its Nature and Rationale » U.S. Department of State Current Policy رقم ٧٥١ ، صفحة ٣ .

٥٧- شليسينجر « The Eagle and The Bear, Foreign Affairs » صيف عام ١٩٨٥ ، صفحة ٩٦٠ .

٥٨- نيتز ، « On The Road To A More Stable Peace »
كلمة القيت أمام الـ Philadelfia World Affairs Council
بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٨٥ ، صفحة ٧ .

٥٩-
U.S. Congress, Office of Technology Assessment, Ballistic Missile Defence Technologies.
واشنطن العاصمة . GPO ١٩٨٥ ، الصفحات ١٣ ، ١١ .

٦٠- نيتز . « U.S Strategic Force Structures » صفحة ٢ .

٦١- حديث مع ممثلين لوكـالات للانبـاء، بتاريـخ ٦ تشريـن الثانـي ١٩٨٥ ، In Weekly Compilation صفحة ١٣٥٩ . كان ريغان قـد صرح للصحفيين السوفييت في ٣١ تشرين الاول (لن ننصب هـذا السـلاح ، أو بالاحرى هذا النظام قبل أن نستبعـد صواريخنـا النوويـة ، صواريخنـا الهجومية) . Weekly Compilation صفحة ١٣٤٣ .

وصف الناطق باسـم البيت الابيض لاري سبيكس هذه الملاحظة بأنهـا : (غموض رئاسي) ، لوكانون Lou Cannon
« Regan Remark on SDI called on'Imprecision' »
صحيفة الواشنطن بوست . ٦ تشرين الثاني ١٩٨٥ .

٦٢- Annual Report to the Congress, Fiscal Year 1987
٥ شباط ١٩٨٦ ، صفحة ٢٩٢ .

٦٣ـ اجابة خطية لسؤال متعلق بشهادة ٢٧ شباط ١٩٨٥ U.S Congress, Hous, Committee on Armed Services. the MX Missile and the Strategic Defence Initiative-Their Implications on Arms Negotiations,
واشنطن العاصمة . GPO . ١٩٨٥ . صفحة ٣٤ .

٦٤ـ « Report of the President's Commission on Strategic Forces »
نيسان ١٩٨٣ ، صفحة ٨ .

٦٥ـ جيرارد سميث . « Star Wars Is still the Problem » Arms Control Today.
آذار ١٩٨٦ ، صفحة ٦ .

٦٦ـ جورج آ٠ كيوورث
« The Strategic Defence An Option for A World Disarmed » Issues in Science and Technology,
خريف عام ١٩٨٤ . صفحة ٤٤ .

٦٧ـ صحيفة الساندي تايمز ، لندن ، ٢١ شباط ١٩٨٢ .

٦٨ـ (Congressional Record) ، المؤتمر السابع والتسعون ، الدورة الاولى ، ١٧ تموز ١٩٨١ ، واشنطن العاصمة GPO ، ١٩٨١ ،ص ٧٨٣٥ .

٦٩ـ هانز غونتر بروخ « The Enhanced Radiation Warhead : A West German Perspective » Arms Control Today,
حزيران ١٩٧٨ . صفحة ٣ .

٧٠ـ كيسينجر « NATO Defence and the Soviet Threat » Survival :
تشرين الثاني ـ كانون الاول ١٩٧٩ ، صفحة ٢٦٦ .

٧١ـ ميلفين ر٠ ليريد « What Our Defence Really Needs »
صحيفة الواشنطن البوست ، ١٢ نيسان ١٩٨٢ .

٧٢ـ ملاحظات ريغان اثناء تخصيص المنح الرئاسية ، ١٦ حزيران ١٩٨٣ ، Weekly Compilation صفحة ٨٧٥ .

٧٣ـ خطاب الى الامة ، ٢٦ شباط ١٩٨٦ ، In Weekly Compilation
صفحة ٢٨٩ .

٧٤- الجنرال برنارد و· روجرز « The Atlantic Alliance Prescripts for a Difficult Decade » Foreign Affairs
صيف عام ١٩٨٢ ، الصفحات ١١٤٥ ـ ١١٤٦ ·

٧٥- وليام د· كوفمان . « Nonnuclear Detterrence » في منشورات جــون د· ستانيجرونر و ليون ف· سيفال ، :
Alliance Security : NATO and the No-First-Use Question
واشنطن العاصمة ، مؤسسة بروكنغز ، ١٩٨٣ ، الصفحات ٤٣ ـ ٩٠ ·

٧٦-
European Security Study, Strengthening Conventional Detterence in Europe
نيويورك ، سانت مارتنز ، ١٩٨٣ ·

٧٧- (Congressional Record) ، المؤتمر الثامن والتسعون ،الدورة الاولى ، ١٣ تموز ١٩٨٣ ، واشنطن العاصمة GPO ، ١٩٨٣ . ص ٩٨٥٣·

٧٨- ديفيد آلان روزنبرغ « The Origin of Overkill : Nuclear Weapons and American Strategy 1945 - 1960 »
ربيع عام ١٩٨٣ ، الصفحات ٥٦ ـ ٥٧ ·

٧٩- لقد تحقق انسحاب آلف رأس نووي ، هذا الانسحاب الذي أعلن عنه في بيان دول حلف شمال الاطلسي في كانون الاول ١٩٧٩· في اجتماع خلال عام ١٩٨٣ في مونتبللو في كنــدا ، اتفقت دول حلف شــمال الاطلسي على تقليصــات واضحة لالف وأربعمائة رأس نووي في أوروبا · بعد هذه التعديلات ،سيبقى في أوروبا حوالي أربعة آلاف وخمسمائة رأس نووي ·· ·

الفصل الخامس : جنيــف

١ - بول هـ· نيتز « On The Road To a More Stable Peace » كلمــة أمــام الــ Philadelphia World Affairs Council
٢٠ شبــاط ١٩٨٥ ، صفحــة ٧ ·

٢ ـ شهادة بتاريخ ١٥ آذار ١٦٨٥ U.S. Congress, Senate, Committee on Armed Services, Department of Defense Authorization for Appropriation for Fiscal Year 1986

واشنطن العاصمة . GPO ، ١٩٨٥ ، صفحة ٣٩٨٥ .

٣ ـ بات جيفرسون « ConDo » Abrahamson : Weave ABM Technologie into Arms Control Strategy » Aerospace America

تموز ١٩٨٤ ، صفحة ٢٠ .

الفصل السادس : رفض الكارثة النووية

١ ـ توماس ك. جونس ، معاون وزير الدفاع للبحث والدراسات التقنية حول القوات النوويــة الاستراتيجية وقوات المســرح مذكور في روبرت شــير ، With Enough Thovels : Regan, Bush and Nuclear War

نيويورك ، راندوم هاوس . ١٩٨٢ ، الصفحات ١٨ ـ ٢١ ـ ٢٥ .

٢ ـ مقتطف من جلسات المصادقة على تسمية اوجين ف. روستو فيمنصبمدير الـ Arms Control and Disarmement Agency

في الولايات المتحدة ، ٢٢ حزيران ١٩٨١ U.S. Congress, Senate, Committee on Foreign Relation, Nomination of Eugene V. Rostov

واشنطن العاصمة ، ، ١٩٨١ ، الصفحات ٤٨ ـ ٤٩ .

٣ ـ تشارلز كوبرمان ، المدير التنفيذي ، General Advisory Committee on Arms Control and Disarmement, حديث مــع روبرت شير ، خريف عــام ١٩٨١ ، مذكــور في شــير (With Enough Thovels) الصفحات ١٨٤ ـ ١٨٥ .

٤ ـ جورج بوش ، المرشح الجمهوري للانتخابات الرئاسية ، حديث مــع روبرت شير في صحيفة لوس أنجلوس تايمز ، كانون الثاني ١٩٨٠ ـ مذكور في شير With Enough Thovels صفحة ٢٩ .

٥ ـ ماك جورج بوندي « to Cap the Volcans » Foreign Affairs

تشرين الثاني ١٩٦٩ ، صفحة ٢ .

كلمـــة شكـــر

في كانون الاول ١٩٦٠ عندما طلب مني الرئيس المنتخب كنيـدي ان أكـون عضوا في حكومته كوزير للدفاع • كنت قد شغلت وظيفة مساعد في جامعة هارفرد :
Harvard Graduate School of Bussiness Administration
ووظيفة مقدم في الجيش الاميركي خلال الحرب العالمية الثانية ، وكنت قد انتخبت قبل مدة وجيزة كرئيس لشركة فورد موتورز • لم يكن طريقي مؤهلا اياي للوظيفة التي اقترحها علي الرئيس كنيدي • وقد أشرت اليه ذلـك • فأجابني أنـه لا شيء أيضا يؤهل الانسان للرئاسة وأنه على حسب معرفته ، ليس هناك مدرسة للتحضير لهذه الوظيفة • حينئذ قبلت • ولكن بشرط ، وهنا ترك لي الرئيس الحرية التامة ، أن أستطيع اختيار معاوني حسب أهليتهم دون النظر في ميلهم السياسي •

وهكذا للمرة الاولى في تاريـخ جمهوريتنـا ، وجـد الاشخاص الاكثـر تألقا مجتمعين في وزارة واحدة • كان هناك : ستيف ايلز ، روبرت أنتوني ، الكولونيل جورج براون ، هارولد براون ، ويليام بوندي ، جوزيف كاليفانو ، جون كونالي ، آلان اينتوفن ، جون فوستر ، أوجـين فوبيني ، روزويـل جيلباتريـك ، ويليـام غورهام ، مورتون هالبرين ، تشارلز هيتش ، بول ايفناتيوس ، وليام كوفمان ، توم موريس ، راسل موري ، ديفيد ماك كيفرت ، جون ماك نوتون ، بول نيتز ، الكولونيل روبرت بورسلي ، ستان ريزور ، هاري روين ، جاك روينا ، سايروس فانس ، بول وارنكي ، آدم يارمولينسكي ، هيري يورك واوجين زوكرت •

انهم هم • ومعهم مستشاري العسكريون الرئيسيون ـ خاصة الجنرالات : ماكسويل تايلور ، ايرل ج• ويلر وليمان ل• لمنيتزر ـ الذين أطلعونـي علـى كـل مظاهر مشكلات الامن : فهم السياسة الخارجية بمعنى الاستراتيجيـة العسكريـة وتقديـر القـوى تبعـا للاستراتيجيـة واستخـدام القـدرة العسكريـة لاغـراض سياسية الخ ••••

كانت بداية الستينيات تقدم مناسبة فريدة لاعادة النظر في استراتيجيـة الولايات المتحدة ودول حلف شمال الاطلسي النووية • وقد شارك ويليام بوندي ، اينتوفن ، هيتش ، كوفمان ، ماك نوتون ، نيتزز ، روين ـ وكذلك جيروم وايزنر،

ماك جورج بوندي وكارل بايسن في البيت الابيض ـ شاركوا في تطويـر تفكـيري حول هذه المسألة • كثير من الافكار المعبر عنها في هذا الكتاب قد أعدت معهم •

غالبا ما قادتني مناقشات مثيرة،صاحبتها في أغلب الاحيان انتقادات قاسية، قمتبها معجامعييمؤسسة بروكنغز وجامعةهارفارد، MIT ،وكورنيل،وستانفورد، خاصة غراهام آليسون ، البرت كارنسال ، بول دوتي ، سيدني دريل ، ريتشارد غاروين ، كورت كونفريد ، جوزف ناي،جورج راتجنز وجون ستاينبرونر ـ قادتني غالبا الى فرضياتي التي بدأت بها •

مؤخرا تأثرت بتعاوني مع ماك جورج بوندي ، جورج كينان وجيرارد سميث بالنسبة للمقالين اللذين نشرناهما سويا في مجلة فورين افيرز (الشؤون الخارجية) (ربيع عـام ١٩٨٢ وشتاء عـام ١٩٨٤) والمبادلات التي تبادلتها مع الاسـاتذة هانزبيث وكورت كوتفريد التي تحققت في مقال منشور من قبل الدكتور بيث ومن قبلي شخصيا في الـ Atlantic Monthly في تموز ١٩٨٥،يستعيد هذا الكتاب قسمـا مـن المقـالات التـي ظهـرت في (الاتلانتيـك) وفي خريـف ١٩٨٣ في الـ Foreign Affairs (الشؤون الخارجية) •

أصر على أن أشكر أيضا سبورجون كيني،اوجين فوبيني،آدم بارمولينسكي، جاك مادوكس ونائب الاميرال جون م•ي الذين قبلوا اعادة قراءة النسخة المكتوبة بخط يدي والذين كانت ملاحظاتهم ثمينة جـدا بالنسبة لي ، ومادلين أودونيـل ، وديفيد هالبرين اللذين قاما بعمل فريد في البحث وكذلك جين مور مساعدتي المتفانية التي عملت دون كلل والتي يعود اليها الفضل بوجود هذا النص بصورته الحالية •

أريد أن يتأكد الجميع هنا بعرفاني لجميلهم •••

* * *

الفهرس

رقم الصفحة

رقم الصفحة



* * *

مطابع الادارة السياسية

دمشق : ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م